

# دراسات في اليودية

تأليف

أ.د. محمود محمد فوزي

أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر وأم القرى

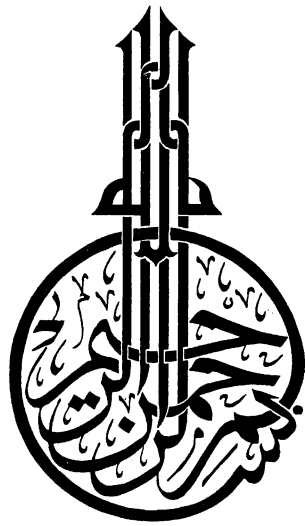
دار  
الكتاب  
الشرقي



# دراسات في البوذية

تأليف  
الأستاذ الدكتور  
محمود محمد مزروعيت  
أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر وأم القرى





دراسات في

**البوذية**

# حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

## دار الكتب المصرية

### فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

مزروعة، محمود محمد

دراسات في البوذية

تأليف محمود محمد مزروعة

القاهرة، دار البصر ٢٠١٨ م.

٣٢١ ص، ١٧ × ٢٤ سم.

تمك ٤٣٦.٤٠٤٩٧٧٧٩٤٠٩٧٨٩

١- البوذية

٢- البوذية (الفلسفة)

أ- العنوان

٢٩٤،٣

دار البصر للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يمتد الكتاب عن آراء مؤلفه. يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بآلية وسيلة تصويرية، أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك: التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة، أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك: حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، الحي الثامن

مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

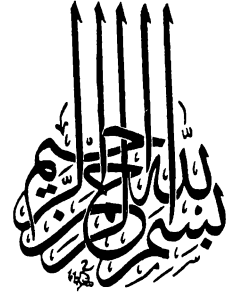
تليفون: ٠٢ ٢٤٧٠٩٢٦٩ - محمول: ٠١٠٦٢٢٧٦٢٠٨

فاكس: ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١ - خدمة عملاء: ٠١١١٨٠٠٦٠٦٠

[www.dar-alyousr.com](http://www.dar-alyousr.com)

Email: [alyousr@gmail.com](mailto:alyousr@gmail.com)

[info@dar-alyousr.com](mailto:info@dar-alyousr.com)



مخبر اتصالات  
الناشرين  
المصريين



رقم الإيداع

٢٠١٧/١٤١٦٧

ترقيم دولي

978-977-794-043-6



دراسات في  
البوذية

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله إلى العالمين، وعلى إخوانه النبيين المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المهديين الهادين، والتابعين لهم والمستمسكين بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ دراسة الأديان من الدراسات المهمة التي عُني بها الإنسان على مدى تاريخه الطويل، وظروفه المختلفة، وإمكاناته المتواضعة؛ وذلك لأمر كثيرة، أهمها:

الأمر الأول: أن التدين دافع فطري، وميل غريزي في الإنسان، كدافع الجوع والعطش، لا يمكن للإنسان أن يحيا بدون إشباع ذلك الدافع، كما أنه لا يمكن أن يحيا دون طعام أو شراب؛ وذلك يفسر لنا مسلكين عجيبين في حياة البشرية جميعها:

المسلك الأول: التزام البشرية كلها - على مدى تاريخها، وفي جميع البقاع والأقاليم والأزمنة التي مرت بها - بالتدين، بحيث لم يمر زمان، ولم يوجد مكان إلا وكان الإنسان في ذلك الزمان وذلك المكان متديناً، ليس مهمماً نوع ذلك التدين أو موقعه من الحق والباطل؛ بل المهم هو وجود الدافع نفسه، ثم ضرورة إشباعه؛ ولذلك جاءت مقولة الفيلسوف اليوناني القديم الذي قال: «يمكن أن تجد مدينة

بلا أسوار، وبلا حكومة، وبلا شرطة، ولكن مُحالٌ أن تجد مدينة بلا معبد<sup>(١)</sup>، فالدافع موجود، وهو فطريٌّ غريزيٌّ، وضرورة إشباعه هي في ضرورة إشباع الجوع بالطعام، والعطش بالماء، أو هي أشد منهما، وما ينبغي هنا أن نقيم وزنًا لاختلاف ماهية الإشباع ونوعه، وما إن كان صالحًا أو غير صالح؛ فإننا نهتم من قبل ذلك بوجوده وحتمية إشباعه، بل إن إشباع الدافع بما يخالف الوضع الطبيعي لإشباعه لهو أقوى في الاستدلال على أصالته من إشباعه بما هو صالح له؛ لأن إشباعه بما لا يصلحه دليل على حتمية ذلك الإشباع، إلى حدٍّ أن المرء إذا لم يجد الصالح لإشباعه أشبعه بالشيء الفاسد؛ لأنه لا يملك إلا إشباعه، وذلك كالإنسان الذي لا يجد الماء الصالح لإشباع عطشه فإنه سيشرب الماء النجس أو الملوّث، وشربه الماء الملوّث دليل على أن حتمية الإشباع أقوى من شرب الماء الصالح، ولقد أحلَّ الله - تعالى - أكل الميتة والدم ولحم الخنزير لإشباع الجوع لمن لم يجد غيره، فياكل من هذه على قدر ما يمسك حياته ويشبع حاجته، ولا يزيد وإلا فهو باغٍ وعادٍ، قال - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ - لِعَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فالإشباع أمرٌ حتميٌّ ولو بغير الصالح؛ لأن الدافع حتميٌّ وإشباعه لا مفر منه، وهذا ينتقل بنا إلى:

(١) قال المؤرخ الإغريقي (بلوتارك) المولود سنة ٤٢ م: «من الممكن أن توجد مُدن بلا أسوار، وبلا ثروة، وبلا آداب، وبلا مسارح، ولكن لم يَرِ الإنسان قط مدينة بلا معبد، أو لا يمارس أهلها الصلاة».

المسلك الثاني: ذلك المسلك الذي يقوم على أن البشرية تعتنق أدياناً متعددة، بل ومتعارضة يناقض بعضها بعضاً، كل فريق يدين بدينٍ يتعصب له ويزعم أن دينه هو الحق، وأن غيره باطل، ولأن هذه الأديان تضرب بجذورها في مشاعر الناس ووجداناتهم، وتحتل سويداء قلوبهم؛ فإنها تملكهم ولا يملكونها، وهي تحركهم من داخلهم ولا يحركونها؛ ومن ثم لا يملكون تغييرها مهما بلغ من وضوح بطلانها، وهذا يضاف إلى ما سبق ذكره من أن التدين دافع فطريٌّ غرزيٌّ أصيل، يولد الإنسان به، ولا يكتسبه من البيئة؛ من هنا كان تغيير الدين عند المتديّنين به أمراً غاية في الصعوبة - إن لم يكن مستحيلاً - إلا من رحم الله، وقليل ما هم، بل هم أقل من القليل إذا ما أخذنا في الاعتبار نفسيّ الجهل، وشيوع العصبية، والتمسك بالموروث حتى ولو كان واضح البطلان، هنا يكون الناس عبيداً لِمَا يعتنقون؛ لذلك قال الله - تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قومه -:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال سبحانه - عن المشركين في أمة سابقة -:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وخلاصة ذلك: أن الإنسان لا يمكن أن يحيا إلا متديّناً، ولو حاول غير ذلك، بل لو بدا لنفسه أنه تخلّص من التدين وأضحى ملحدًا خالصًا فإنه يخدع نفسه، ويدّعي غير الحقيقة، فهو لا يستطيع أن يحيا إلا متديّناً، كما لا يستطيع أن يحيا إلا

طاعمًا وشاربًا، وسيأتي -بحوله تعالى- مزيدٌ توضيحٍ لهذه الحقيقة.

الأمر الثاني: أن التَّدِين له خطره في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا ينقض هذه الحقيقة أو يضعف منها: أن البعض يعيش ملحدًا محاربًا للدين، معاديًا له، ظانًا أنه قد استطاع أن يتخلص من ذلك الدافع الفطري المهم والخطير في حياة الإنسان؛ وذلك ظنٌ باطل، ووهمٌ كاذب؛ قصارى ما فعل هؤلاء الملاحدة أنهم شوَّهوا الفطرة، ومسحوا خلق الله، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

إنَّ النهر حين تزخر بالمياه منابعه، وتفيض بها موارده؛ فإنه يندفع في مجراه الطَّبْعِي في قوة وحيوية ونشاط، فإذا ما أقمنا العراقيل والسدود أمامه، ووضعنا الصخور في مجراه؛ فإننا بذلك لا نلغيه من الوجود، ولا نقذف به في هوة العدم؛ وإنما ندفعه دفعًا إلى الانحراف عن مجراه الطَّبْعِي المستقيم إلى مجارٍ أخرى مشوهة ومعوجَّة، يصرِّف فيها طاقته الجبارة وحمله القوي المندفع؛ إن انحرافه عن مجراه الطَّبْعِي، واندفاعه إلى مجارٍ أخرى ضارَّة ومشوهة، لم يكن إلا لأننا منعناه مجراه الطَّبْعِي، وحاولنا القضاء عليه، وهو غير مقصَّبٍ عليه؛ لأنه خلق اللهُ جزءً من الطبيعة والفطرة.

إن هذا ما يحدث تمامًا لدافع التَّدِين، وهو دافع فطريٌّ حتميٌّ، وقد خلق اللهُ تعالى طرق إشباعة السَّويَّة، لكن هذا الدافع الفطريُّ الذي هو صنعةُ الله في خلقه وإشباعه؛ قامت نُظْمٌ من صنعة البشر تعاديه وتحاربه، وتزعم أنها قادرة على إلغائه من الوجود، فوضعت العراقيل، وأقامت المعوقات أمام الإشباع الطَّبْعِي

لهذا الدافع الأصيل في فطرة الإنسان، من هنا دفعت به إلى أن يعبر عن نفسه، ويشبع ذاته بطرق مشوهة ممسوخة.

إن الشعوب التي أوقعها سوء حظها تحت سلطان الشيوعية الماركسية الكافرة الملحدة، قد سُدَّ أمامها إشباع دافع التَّدْيُنِّ بصورة صحيحة، فكان لا بد لهذا الدافع أن يشبع ذاته بطرق أخرى؛ من ثمَّ راحت هذه الشعوب تضيء على فلاسفة الشيوعية من الإجلال والتَّقديس والعصمة ما كانت جديرة بأن تضيئه على الإله أو الآلهة لو أنها اعتنقت ديناً ولو كان باطلاً، وراحت تؤمن بزعمائها وتخلع عليهم ما لا يكون إلا من حق الأنبياء والمرسلين، واستبدلت الأناشيد والنصوص التي تمجِّد الوطن وزعماءه بتلك الأوراد والتراتيل التي كانت تقوم بها في الكنائس والأديرة ودُور العبادة عندهم.

وذلك مسخٌ في الفطرة الإنسانية، والطبيعة البشرية، فليس مما أَلِفَ الناس قديماً أو حديثاً أن يعبد الإنسان بشراً أو إنساناً مثله، إلا إذا عدم الطريق المستقيم في التَّدْيُنِّ والتَّعَبُّد، فإنه -إشباعاً لدافع التَّدْيُنِّ عنده، وتلبية لغريزة وُلِدَ بها- يَتَّعَبِدُ لإنسان مثله، ويدين -ربما- لشجر أو حجر، ومع ذلك تجد من هؤلاء الوثنيين أو المشركين مَنْ يوصف بأنه راجح العقل، كامل الفطنة، عميق الفهم؛ والسؤال: كيف يوصف إنسان بهذا، وهو فاسد الفطرة ممسوخ الطبع، إلى درجة أنه يجعل من حجر -وَجَدَهُ مُلْقَى في الطريق، فَنَحَتْهُ بيده، ثم نَصَبَهُ تجاه وجهه- إلهاً، ثم يخزُّ له ساجداً؟!!

والجواب: أنه يفعل ذلك - كما ذكرنا - إشباعاً لدافع التّدين عنده، وهذا لا يفترق كثيراً - كما أشرنا قبلاً - عن الإنسان يعضّه دافع الجوع بناه، فقد لا يجد ما يشبع جوعه إلا طعاماً حراماً فلا يملك إلا أن يأكله، أو يجد ماءً فاسداً آسناً فلا يجد مندوحة عن شربه؛ إشباعاً لدافع فطريّ لا يفترق كثيراً عن دافع التّدين حينما لا يجد الإنسان طريقاً مستقيماً يصلّه بالدين الحق، فلا يجد بُدّاً من أن يدين بالهندوسية، أو البوذية، أو الجينية، أو آية ديانة وثنية أخرى، ليس لأنها حق، أو أنها طريق صحيح؛ لكن لأنها وسيلة للإشباع ولو كانت سُمّاً زعافاً، أو ضللاً مبيئاً.

أما بعد:

فهذه مقدمة ضرورية لدراسة الأديان الوضعية، التي تقوم على عبادة أشخاص أو حيوانات أو أشجار وأحجار، وهذه ضرورية حتى لا يأخذنا العجب فيشغلنا عما نحن فيه من دراسة وتمحيص، ثم من عظة وعبرة.

والله من وراء القصد.

محمد بن محمد بن زورع

٢ ربيع أول ١٤٣٩ هـ

٢١ نوفمبر ٢٠١٧ م

## مقدمات وممهّدات



قبل الحديث عن بوذا؛ عن طفولته، وحياته قبل الدعوة، ثم عن دعوته وجهاده، وعن جميع ما يتصل بحياته مما يجعل كلامنا عنه وافيًا وكافيًا -بحول الله تعالى- قبل ذلك كله هناك أمورٌ لا بدّ من الحديث عنها وتوضيحها، وأهم ذلك: اسمه، وكنيته أو كُنَاه، وبيئته وأسرته ونأمل أن نفيّ بذلك عبر الفقرات التالية:

١ - فيما يتصل بالاسم «بوذا»: «بوذا» في الحقيقة ليس اسمًا علمًا على شخص بعينه؛ ولكنه كنية تعظيم وتشريف، بل وتقديس لرجل دينٍ عظيم، وقد تعني: «الحكيم»، والحكيم هنا ليس معناه: الحكمة في التفكير أو الرأي أو الإصابة في العمل؛ لكنها تعني إلى جانب ذلك كله: أنه على صلة بالسماء أو بالإله.

وكلمة السماء قد تكون غير صائبة -أيضًا-، وكذلك كلمة الإله؛ لأنّ بوذا -كما سيتضح لنا بعد بحول الله- لم يدعُ إلى الإيمان بإله، ولم يزعم أنه على صلة بإله، وليس له في عالم الغيب باع طويل أو حتى قصير، وربما كان يسخر أحيانًا من هؤلاء الذين يتكلمون عن عالم الغيب أو البعث بعد الموت، لكنه كان حكيماً بمعنى: أنه مؤيّد بالحكمة والإصابة في كل ما يأخذ وما يدع، وأنه يحمل معه علاجًا لأدواء الناس، ودواء لأمراضهم التي تسبب لهم الشقاء في الدنيا، والدنيا فقط؛ لأنه لم يتخطَّ في دعوته حدود الدنيا، حتى وهو يتكلم عن «النّرّانا» كان يتكلم عن أوضاع تحدث في هذه الحياة وليس بعدها.

٢- كلمة «بوذا» التي تعني: الحكيم: ليست خاصة بـ«سِدَّارْتَا - Siddartha» وهو الاسم الذي أطلقه والد «بوذا» على ابنه الذي هو موضوع كلامنا.

وما دام لقب «بوذا» يعني: الحكيم، ويعني كذلك: المستنير، وصاحب البصيرة النَّفَّاذة؛ ليس خاصًا بهذا الذي معنا؛ فهذا اللقب إذاً قد أطلق على آخرين جاءوا قبل «سِدَّارْتَا» الأمير الذي نتكلم عنه.

فالأشخاص الذين أطلق عليهم هذا اللقب «بوذا» كانوا كثيرين، وليس هذا اللقب خاصًا بواحد فقط هو هذا الأمير؛ بل هو لقب لكثير من الحكماء المستنيرين الذين ظهروا قبل هذا الأمير «سِدَّارْتَا».

لكن ينبغي أن نذكر شيئًا من عقائد القوم في هذا المجال الخاص بالبوذوات:

٣- البوذوات: - إن صح هذا التعبير - ليسوا واحدًا محددًا؛ بل هو لقب يطلق على كل حكيم مستنير يظهر ليعالج آلام الناس وأسباب شقائهم ويقضي عليها إن هم اتبعوه؛ وقلنا كذلك: إنه قد ظهر من هؤلاء عدد كبير لا يُعرفون على التحديد، وهؤلاء البوذوات الذين ظهروا كانوا نعمة على الناس من الملأ الأعلى.

وعبارة «الملأ الأعلى» عبارة مبهمة عند البوذيين لا ينبغي أن نقيسها على ما نفهمه نحن من هذه العبارة؛ لأن الكثيرين من هؤلاء الذين يلقبون أو يطلق عليهم لقب «بوذا» ربما لا يعرفون شيئًا عن هذا الذي يسمّى «الملأ الأعلى»، ولكنها عبارة مبهمة لا تدل إلا على قوةٍ عليا مبهمة تتصرّف في الوجود وفي أقدار الناس،

ومن تصرفاتها تلك: أنها أرسلت بوذا -سيداً رثا- الذي نتكلم عنه، ومن قبله أرسلت كثيرين مثله، فبوذا الذي نتكلم عنه ليس إلا واحداً من هؤلاء الحكماء المستنيرين الذين جاؤوا لإنقاذ العالم، وإخراج الناس من الشقاء والآلام إلى السكينة والسلام -هكذا يعتقدون -.

٤ - يأتي السؤال البدهي هنا: وهل مجيء «بوذا» أو «البوذاوات» الواحد بعد الواحد يقوم على نظام معين، ونسق محدد، أم أنهم يأتون ارتجالاً وحسبما اتفق؟ والإجابة على ذلك سهلة ميسورة، فعقائد القوم في هذا واضحة جليّة؛ إذ يعتقد البوذيون أن الملائ الأعلى، أو الإرادة العليا، أو الرّوح السارية في الوجود تتعهد الوجود بالعناية، ومن عنايتها: أنه كلما مرّ زمن، أو انقضى عصر؛ جاء «بوذا» أو حكيم مستنير ليعلّم الناس الاعتقاد الصحيح، ويقودهم إلى الحياة الآمنة المستقرة، ويرفع عنهم ما في العالم من شقاء وألم وتعاسة، ولكن بعد فترة من الزمن ينسى الناس تعاليم «بوذا» وتفسد معتقداتهم، ويشيع في الحياة الشقاء والتعاسة، وهنا يأتي «بوذا» جديد ويُنبتعث حكيم مستنير ليقوم بهذا الدور الذي قام به أمثاله من قبل، وتمتلئ الحياة سلاماً وأماناً، وتخلو من الشقاء ويتخلص الناس من الألم، ولكن كل ذلك إلى حين حتى ينسى الناس ويحرفوا التعاليم السابقة، هنا يأتي «بوذا» جديد... وهكذا.

٥ - لا يعرف البوذيون على التّحديد عدد من جاء من هؤلاء الحكماء المستنيرين الذين يسمّون «بوذا»، ولكن يغلب على ظن الكثيرين منهم أن الذين

سبقوا «بوذا» الأخير كانوا ثلاثة، وهذا قول من الأقوال، ويبقى معتقد القوم أن «بوذا» الذي معنا قد سبقه أمثال له كُثُرٌ، كلٌّ منهم كان يؤدي نفس الدور الذي جاء به «بوذا سِدَّارْتَا» الأخير.

٦- بوذا سِدَّارْتَا - أوجوتاما **Gautama** - هو واحد من هؤلاء الذين جاءوا لإقامة الناس على الشريعة، وللقضاء على شقاء الحياة، لكنه أعظمهم وأكبرهم، وليس من بينهم من يماثله في عظمته وحكمته واستنارته وجهاده، من هنا خصَّ البوذيون «بوذا سِدَّارْتَا» الذي نكتب عنه بلقب «الأكبر»؛ ليميزوه عن جميع من سبقه، وأصبح لقب «بوذا الأكبر» هو الأكثر انتشارًا بين الكتَّاب والباحثين الذين يكتبون عن «بوذا سِدَّارْتَا».

٧- كان قبل «بوذا سِدَّارْتَا» كثيرون كل منهم «بوذا»، وقد يذهب البعض إلى أن الذين كانوا قبله هم ثلاثة، ولا بأس في ذلك، لكن الذي يجب أن ننتبه إليه أن أحدًا من هؤلاء الذين سبقوه لم يبلغ مثل الذي بلغه «بوذا سِدَّارْتَا» من العظمة والحكمة والاستنارة والجهاد في «تحريك عجلة الشريعة»، وتلك -عجلة الشريعة- عبارة تُستعمل كثيرًا للتعبير عن الجهاد في الدعوة، وفي نشر تلك التعاليم التي جاء بها «بوذا سِدَّارْتَا»... ويعتقد البوذيون أن مئات من السنين، أو آلافًا - ربما - قد مضت قبل أن يظهر هذا الأخير، وهي السنوات التي فصلت بينه وبين آخر بوذا كان قبله.

٨- أحاط البوذيون «بوذا سِدَّارْتَا» بكَمِّ هائل غريب وعجيب من الأساطير

والخرافات إلى الحد الذي جعل الكثيرين من المؤرخين يشكُّون في وجود هذه الشخصية، ويقطعون بأن بوذا شخص أسطوري وهميٌّ من خيال الذين آمنوا به ورفعوه إلى مكانة أسطورية وخيالية غير مقبولة.

وبالفعل هناك مؤرخون للأديان، وباحثون في المذاهب اعتقدوا- على جهة القطع- أن بوذا شخصية أسطورية وهمية؛ ومن هؤلاء: جماعة من الباحثين برئاسة أستاذ بجامعة أكسفورد ادَّعى هو ومن معه أن جميع ما يقال عن حياة بوذا وجهاده ودعوته ما هو إلا أسطورة كبيرة، وأن كل ما يتصل بهذا الرجل الأسطورة إنما هو من نسج خيال أتباعه الذين يرتزقون من العمل بمعباده وديانته، لكن الرجل لا حقيقة له، ولم يكن له وجود.

وهذا كلام لم يعد له وزن ولا أثر بعد أن اتضحت حقائق موضوعية كثيرة عن بوذا وأسرته وأبيه، والإمارة التي كان أبوه ملكًا عليها قريبًا من نيبال، ثم عن الفترة الزمنية التي عاش فيها، وكذلك عن تتابع الأحداث وتأثيرها في طوائف البوذيين الذين يمثلون حلقات متواصلة ليس من بينها مكان لخيال أو أسطورة تمس وجود الشخص «بوذا» نفسه، وإن كانت جميع الأحداث التي يحكونها عن ميلاده وما جرى فيه من أساطير وخرافات هي من نسج خيالهم، وهي جميعًا لا حقيقة لها؛ وإنما تفيد شيئًا واحدًا، هو: أنهم يعظمون شخص «بوذا» ويخلعون عليه من صفات التقديس والإجلال ورفعة المكانة ما لم يتوفر لأحد من قبله.

٩- من الأمور المهمة التي نلفت النظر إليها: أننا ونحن نكتب عن نشأة «بوذا

«بوذا سِدَاژْثا» والأحداث التي مرت به، وما يطيف بهذه الأحداث من وقائع، إنما كتبنا هذا كله من وجهة نظر وعقائد أتباع بوذا -أي: البوذيين- ولذلك أوردنا الكثير من الخرافات والأساطير والأمور التي لا يقبلها عقل، ولا يؤيدها منطق، بل ترفضها بداهة الأمور، ويأبأها الواقع، ويرفضها أكثر الناس سذاجة... ولكن على قدر ما نرى من أساطير وخرافات يعتقدونها البوذيون، ويروّجون لها عن مولد بوذا، وعن كل ما جرى في حياته، فإننا نستطيع أن نؤكد حقيقتين لا يرقى إلى واحدة منهما الشك:

**الحقيقة الأولى:** تقطع بأن «بوذا سِدَاژْثا» شخصية حقيقية وُجِدَتْ في التاريخ الإنساني، وكان وجودها في المكان والزمان اللذين ورد ذكره فيهما، حقيقة قد يختلف التاريخ حولها اختلافاً يسيراً إلى الخلف أو إلى الأمام، وقد يكون ميلاده في نفس التاريخ الذي ذكرناه، وقد يكون قبل ذلك أو بعده، لكن ذلك خلاف يسير؛ على ذلك البعد الزمني، وندرة تسجيل الأحداث بدقة.

ثم إن هناك من الأشخاص والأحداث ما يسبق زمان وجود «بوذا سِدَاژْثا» بآلاف السنين، ولا يطيف بهذه الأحداث أو أشخاصها ظلُّ شكٍّ أو ارتياب؛ بل يذكر تاريخهم بتفاصيل دقيقة، ولا ينكرها أحد بحجة البحث الحديث، أو الصدق في السرد التاريخي، وليس بعيد عنا تاريخ المصريين القدماء، أو الصينيين، أو ما بين النهرين.

**الحقيقة الثانية:** أن حياة بوذا منذ مولده وربما قبل ذلك بقليل قد أُحيطت بكمِّ

هائل من أعجب الأساطير، والأحداث الخيالية، والخرافات التي تتحدى الواقع أو يتحداها الواقع، والتي نقلناها عنهم دون تمحيص، بل ولا حتى تعليق، ولكننا التزمنا الأمانة في سرد تاريخ «بوذا سِدَّارْتَا» كما هو عند أصحابه، ولا ينبغي أن يُفهم أن هذا تسليمٌ منا بصدق هذه الأساطير أو هذه الخرافات؛ ولكنه بيان لعقائد القوم التي تعتبر القاعدة الأساس في إيمانهم بالرجل، ثم بإيمانهم بكل ما جاء من قبل «الملا الأعلى» أو «الملائكة» أو «الأشخاص والمخلوقات النورانية»، وكل هذه الأشياء مذكورة في تاريخ الرجل لدى البوذيين، وقد نبهنا قبلاً أن هذه عبارات فضفاضة لا معنى لها عند القوم، ولكنهم يذكرونها للتعبير عن عالم أعلى في السموات لا يمكن إدراكه، وهذا العالم هو الذي يُؤذَن بمجيء بوذا وولادته، وترتيب كل شيء يتصل به.

ولذا ننبه إلى أن ما نكتبه حول مولد «بوذا سِدَّارْتَا» وعن كل ما أحاط بهذا الحدث إنما هو نقلٌ لأساطيرهم وخرافاتهم، وأن هذه أمورٌ لا حقيقة لها، وهي من ألفتها إلى يائها تحرّصات كاذبة، من خيال البوذيين، ونحن لا يعنيها إن كانوا هم ينظرون إلى هذه الأساطير على أنها حقائق لا تقبل الشك، أو أنهم كذلك ينظرون إلى «بوذا سِدَّارْتَا» على أنه مبعوث إلى العالم لإنقاذه مما هو فيه من شرور وآلام، أو ينظرون إلى بوذا على أنه إله، وهم عباده يعبدونه ويدينون له بطقوس يعرفها رجال الدين ذوو الأردية أو الأقمصة الصفراء... نقول: لا يعنينا شيء من ذلك؛ لأننا نعرف أن سِدَّارْتَا الذي لقبه أتباعه: «بوذا الأكبر»، واعتقدوا فيه ما يعتقدون، وخلعوا عليه من الأساطير والخرافات؛ إنما هو واحد من المصلحين

الذين يظهرون بين حين وآخر هنا وهناك، يحاولون إصلاح مجتمعاتهم بنظم أو نظريات يرونها مُصلحة لهذه المجتمعات.

وهذا المُصلح الذي معنا، والذي يعبدُه أتباعه، سوف نعرف من مبادئه حين ندرسها في موضعها من هذا البحث - بحول الله تعالى - أنه كان يكفر بالآلهة، وأن مذهبه الذي جاء به كان أبعد الأمور عن الأديان، وأنه جاء بهذا المذهب معارضا الديانة البرهمية أو الهندوسية التي كانت سائدة في الهند، وأن مذهبه، وكذلك مذهب «الجينية» الذي جاء معاصرا له؛ كانا اعتراضا على الديانة البرهمية، واعتراضا على تعنت رجال الدين البرهمي، وعلى طغيانهم، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون مذهبه ديناً إذا كان هو جاء بمذهبه لمعارضة وإبطال الديانة البرهمية؟!

١٠ - هدفنا من هذه المقدمة وتلك الملاحظات: أن نبه إلى أن حديثنا عن الأحداث التي واكبت ميلاد «بوذا سِدَّارْثا»، وعن الأساطير التي يكتبها أتباعه عنه، إنما نحكي فيه ما يعتقدُه هؤلاء، مع يقيننا أنها أساطير لا حقيقة لها، وأنها من نسج خيال البوذيين.

١١ - هنالك أمور حقيقية في هذا القصص المتعلق بـ«بوذا سِدَّارْثا»، لا يجوز أن نضعها ضمن ما ذكرنا من أساطير؛ بل هي أمور ثابتة، من هذه الأمور: أن أباه كان ملكاً على إحدى الإمارات التي تسكنها قبيلة «ساكيا Sakyas»، وأن هذه المملكة أو الإمارة كانت في نفس المكان الذي فيه «نيبال» الآن، أو قريباً منها... إلى آخر ما نذكره من وقائع حقيقية في حديثنا عن أسرة ومولد «بوذا سِدَّارْثا».

وبعد عرضنا هذه النقاط يمكننا الآن الحديث عن نشأة بوذا وأسرته، فنقول:  
 في إحدى المناطق الهندية التي تقع شرق البلاد، وتتاخم سلسلة جبال  
 الهيمالايا، وتجاور مملكة تسمى «بنارس» وفي شمال نهر الجانج المقدس،  
 وقرب حدود مملكة «نيال»، ووسط الطبيعة الساحرة، والجمال الأخاذ، وفي  
 أرض ممتدة خصبة فارعة الأشجار، طيبة الخمائل، كانت تقع مملكة تسكنها  
 قبيلة «ساكيا» Sakia. وكانت هذه القبيلة يحكمها بعض الأمراء الذين كانوا  
 على ثراء واسع، وآراء سديدة، وسيرة حسنة، وكانت القبيلة تكنُّ لهم حبًّا وودًّا؛  
 لعدالتهم ونزاهتهم، وسيرتهم الطيبة.

كان أحد حكام منطقة ساكيا اسمه «سدهودانا Suddhodana» يحكم هذه  
 القبيلة، وكان محبوبًا من شعبه، وأخذ من مدينة «كابيلا واو Kapila Watho»  
 مقرًّا لحكمه، وكان ذا ملك عريض، وقصور شاهقة، وكان متزوجًا من ابنة عمه  
 واسمها «مايا Maya»، وكانت جميلة محبة لزوجها، وكان هو غارقًا في حبها،  
 ولم يكن ينغص عليهما حياتيهما سوى عدم الإنجاب، وأنهما لم يرزقا بأولاد،  
 ومع أنهما بذلا كل ما يمكن أن يُبذل في مثل هذه الظروف من استعانة بالأطباء،  
 والسحرة، والكهنة وغير ذلك.

وبعد سنين تقترب من العشرين حُرِمَ فيها من الأولاد، شاء الله وحملت  
 الزوجة حملًا خفيًّا، ثم في سنة ٥٦٣ ق. م<sup>(١)</sup> وضعت الزوجة ابنها الوحيد، وقد

(١) التاريخ هنا تقريبي، ومختلف حوله؛ إذ يؤرخ بعضهم لميلاده بأنه ٥٦٨ ق. م، وهو أيضًا تاريخ تقريبي،  
 ولكن يهمننا هنا أن نقرر أن التواريخ رغم الاختلاف حولها لا تمثل أمرًا جوهريًّا في الموضوع، فسواء =

أطلق عليه الأبوان اسم: «سدهارتا - Siddharta».

ولعله ينبغي أن نذكر هنا شيئاً من الأساطير التي يؤمن بها البوذيون، والتي يسمونها معجزات أو إرهابات أحاطت مولد بوذا، أو أحداثاً عجيبة مبشرة بمولد بوذا، فلقد نسج البوذيون حول مولد بوذا أساطير وخرافات، وأحاطوا المولد البوذي بهالاتٍ من القدسية وخورق العادات، وهذه التي نسميها نحن أساطير وخرافات، يؤمنون هم بها على أنها حقائق يقينية لا يخالطها شك أو ريبة. من هذه الخوارق: أن بوذا عندما وضعت أمه غرقت جميع العوالم الأرضية والسماوية في الأنوار، وانقشع الظلام، وساد السلام، وقد استعاد العميان أبصارهم، واسترد الصمُّ أسماعهم، وانطلقت ألسنة البكم بالكلام، وانتصب الحُذْب، واعتدل العُرج، وسلم كل ذي علة من علته، ولم يُعُد على الأرض صاحب عاهة إلا برئ من عاهته، كل هذا ببركة المولود المبارك؛ ليكون باستطاعة الجميع الاشتراك في تعظيم وتقديس المبارك، فالعمي يرونه، والصم يسمعونه، والبكم يخبرون عنه، والعرج والمقعدون يسعون إليه، ولا تقف عاهة بصاحبها عن الانتفاع بهذا المبارك.

وحتى الطبيعة نفسها شاركت في هذا العرس الإلهي، فالمياه القذرة أصبحت صافية نقية، والسماء التي تحجبها الغيوم أضحت خالية، براقة النجوم، وصدحت

= كان الصواب هو التاريخ الأول، أو الثاني، أو كان تاريخاً ثالثاً غيرهما؛ فوجود الوقائع المؤرخ لها حق لا ريب فيه، وهذا هو جوهر الموضوع.

الطيور بموسيقاها، وفرحت الملائكة فرحًا مباركًا بالمبارك وكان فرحها مباركًا؛ لأن فرحها لم يكن أنانيًا قصرًا عليها لأنهارأت ميلاد المبارك؛ بل لأن ميلاد المبارك كان إيذانًا بالخير والإنقاذ للبشرية كلها، حيث سيكون ميلاد المبارك عائدًا بالخير على الخلق جميعًا، وسيخفف من شقائها، ويقربها من ساعة الخلاص، وهكذا سعد الوجود كله بميلاد المبارك، ولم يكن في مقدرة أحد أن يحمل في نفسه ذرة من حقد أو شقاء سوى الشيطان الذي كان وحده يمتلئ حقدًا وغلاً وشفاء.



### ولادة بوذا المبارك:

كانت أم بوذا سعيدة بحملها، وقد أخبرها الكهان والمنجمون أنها تحمل في بطنها ذكرًا، وذلك أسعدها وزوجها؛ لأنه أخيرًا سيكون لهما ولد ويكون حاكمًا بعد أبيه، وعندما دنت أيام الولادة استأذنت والدة بوذا -مايا- أباه الملك في أن تذهب إلى أسرتها لتلد هناك.

ورحب الملك المحب، الذي ما كان يحتمل أن يرفض طلبًا لزوجته التي يحبها؛ ومن ثمَّ أذن لها في زيارة أهلها في موطن قبيلتها، وقد اتَّخذت كل ما يمكن أن يُتخذ لهذه الرحلة المملكية التي تضم امرأة الملك وفي جوفها وريث العرش.

وقد وفر لها القائمون على الرحلة جميع وسائل الراحة المتخيَّلة، وسار الموكب الملكي يشق طريقه، والملكة في هودجها وسط الغابات الغناء، والجنان

المزدانة بأجمل الورود والرياحين، ومن حولها خدمها وحشمها، ورأت الملكة أنواع الزهور والرياحين، ومن حولها يضوع الجو كله بالروائح العطرة.

وقد تاقت الملكة أن تستريح قليلاً في هذا الجو الجميل الخلاب، فسارع من معها من الخدم لتلبية رغبتها، وتركت الملكة مركبها وهودجها وجلست حيث هُيئ المكان لراحتها.

وبينما هي في جلستها المريحة إذا المخاض يفاجئها، فجلست تحت شجرة من أشجار «السَّال» المقدسة<sup>(١)</sup>، وهنا يروي البوذيون أن الملكة رأت أن تستمسك بفرع من فروع هذه الشجرة مرتفع عنها، وإذا الفرع قد تدلَّى لها حتى أمسكت به واستندت إليه حين وضعها مولودها.

ويقول البوذيون: إن «براهما» الإله قد أرسل إلى أم بوذا أربعة من الملائكة نصبوا حولها شبكة من خيوط الذهب، حيث تلقَّوا الوليد المبارك في هذه الخيمة الذهبية، حيث خرج الوليد من جنبها الأيمن - على خلاف ما يقع للنساء حين يلدن - وقد خرج الوليد كالبدر المنير أو كالشمس المشرقة، فملاً نوره كل الدنيا من حوله، ووقع الكثير من الخوارق التي ذكرنا طرفاً منها.

ونذكر - بحول الله تعالى - أموراً أخرى من هذا القبيل لنعرف من خلالها مكانة

(١) يطلق على هذه الشجرة أسماء كثيرة؛ منها: «شجرة بلاشكا»، ولا مشاحة في اختلاف الأسماء إذا كان المسمى واحداً ومعروفاً متعيناً، وهذه الشجرة قديمة ضخمة، نفعها عند الناس في خشبها، وما زال البوذيون يقصدونها.

«المبارك» عند البوذيين؛ من تلك الأمور: ما يذكره البوذيون أن الملائكة قد تلقوا الوليد، ثم قدموه إلى أمه قائلين: «اسعدي أيتها الملكة، فلقد رزقتِ طفلاً سيكون الأعظم في العالم كله»، وقد أسمته أمه «سِدَّارثا Siddartha»، وقد ماتت أمه الملكة «مايا Maya» بعد أسبوع من ولادته، فحضنته خالته «مهاياباتي Mahayabaty».

ومن الروايات التي يُعنى بتأكيدھا البوذيون: أنه في اليوم الذي وُلِدَ فيه بوذا -سِدَّارثا- ولدت فيه المرأة التي تزوجها بعد أن بلغ السادسة عشرة من عمره واسمها «ياسوذارا أو ياسودهرا Yasodhara»، وقد خلق الله كذلك نوعاً جديداً ومباركاً من الشجر اسمه «شجرة البو Bo.tree» وهي نفس الشجرة التي قُدِّرَ لبوذا بعد ذلك حين تنسَّك وطلب الحقيقة أن يجلس تحتها، وأن يوجي إليه الإله براهما بالحقائق الأربعة والفروع الثمانية.







## البَابُ الْأَوَّلُ

في معرفة بوذا ونشأته ومعرفة مبادئه  
وأصوله ونشره مذهبه وأيامه الأخيرة

الفصل الأول: نشأة بوذا والعوامل المؤثرة.

الفصل الثاني: الحياة الروحية عند بوذا.

الفصل الثالث: سَدَّارثا في قلب التجربة.

الفصل الرابع: بوذا يتلقى الإِشْراقَة.

الفصل الخامس: بوذا ينشر مبادئه.

الفصل السادس: عقبات وعراقيل في طريق الدعوة.

الفصل السابع: الأيام الأخيرة في حياة بوذا.





## الفصل الأول

### نشأة بوذا والعوامل المؤثرة



نشأ بوذا في بيت أبيه بين أبوين محبين، قد توفرت له كل عوامل السعادة المادية التي يتمناها كل مولود، فأبوه حاكم تلك البلاد وأميرها، وأمه سيدة نساء البلاد، تلك البلاد التي تسكنها قبيلة «ساكيا» أو «ساكياموني»، وقد توفرت له القصور الفارهة، والحدائق الواسعة، والثراء بلا حدود، كل ذلك يحوطه حب والديه وحرصهم، وذلك الحب سبقه عشرون عامًا من الشوق إليه، والتطلع إلى وصوله، يزيد على ذلك كله ما ينتظر ذلك الوليد من مستقبل عريض، فهو وليُّ عهد والده، والملك من بعده، والخليفة المنتظر.

لكن هذا النعيم، وهذه السعادة نغصها موت والدته بعد أسبوع من ولادته، وكان والده الملك يحبها حبًّا كبيرًا، وقد عوضه عن ذلك وعفى على ذلك الحدث المؤلم رعاية خالته «مهاياباتي Mahayabathi» له، وعنايتها به، وقد تزوج والده الملك من خالته «مهاياباتي» واستقرت الأسرة الصغيرة، وبدأ الطفل يسير نحو النمو بصورة طبيعية، يرفل في النعيم، ويحوطه جيش من الخدم، وجميع رغباته وشهواته أوامر ينفذها جميع من حوله، الذين لا همَّ لهم إلا إسعاده.

لكن الطفل مع مرور السنين بدأ يشغل بال والده الملك، وكان والده يتوجَّسُ خيفة من تلك العلامات التي واكبت ميلاد الطفل - كما ذكرنا قبلاً - والتي تحكيها

الأساطير، وعلى كثرة الأساطير التي تُروى في هذا المجال كانت هناك أسطورة قد أفضت مضجع الملك، وملكت عليه حسّه ونفسه، وكان الملك يتوجس منها خيفة.

تقول الأسطورة التي ينظر إليها البوذيون على أنها حقيقة لا شك فيها: إنه كان هناك في الغابات التي تحيط بالبلاذ رجل يعيش في تلك البلاد، هو براهماني صالح يُسمّى «أزيتا»، ذو شهرة كبيرة بالعلم والحكمة، اشتهر كذلك في تفسير الإشارات والعلامات الغريبة، وحين وُلدَ بوذا أرسل الملك إلى هذا الرجل الحكيم كي يعرض عليه هذه المبشرات والعلامات التي واكبت مولد المبارك، وحين حضر هذا الحكيم ونظر في وجه الطفل ابتسم، ثم تنهّد وبكى، هنا دُعر الملك وملاه الخوف على طفله عندما رأى دموع القديس «أزيتا» الحكيم البراهماني، وسأله: لماذا بكيت أيها القديس، ولماذا سببت لك رؤية ابني ذلك الحزن الشديد، هل هناك خوف على ابني؟ فقال الرجل الحكيم «أزيتا»: أيها الملك؛ يجب أن تفرح فرحاً شديداً، وتملاً نفسك والدنيا من حولك سعادة؛ فإنك قد رُزقت ولداً نبيلاً عجبياً، لقد رُزقت المبارك المخلص الذي سوف يخلص البشرية كلها من آلامها ويُخلص الوجود من الشرور، وهو المبارك الذي سوف تتبارك به جميع الموجودات، والذي لم يولد مثله في جميع أركان الأرض الثمانية، ثم قال الحكيم للملك: لعلك تعجب من بكائي بعد تبسمي!! لقد تبسمت لأنني رأيت المبارك المخلص، وعرفت أنني حين رأيته قد انعتقت وتخلصت من تكرار المولد، وأن ساعتني قد حانت ولن أولد ثانية، لكنني بكيت بعد ذلك لأنني عرفت أنني لن أعيش حتى أراه وهو يدحرج عجلة الشريعة، وحين يخلص الناس من آلامهم.

عند ذلك سعد الملك واطمأن على ابنه، وقد كانت تلك النبوءة سبباً في أن يضاعف الملك الاهتمام بابنه، وكانت سبباً كذلك في قلق شديد انتاب الملك على ابنه، فالملك لم يكن يريد مخلصاً ولا مباركاً؛ بل كان يريد وريثاً له يرث عرش البلاد من بعده، وقد أخذ الملك يضاعف رعاية ابنه ويحاول أن يرسم له مستقبلاً يليق بوليِّ عهده ووريث عرشه، لكن القدر كان قد أعدَّ لهذا الابن شأنًا آخر، وقدّر له رسالة يقوم بها غير تلك التي يُعِدُّها له أبوه، وقد بدأ التحول في حياة الطفل منذ صغره، وكان القدر يعده لِمَا قدَّره على مهل!!



### أهم الأحداث التي أثرت في حياة بوذا منذ كان طفلاً:

ونستطيع أن نشير إلى أهم الأحداث التي أثرت في حياة «بوذا» منذ كان طفلاً؛ وذلك في نقاط:

١- أن المبارك -بوذا- قد كانت لديه من طفولته بصيرة نافذة، وتوجّه نادر، وقدرة عجيبة على دراسة كل ما حوله، وكانت لديه رغبة جامحة في فهم ما يدور حوله، وما تقع عليه عينه من وقائع وأحداث ومن أشخاص، وقد يمر الكثير من هذه الأحداث على الإنسان العادي فلا تحرك فيه شيئاً، ولا يلفت نظره منها شيء، لكن المبارك - بوذا - كان له شأن آخر، كان يفكر في كل شيء، وينظر في الأسباب وراء كل ما يرى، وينظر - كذلك - في العواقب، ويسأل نفسه عن كيفية علاج ما يرى من مشكلات.

٢- كان الفقراء والنسّاك الذين يسمّون في الهند «دراويش Darviesh»

يطوفون على البيوت يتسولون الطعام، وكان بوذا ينجذب إليهم ويحبهم، فكان أبوه يتوجس من هذا شراً، وقد أصدر أبوه أمراً إلى جميع العاملين والخدم بأن لا يسمحوا لل دراويش أو الفقراء أن يقتربوا من القصر أو حدائقه، وتوعّد بالويل كل من يُهمل أو يسمح لأجنبي أن تقع عين ابنه عليه.

٣- لذلك تعمّد الأب أن يبعد عن ابنه بوذا جميع صور البؤس والشقاء، وأحاطه بجميع ألوان الترف ومشاغل اللهو واللعب، كما تعمّد أن يحيطه بالفتيان والفتيات اللواتي هن من أترابه حتى يُنسيه شؤون الحياة ومشاكلها، فعاش بوذا وسط اللهو واللعب والموسيقى والرقص، ونما وكبر بين كل هذا، وكان له خادم ذكيّ محبّ له، متفانٍ في خدمته، جعله الملك رفيقاً لابنه، وشدّد عليه في أن يُغرق ابنه في الملذّات حتى لا تتحقق هذه النبوءات التي تُحكى حول ابنه وحول كونه مباركاً منقذاً للناس، أو محرّكاً عجلة الشريعة، إلى آخر ما قيل عن ابنه، كان الملك لا يريد منقذاً ولا مباركاً؛ بل كان يريد وريثاً لعرشه، ولياً للعهد، يتولى الملك من بعده، وقد جعل الملك الخادم المخلص «شانا- أو تشانا - Tchana» مرافقاً لابنه ومسؤولاً عنه، وكان تشانا هو الصديق الوفي قبل أن يكون الخادم الأمين.

٤- كبر الأمير الشاب، وبلغ السادسة عشرة، والملك عن طريق الخادم تشانا يملأ حياة الأمير بالفاهية؛ موسيقى، وفتيات، ورقص وغناء، وحياة كلها ترف، لكن الوالد -رغبة منه في شغل الأمير وليّ عهده عن التفكير في أي من شؤون الحياة- سارع باختيار زوجة لابنه الأمير، وقام الأمير بنفسه باختيار فتاة من بين المئات اللواتي عُرضن عليه، فاختر «ياشودهارا» ابنة عمه ملك قبيلة «كولي»،

وتم عقد المصاهرة بين المملكتين والقبيلتين، وقد رُزق الأمير الشاب بابنٍ أسماه «راهولا Rahola».

وازدادت سعادة الملك بحفيده الذي سيكون ولياً لعرش ابنه سَدَّارثا، واطمأن الملك إلى أن ملكه سيدوم في أسرته؛ منه إلى ابنه، ومن ابنه إلى حفيده.

٥- كان الأمير الشاب يعيش حياة الرفاهية والسعادة، لكن هذه كانت مظاهر خارجية يعيشها بوذا، أما في حقيقة الأمر فقد كان بوذا -سَدَّارثا- غارقاً في التفكير، مستغرقاً في التأمل، وكان يحب الجلوس أوقاتاً طويلة تحت شجرة الكمثرى -الأجاص- الكبيرة المعمرة في حديقة القصر الملكي، يفكر في العالم من حوله وفيما يملأ العالم من مأسٍ وشقاء، ثم يفكر في كيفية توفير السلام لهذا العالم والقضاء على ما يموج به من شقاء وآلام.

ظل الأمير سنوات تزيد على العشر وهو يفكر في الآلام التي تملأ العالم، كان الذي يرى الأمير يجده مشغولاً بالموسيقى والرقص والمتع الدنيوية، بينما واقعه كان ينبئ عن انفصال كامل بينه وبين حياة الرفاهية التي يحياها في القصر، كان يعيش في دنيا غير دنيا القصر والرقص والرفاهية، كان بينه وبين حياة القصر فجوة كبيرة لا يُفهم سببها، معه كل المتع، متوفرة له كل أسباب الرفاهية، لكنه لا يشعر بها، ويأنف الانغماس فيها... ثم ماذا بعد؟!!

٦- استأذن الأمير «سَدَّارثا» أباه الملك في أن يطوف أرجاء المدينة، وأن يشاهد المملكة خارج القصر، فوافق الملك، وأعدَّ لابنه عربية ملكية ركب فيها

الابن -بوذا- ومعه خادمه شانا، وخرجا معاً ليطوفا بالمدينة، وبينما يطوفان إذا هما يريان على جانب الطريق شيخاً هرمًا طاعناً في السن، قد تقوّس ظهره حتى كاد يلمس بوجهه الأرض، وقد تَغَضَّن جلدته، وذهب بصره، وسقط حاجباه على عينيه، وضعفت قوته، واعتمد على عصاه يدبُّ بها على الأرض يكاد يسقط هرماً وضعفاً وشيخوخة، فتوقف عن السير بالعربة، ثم سأل شانا خادمه: ما هذا؟ فقال له شانا: هذا إنسان هرمٌ طاعن في السن، قد بلغ من العمر أرذله؛ ولذلك هو هكذا، قال الأمير لخادمه: أو كل الناس يكونون كذلك؟ قال شانا: نعم ولا يستثنى من ذلك أنا ولا أنت، فإن طال بنا العمر صرنا مثل هذا الرجل، إنَّ هذه هي الحياة يا سيدي! وغرق سدارثا في التفكير، وركبه همٌّ ثقيل، كيف له أن يجنّب الناس هذه الآلام؛ آلام الشيخوخة؟!

٧- مرة ثانية، ولم يكن مرَّ على الحدث السابق أسابيع، حتى جاء الحدث الثاني؛ فبينما كان بوذا -سدارثا- يمشي بعربته المطهّمة وبجواره خادمه الأمين «شانا» إذا هو يرى إنساناً على جانب الطريق أمام كوخ متواضع فقير، والإنسان مريض يتلوى من الألم، يكاد يَعَضُّ الأرض من شدة ما يعاني من الألم، وأهله وأقرباؤه حوله يُطيفون به، لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا له شيئاً، ولا أن يخففوا من آلامه وأوجاعه، أو يهدّثوا من صراخه، ففزع الأمير، وتوجّه إلى خادمه شانا يسأله: ما بال هذا، وكيف يقف جميع من حوله دون أن يمنعوا عنه صراخه وتألّمه؟! فقال له شانا: هذا مريض اشتد به المرض، ولا يملك أحد له شيئاً يساعده أو يخفف عنه، إن هذا يا سيدي هو شأن الحياة مع الجميع، لا يستثنى من ذلك أحد.

٨- ومرة ثالثة؛ بينما الأمير يتنزّه في عربته الفاخرة ومعه رفيقه شانا، إذا هو يشاهد جنازة، رأى جماعة من الناس يحملون نعشاً أو محفةً عليها رجل فارق الحياة، وجميع من حوله يبكون، نساء يصرخن وأطفال يتحبون، والآخرين الذين يمشون معهم يلقُّهم الحزن والألم، لكنهم لا يستطيعون شيئاً لذلك الذي على المحفة أو داخل النعش، ولا يملكون شيئاً للذين يبكون من حوله.

فتوقف الأمير سدّارثا -بوذا- وسأل شانا عن ذلك الذي يراه، فقال له شانا: هذا ميت فارق الحياة، ولكن قبل أن يفارق الحياة كان مثلي ومثلك يمتلئ قوة ونشاطاً، لكن حانت ساعته ففارق الحياة، وخلّف وراءه أرملة تصرخ وأطفالاً يبكون، لكن هذا شأن الحياة ولا أحد يملك لها شيئاً!!

وانكفأ الأمير على نفسه يفكر في هذا الذي رآه، وقد امتلأ حزناً وهمماً، وأخذ الأمير -سدّارثا- يمعن النظر والتفكير في هذه الأمور التي رآها؛ ذلك الشيخ الذي يمشي وقد ذهب قوته وبصره ونضارته، وأخذ يجرُّ وراءه ثقل السنين وهموم الحياة، ينتظر الخلاص من هذه الحياة وآلامها، ثم ذلك المريض الذي يعاني الآلام الموجعة، ثم ذلك الذي فقد حياته ومات والناس من حوله يبكون...

وليته مات إلى غير رجعة، لكنه مات منه جسده، وسيعود مرة أخرى في ولادة ثانية يعاني مثل الذي عاناه في الحياة الماضية، وربما أكثر!!

الأمر إذًا ليس مقصوراً على آلام الشيخوخة، أو متاعب المرض، أو أحزان الموت؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لانتهى بالحالة الأولى من هذه الحالات؛ لكن المشكلة الأساسية في أن هذه الأشياء تتكرر ولا تنتهي، وذلك بتكرار المولد-

الذي يسمونه «التناسخ»- فلو كان الأمر مرة واحدة وينتهي لتحمل الإنسان ذلك، لكن المشكلة في التكرار، فهي آلام متجددة، ومتكررة ولا تكاد تنتهي.

لهذا استغرق في التفكير، وكان جماع فكره هو البحث عن علاج لآلام الإنسان في هذه الحياة، التي صارت هذه الآلام لصيقة بها، فلا حياة بدون هذه الآلام: الشيخوخة، المرض، الموت، ثم المشكلة الحقيقية هي السبب المتكرر لهذه الآلام، والذي يتمثل في التناسخ- أو تكرر المولد-.

٩- وفيما سدارثا- بوذا- مستغرق في فكره يبحث عن حل لآلام الإنسان، ويبحث لهذه الآلام عن سبب، ثم عن علاج لهذا السبب، ثم عن إمكانية هذا العلاج أو استحالة..

وفيما سدارثا مستغرق في تفكيره إذا هو يرى الأمر الرابع؛ الذي ينظر إليه البوذيون على أنه- وكذلك ما سبقه- من المعجزات الإلهية، فهي أساطير تحلُّ منهم محلَّ اليقين الذي لا يداخله شك.

قلنا: إن الأساطير البوذية تقول: إن بوذا وهو يفكر في الأمور الثلاثة وقد ركبهُ همٌّ ثقيلٌ؛ إذا هو يرى الأمر الرابع، حيث رأى بوذا تحت شجرة من أشجار الكمثرى- الأجاص- المعمرة الضخمة شبَّحَ شخصٍ جالسٍ- وقلنا: شبَّحَ؛ لأنه كان شخصًا هزيلًا نحيلًا كبير السن، متوشحًا بالوقار والسكينة- تحت الشجرة في سكون وهيبة، حين ذلك تقدَّم منه سدارثا، وقال له: من أنت يا شيخ، وماذا تفعل؟ فرد عليه الشيخ: أنا ناسك فقير، كدرتني وأحزنتني هموم الحياة، وبخاصة الشيخوخة والمرض والموت- الأمور الثلاثة التي تكدَّر منها بوذا- لقد فكرت

كثيرًا في طريق للخلاص من هذه الآلام، وقد هجرت حياتي السابقة وما فيها من متع ورفاهية، وجئت إلى هنا أبحث عن طريقة للخلاص من هذه الآلام. إن الحياة مليئة بالآلام، ولكن الناس تعودوا عليها، فلم يعد أحد يشعر بها، أو يفكر في طريقة للخلاص منها، لكن بقي هناك أمل واحد حقيقي؛ أن يبعث فينا آخر البوذوات، فالبوذوات هم الذين يخلصون الحياة من هذه الآلام، وهم الحقيقة الوحيدة في هذه الحياة.

١٠ - استبشر بوذا بهذا الناسك الذي رآه، واعتقد عن يقين أن مشاكل الحياة وآلامها قابلة للعلاج، وأنه سيكون له شأن في هذا، ثم عرف أن عليه أن يجتهد في هذا، وأنه سيكون السبب الرئيس في تخلص البشرية من آلامها.. هنا امتلأت نفسه بالفرح والسعادة الحقيقية.

لكن كان عليه أن يخلص نفسه من الروابط التي تربطه بحياته الأسرية، رابطته بأبيه، رابطته بابنه الذي وُلِدَ له وسماه «راهولا (Rahola)»، رابطته برفيقه وخادمه المخلص «تشانا».

وأهم من ذلك وأعم: رابطته بأهله وأسرته، والنعيم الذي كان يعيش، والرفاهة التي تعود عليها وألفها، ورَكِبَهُ خوفٌ كبيرٌ وفزعٌ عظيمٌ مما هو مُقَدِّمٌ عليه، وكان يمرُّ به العديد من الفقراء والنُّسَّاك الذين يتسولون طعامهم، يحملون في أيديهم أواني من خشب، يضع لهم الناس فيها ما فضل منهم من طعام، فيأكلون ثم يأوون إلى الغابات والأحراش، وكان صعبًا أن يتخيل نفسه واحدًا منهم، ولكن لا بد مما ليس منه بد!!



## الفصل الثاني الحياة الروحية عند بوذا

### أولاً: نداء الفطرة:

في هذا المبحث نلقي الضوء -بحوله تعالى- على البدايات الأولى التي بدأت بها حياة بوذا -سدارثا- الروحية، أو بمعنى آخر: نوضح كيف بدأت حياة سدارثا الروحية، وكيف كانت خطواته الأولى لهذا الطريق الطويل الذي سار فيه مكوّناً مذهبه الإصلاحية، الذي لم يكن ديناً، ولا أراد له صاحبه بوذا أن يكون ديناً، لكنه تحول إلى دين عند الأتباع على غير رغبة من صاحبه، ولعلنا نلقي الضوء على هذا الموضوع في محله من البحث- بحول الله تعالى-.

وتيسيراً على القارئ الكريم سوف نسجل أفكارنا في فقرات يسلم بعضها إلى بعض في معنى متكامل:

١- مرّ بنا في الفصل الأول الذي عقدناه للكلام على طفولة «سدارثا»؛ أن حياته منذ وُلد كانت مليئة بالترف والرفاهة والنعيم؛ كان أبوه ملكاً، وكان أبواه محرومين من الأولاد سنين تزيد على عشرين.

ثم رُزق به أبوه، فجاء على شوق ولهفة من والده الملك ووالدته الملكة؛ لذلك غمره والداه بال العناية والرعاية وأحاطاه بالنعيم والترف، وعاش الطفل يستمتع بذلك النعيم ويسعد بذلك الترف، يحيط به الأمراء والنبلاء، وتلتف حوله

فتيات القصر، وقد رأى الملك ذلك فازداد سروره.

٢- لكذا قد رأينا- أيضًا- أن الشاب وليَّ العهد استأذن والده وخرج إلى نواح من المملكة، ورأى فيها عددًا من المآسي؛ متمثلة في الشيخ الهرم، ثم في المريض الذي يتلوى من شدة الألم وحوله أهله وأبناؤه لا يملكون له شيئًا، ثم وجد الميت الذي لفظته الحياة والناس يبكون من حوله لا حيلة لهم إلا أن يوصلوه إلى مثواه الأخير، وقد تأثر الأمير الشاب بهذه الأمور وساءت نفسه، ورجع إلى قصره مهمومًا حزينًا.

٣- هنالك اشتد الملك في تحذير جميع من في القصر أن يتركوا الأمير يرى هذه المآسي مرة ثانية، بل منع الناس العاديين أن يدخلوا إلى القصر، وفي الوقت نفسه تعمّد أن يغرق الأمير الشاب في المتع المادية وأنواع الترف والنعيم، ثم أن الأوان - كما رأى الملك - أن يزوّج ابنه لعل الزواج يشغله عن التفكير في آلام الناس ومتاعبهم، وأسباب الشقاء التي هي وراء ذلك الشقاء وتلك الآلام، تلك الأسباب التي صار الأمير مشغولًا بالبحث عنها وعن كيفية القضاء عليها، ليستريح الناس من شقائهم ومتاعبهم.

٤- لاحظ والده أن الأمير في مستهل شبابه - بل في صباه - كان يميل بشكل ملحوظ ناحية الفقراء والمُعْدَمين - الذين يطلق عليهم لقب «الدرراویش» وينطق بالأردية أو الفارسية «دَرَفِيش» - وهذه الطائفة كان من المعتاد في البلاد - وحتى اليوم - أن يمرّوا بالبيوت والدُّور طالبين من سكانها الطعام، وكان الناس يضعون

لهم الطعام المتاح في أو انٍ أو صحافٍ يحملونها في أيديهم... نقول: كان الأمير سدّارثا- أو سدهارتا- يهتم لهؤلاء وينشغل بهم، وكان يتأثر لحالهم ويفكر طويلاً في كيفية توفير الطعام لهم، كان يشغله حالة الشقاء والفقر الذي يعانيه هؤلاء، وكان والده الملك يلاحظ هذا، ويشدّد على حراس القصر أن لا يسمحوا لهؤلاء وأمثالهم أن يدخلوا إلى القصر أو يقتربوا منه؛ حتى لا يراهم الأمير الشاب.

٥- كان الملك يعمل على أن يجنب الأمير الشاب هذه المشاعر ومسبباتها، فكان يركز جهده على أمرين:

أ- أن يمنع تلك المناظر عن الوصول إلى الأمير الشاب؛ حتى لا تشغله وتثير فيه تلك المشاعر الرقيقة التي تسبب له الآلام والتفكير في كيفية القضاء عليها.

ب- أن يشغل الأمير الشاب بالملاهي وأنواع الترف والإغراق في الملذات؛ وفي هذا المجال الثاني توَصَّل الملك إلى حلٍّ مهم يشغل الأمير الشاب عن كل ما حوله.

٦- فكر الملك في أن يزوّج ابنة الأمير الشاب لينشغل بزوجته وبما يُرزقون به من أولاد، وفعلاً جمع الملك عشرات الفتيات من بنات الأمراء والأثرياء، وأقام حفلاً جمع الكثيرات والكثيرين، ثم طلب من ابنة الأمير أن يختار من بينهن زوجته، وبالفعل اختار الأمير الشاب إحدى الفتيات الجميلات وهي ابنة لأحد الأمراء في المنطقة، وكان اسم الفتاة «ياسودهرا» وتم الزواج سريعاً، وحملت الزوجة ثم ولدت ابناً للأمير الشاب أسماه جدّه الملك «راهولا Rahoula».

٧- لكن الأمير الشاب كان في وادٍ والحفلات التي أقامها الملك أبوه بمناسبة قدوم حفيده «راهولا» في وادٍ آخر، كان الأمير «سدّارثا» قد استغرقه الشعور بالألم والشقاء الذي رآه متمثلاً في هؤلاء الثلاثة الذين مرّ بهم: في الشيخ الهرم، وفي المريض البائس، وفي الميت الذي رأى الناس يبكونه وهم يحملونه إلى مستقرّه الأخير، وكان قد استقر في نفس الأمير الشاب رغبة قوية في إدراك أسرار هذه الحياة، ثم في أن يدرك بعد ذلك أسرار تلك الآلام التي يعيشها الناس، وتحوّل حياتهم إلى شقاء دائم، وتعاسة لا مفرّ منها، إن الأمير الشاب قد أصبح عبداً لهذه الرغبة في معرفة أسباب الآلام التي يعاني منها الناس، وكيفية التغلب على هذه الأسباب، وبالتالي تخليص الناس من شقاء الحياة الذي رأى بعضه ممثلاً في الحالات الثلاث التي رآها.

وفي المقابل تخيل أنه قد أدرك أسباب الشقاء؛ ومن ثمّ عالجهما وقضى عليها، أو دَلَّ الناس على تلك الأسباب وكيفية التغلب عليها، وعاش الناس سعداء بعد أن تخلّصوا من الشقاء والآلام التي رأى بعضها<sup>(١)</sup>.

تخيل الأمير ذلك بعين قلبه، وتمناه، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فظلت الأمنية تطارده حتى تحولت إلى هاجس شبه مرَضِيٍّ، توهم الأمير أنه توصل إلى أسباب الآلام التي تؤرق الإنسانية وأنه عالجهما، وأن الإنسانية بعد ذلك عاشت سعيدة بلا آلام ولا شقاء.

(١) يذهب كثير من المؤرخين للبوذية إلى أن جميع ما يُحكى عن حياة بوذا الأولى وشبابه والأحداث التي مرت به - ومنها الحالات الثلاث - إنما هي من نسج خيال أتباعه، وأن شيئاً من ذلك لم يقع، وأن فترة شبابه شابها الأساطير التي وضعها هؤلاء.

٨- وحين تمكنت منه هذه الرغبة تحولت إلى هاجس يقض مضجعه، إلى حدّ أن أباه الملك وجميع من حوله ظنوا أنه أصيب بلوثة، وظن البعض أن ذلك يرجع إلى شدة فرحه بابنه «راهولا».

لكن «سِدَّارُثَا» كان قد تملّكت به رغبة قوية في تحقّق رغبته التي أشرنا إليها، إلى حدّ أنه أخذ يعيش أحلام اليقظة، ويتخيل أموراً قد لا تكون حقيقية، وكل أحلامه تدور حول الآلام التي يعاني منها الناس، وكيفية إدراك أسبابها وعلاجها. وفيما هو كذلك إذا هو يرى - بعين خياله أو بعين الحقيقة - شبح راهب زاهد متبتل جالس تحت شجرة من أشجار حديقة قصره، وقد ارتدى زداء برتقالياً أصفر. وكان الراهب شيخاً طاعناً في السنّ، لكن صحته طيبة، ومنظره يوحي بالثقة بالنفس والشجاعة والقوة، وكان يتسم بضبط النفس ويقظة العقل، واتزان الفكر، والفهم الناضج لكل ما حوله، وعندما نظر إليه «سِدَّارُثَا» ابتسم له الشبح - أو الشيخ الجالس تحت الشجرة - ابتسامة خفيفة، ثم ركّز عليه نظراً ثاقباً، وصمت طويلاً بينما نظره موجّهٌ إلى سِدَّارُثَا... والعجيب في الأمر أنه في نظره الطويلة الثاقبة قد وجّه إلى «سِدَّارُثَا» رسالة تلقّاها سِدَّارُثَا كاملة واضحة بيّنة، وقد فهمها بكل تفاصيلها أوضح مما لو نُقلت إليه كلاماً، لكن ما مقتضى هذه الرسالة، أو ما تفاصيلها؟

إن الرجل الراهب -الذي ربما رآه «سِدَّارُثَا» بعين قلبه أو خياله- وجّه إلى «سِدَّارُثَا» رسالة يأمره فيها بأن يهجر حياة الترف والنعيم، وكل مظاهر الرفاهية،

وأن يودّع حياة الدّعة والراحة، وأن يدفع بنفسه في الطريق الذي رسم له ليصل إلى الحياة الروحية التي أُعدّ لها، وليبدأ حياة الجد والبحث عن الحقيقة التي قد تساهم في إنقاذ الناس من الشقاء والتعاسة التي يعانون منها<sup>(١)</sup>.

ويغلب على الظن أن هذه كانت من أحلام اليقظة، لكن «سدارثا» كان قد وصل إلى مستوى من الوعي المضطرب حدًّا لا يستطيع التفرقة فيه بين ما هو خيال وما هو واقع.

كانت هذه الحادثة فاصلة في حياة سدارثا، حيث تسلطت عليه فكرة أن يودّع حياة القصر ومن فيه، ويهيم على وجهه طالبًا الحقيقة التي يبحث عنها، وقد بلغ عزمه على ذلك حدًّا فاصلاً، ولم يبق إلا التنفيذ.

٩- في هدأة الليل الساجي، وفي سكون كل مخلوق في القصر أو حديقته تحت سلطان النوم، انتظر سدارثا المبارك حتى غطّ الجميع في أحلامهم، ثم ألقى على الجميع نظرة وداع، ودخل على زوجه وولده فودّعهما الوداع الأخير، ثم ركب حصانه وخرج من أبواب القصر دون أن يشعر به أحد سوى خادمه الأمين «تشانا»، حيث أيقظه وطلب منه أن يسرج له الحصان، ثم اصطحبه معه إلى حيث هو ذاهب.

ويروي البوذيون -كعادتهم في كل ما يتصل ببوذا- أن الرحلة المباركة التي

(١) أشرنا قبلاً إلى أن الكثير مما ينسب إلى بوذا -وبخاصة في فترة شبابه- هو من خيالات أتباعه كلها أو جُلّها، وهذه التي معنا لعلها كذلك، وإن كانت صادقة ولو في بعض جوانبها فلعلها من أحلام اليقظة.

انتقل فيها سِدَارُثَا من القصر إلى شاطئ نهر «أنوما Anoma» قد أُحيطت بالآيات الباهرات التي هي من صنع الملائكة.

فقد كانت الليلة مقمرة وكان القمر بدرًا يملأ نوره جميع الأنحاء، وكان الحصانان -حصان الأمير وحصان تشانا- قد أغلقت المخلوقات النورانية فَمَيَّهَمًا حتى لا يَصْهَلَا فيوقظا مَنْ في القصر، وكانت أبواب القصر مغلقة بإحكام شديد، موصدة مثل كل الأيام، لكن ملائكة النور قد أغلقت فَمَيَّ الحصانين، وفتحت أبواب القصر على سَعَتِهَا، ومنعت حوافر الحصانين أن تلامس الأرض حتى لا يُسْمَع صوتها، ثم سارت ملائكة النور في حراسة الموكب الصغير المكون من المبارك -سِدَارُثَا- وخدامه حتى قطعاً شوطاً كبيراً، وصلا في نهايته إلى نهر «أنوما» حيث نزلا بشاطئه.

وهناك أمسك الأمير بسيفه فقطع ذوائب شعره المتهدل حول وجهه، ثم خلع جميع الحُلِيِّ التي كان يتحلَّى بها من ذهب وجواهر، وخلع ملابسه التي يلبسها الأمراء، واستبدل بها ملابس الخادم «تشاننا» ثم أعطى له كل ذلك بعد أن لبس ملابس خادمه، وسلم كل أغراضه التي تدل على الإمارة، ثم أمر الخادم أن يذهب بها إلى القصر بمدينة «كايلافاستو» وطلب إليه أن ينبئ أباه بأمر، وهو أنه لن يرجع إليهم ثانية، وأن لا يحاولوا البحث عنه أو الاتصال به، أما هو فلو تيسَّر له في أي يوم فسوف يتصل بهم؛ مِنْ ثَمَّ حمل تشانا كل ذلك ورجع إلى قصر الملك بمدينة كايلافاستو، وأعطى الملك متعلقات سِدَارُثَا.

١٠- من الأمور ذات الدلالة: أن سِدَّارْتَا -بوذا- حين خرج من القصر متسللاً ومعه خادمه حتى وصل ليلاً إلى شاطئ النهر المذكور، ثم قطع ذوائبه وبدل ملابسه وأعطى كل ذلك مع جواهره لخادمه، فرجع هذا بها وأعطاهما لوالد سِدَّارْتَا، حين حدث ذلك لم نسمع أن والد سِدَّارْتَا قد بحث عن ابنه الأمير، أو كلف الخدم والعاملين عنده أن يبحثوا عنه، أو أنه بذل أذنى مجهود لمحاولة إعادة ابنه إلى القصر أو إلى الأسرة المالكة، وهذا العمل هو من الأمور البدهية التي لا يختلف أحد عليها، بل نرى أن جميع الروايات في هذا المجال تنتهي عند خروج سِدَّارْتَا الأمير من القصر وجلسه بضعة أيام على ضفاف نهر «أنوما Anoma» قبل أن ينسلك في سلك الرهبنة والرهبان، وإنه لأمر عجيب أن يترك الملك ابنه دون أن يبذل أية محاولة لإرجاعه عما انتواه وفعله!!

وهذا لا يمكن أن يفهم إلا في ضوء واحد من أمرين:

الأول: أن يكون الملك والد سِدَّارْتَا قد يئس من ابنه الأمير بعد كل المحاولات التي بذلها عبر السنوات الطوال التي مرّت، والتي حاول الأب الملك أن يلفت ابنه الأمير ويشغله عن هذا الذي انتواه من الانخراط في سلك الرهبنة، والانشغال بالمشاكل الحياتية للناس، والبحث عن علاج لجميع مآسيهم. لقد حاول الأب عبر السنوات التي مرت من حياة ابنه ووليّ عهده أن يبعده عن هذا الاتجاه ويلفت نظره إلى متع الحياة ونعيمها، ولقد مرّ بنا وصف ما فعله الملك كي يبعد ابنه عن هذا الخاطر، ولما فشل الملك أخيراً، واكتشف أن ابنه قد فرّ من القصر ليزاول حياة الرهبنة؛ أدرك أنه لا فائدة من تلك المحاولات التي يبذلها؛ إذاً فليترك ابنه

وما اختار لنفسه، حيث لا فائدة تُرجى منه، ولا وسيلة تنفع معه.

الثاني: أن يكون من عقيدة القوم أن من ذهب من بيته، أو خرج من جماعته، وأسلم نفسه للرهبنة ودخل فيها، فيلزم الجميع أن يُسَلِّموا بذلك، وأن يخضعوا لهذه الرغبة، ويحرم عليهم أن يحاولوا إرجاعه عن هذه الرغبة.

وقد يكون ما حدث من سِدَّارثا قد جمع بين الأمرين، حيث يكون أبوه قد يئس منه، وأدرك أنه لا فائدة تُرجى من مقاومة تلك الرغبة، وأنه قد بذل قبل ذلك كل ما يستطيع ولكن ذلك لم يفلح، يضاف إلى ذلك أن مقاومة هذه الرغبة حرام، بخاصة وأن صاحبها قد أسلم نفسه للرهبنة فعلاً، وأصبح واحداً منهم، وعلى الملك أن يسَلِّم بذلك، وقد يساعد الملك على الاستغناء عن ابنه وتركه ما اختار لنفسه من الرهبنة؛ وجود حفيده «راهولا» الذي قد يكون فيه الغناء عن أبيه «سِدَّارثا»، ولا يتطلب الأمر سوى أن تنتقل ولاية العهد من سِدَّارثا إلى ابنه راهولا.



### ثانياً: بين بوذا والشيطان:

حرص كثيرون ممن يكتبون عن بوذا -سِدَّارثا- أن يربطوا بين تركه الإمارة وخروجه للرهبنة والبحث عن الحقيقة وبين محاولات «الشيطان» صَرْفَه عن هذا الاتجاه، وإبقائه في قصر أبيه، والحيلولة بينه وبين البحث عن الحقيقة، ومحاولته علاج أدواء الناس والقضاء على أسباب الشقاء والتعاسة التي يعيشها الناس، ولكن محاولاته مع سِدَّارثا فشلت جميعها، ونجح سِدَّارثا في الوصول إلى أن

يصبح «بوذا الأكبر».

وهذه المحاولات، أو هذا المنهج القائم على المحاولات التي يبذلها الشيطان للقضاء على ما فيه خير الإنسانية، أيًا كان مكانها وزمانها؛ نقول: هذه المحاولات وذكرها والتضخيم من شأنها إنما هو منهج متَّبَع، وطريقة معروفة ومألوفة عند كل من يكتب تاريخ الأديان.

وقد اشتهرت هذه الطريقة لدى النصارى في كتبهم التي يزعمون أنها أناجيل تروي قصة المسيح - عَلَيْهِ السَّلَام - وبرأه الله - تعالى - مما يقولون، ولعل كُتَّاب الأناجيل النصارى قد أخذوا هذه الطريقة عن المؤرخين للبوذية الذين كتبوا عن تاريخ بوذا؛ إذ البوذية أسبق من ظهور المسيح ابن مريم، حيث ذكر كُتَّاب الأناجيل النصارى أن الشيطان قد حاول إثناء المسيح عن دعوته، وأجرى معه ثلاث محاولات، ولكن المسيح قد انتصر على الشيطان، كذلك فعل مؤرخو البوذية أن بوذا قد جرت عليه أمور ثلاثة قبل دعوته، تلك الأمور التي تمثلت في الشيخ الهرم، ثم في المريض، ثم في الميت...

ثم ذكروا بعد ذلك محاولة الشيطان معه كي يثنيه عن أداء مهمته في معرفة الشقاء الذي تعاني منه البشرية، واكتشاف أسبابه، ثم وسائل علاجه، وتخليص البشرية كلها من هذا الشقاء وهذه التعاسة، والقضاء على العوامل المنتجة له.

إن الشيطان - فيما يحكي البوذيون - قد بذل عددًا من المحاولات لإثناء سِدَّارثا عن أهدافه، وليس محاولة واحدة، وقد ذكرنا أن المشكلات التي شغلت

سِدَّارْتَا كانت ثلاثاً، وكذلك كانت محاولات الشيطان مع بوذا ثلاثاً، ويبدو أن العدد «ثلاثة» له عندهم خاصية معينة، وأن محاولات الشيطان مع سِدَّارْتَا عادت أو ماثلت الحالات الثلاث التي حَيَّرت سِدَّارْتَا وفتت تفكيره تجاه شقاء الناس. على أن ثمة أمراً مهمًّا نلفت النظر إليه، قبل أن نتكلم عن محاولات الشيطان مع سِدَّارْتَا -بوذا- ذلك أن الاعتقاد بوجود الشيطان هو مثل الاعتقاد في الإله، كلاهما يخرجان من باب الاعتقاد في الغيبات، ورأس الغيبات: الاعتقاد في وجود الإله، فإذا ما كان سِدَّارْتَا لا يؤمن بوجود الإله -والإله رأس الغيب- فكيف يؤمن بوجود الشيطان، وهو من عالم الغيب لا يرى ولا يُحَسُّ؟! لكننا فقط ننبّه إلى أمرٍ -وغيره كثير- لدى عقائد البوذيين يقبلونه ويعتقدونه، مع أنه مناقض لما كانت عليه دعوة المبارك سِدَّارْتَا، حيث كان لا يؤمن بوجود إله، بل ربما كان في أُخْرِيَات حياته يهزأ ويسخر ممن يذكرون الإله.

وله في ذلك مثالان شهيران في السخرية مِمَّن يبحثون عن الإله أو يتحدثون عنه؛ هما: الذي يتوجع من شدة الحب لحبيبة هو لا يعرفها ولم يرها؛ والمثال الثاني: هو الذي بنى السُّلَّم قبل أن يعرف مكان البيت الذي سيوضع فيه.

على كلِّ نحن ننقل ما قيل عن بوذا من قِبَل البوذيين فيما يتصل بمحاولات الشيطان منعه من القيام بإنقاذ الناس من شقائهم وإزالة أسباب هذا الشَّقاء، وسننقل الأمور الثلاثة:

أ- عندما ألقى سِدَّارْتَا النظرة الأخيرة على زوجته وابنه، ثم ركب حصانه

وانطلق خارجًا من القصر، رأى الشيطان ينتظره عند باب القصر، وعندما رآه الشيطان خارجًا ناداه بصوت ارتجّت له الأنحاء، وقال له بأسلوب الناصح المحب قائلاً: «إلى أين تذهب أيها الأمير وتترك المملكة؟!» إن المملكة سيُعهد إليك بحكمها بعد سبعة أيام، وسوف تكون أنت الملك المطاع، بل وستكون سيّدًا على جميع القارّات من حولك!!

لكن بوذا -سِداّرثا- أجابه: أنا أعرف أن حكم المملكة سيُعهد إليّ بعد وقت طويل أو قصير، لكن حكم المملكة ليس هو الذي أبحث عنه؛ ولكنني أسعى إلى أن أكون «بوذا»، أسعى لأن أسعد العالم كله.

ب- لما وصل سِداّرثا إلى الرهبان الخمسة المقيمين في دغل مدينة «أرُوفيلنفا»، ولكنه حين رآهم ورأى فعلهم استحقر ما يفعلون، لذلك اجتهد وجدّ، وكان همّه أن يميت جميع حواسه، ويتغلّب على جميع شهواته، وأخذت السُّنُونُ تمرُّ وسِداّرثا لا يطلب منهم ولا من الدنيا سوى حبة أرز واحدة يعيش عليها في كل يوم، وقد ظلّ سِداّرثا على ذلك ستّ سنوات، حتى هزل وضعف وأضحى أشبه بشبح إنسان... هنالك تقدّم منه الشيطان منتهزًا فرصة جوعه وضعفه وهزّاله، وقال له: لقد هزلت وضعفت وأصبحت إلى الأموات أقرب منك إلى الأحياء، وما الذي جنيته من وراء حرمانك هذه السنين كلها؟! لو أنك تقبّلت نصيحتي وأقدمت على الطعام والشراب، وعدت إلى مملكتك، فإنك ستقوم بأعمال عظيمة تخدمك وتخدم شعبك وتنفع الناس.

لكن سِدَّارْتَا - بوذا - أجاب الشيطان: إنك لا تياس أبداً، إنك الشَّرير، وصديق كل الشَّريرين، وصديق الكُسَّالى والمرائين، إن هزال الجسم دليل على قوة الفكر، إني أفضّل الموت على أن أطيعك، ولن أرجع عمّا أنا فيه حتى أصل إلى الحقائق كاملة.

ورجع الشيطان خاسراً يقول: حاولت مع المبارك سنين طويلة ففشلت، لكنني لن أتركه حتى ينشغل بإمارته ويترك الناس يعانون الشقاء والتعاسة.

ج- كان الشيطان يعيش كل مرة يفشل فيها من إغواء «سِدَّارْتَا» المبارك في قمة التعاسة؛ لفشله في إغواء المبارك سِدَّارْتَا، لكن ذلك كان يزيده إصراراً على تحقيق هدفه، ووقف الشيطان ينتظر؛ ماذا سيفعل سِدَّارْتَا.

رأى الشيطان «سِدَّارْتَا» المبارك يتجه إلى الشجرة المقدسة، وهي شجرة كبيرة الحجم إلى حدّ أنه لا يوجد في ضخامتها شجرة أخرى في الغابة كلها، وسقط الشيطان في همّ كبير؛ إن هذه الشجرة مباركة، وسِدَّارْتَا رجل مبارك، ويسعى أن يصير «بوذا»، فإذا جلس المبارك تحت الشجرة المباركة فقد صعب الأمر على الشيطان أكثر من ذي قبل... هنا استعان الشيطان بأولاده من الشياطين لكي يتغلب على بوذا، ولكن بوذا - سِدَّارْتَا - ذهب في هدوء وجلس تحت الشجرة المباركة المسماة: «البو تري Bo-Tree» وأسند ظهره المتعب إلى ساق الشجرة وذهب في تفكير عميق.

هنالك شعر الشيطان أن هذه آخر المحاولات، وأهم المنازلات بينه وبين

سدَّارثا، فجمع جميع جنوده من الشياطين، وكذلك بناته من الشيطانات ليتغلبوا على المبارك «سدَّارثا»، فأحدث الشيطان وأولاده زوبعة كبيرة في المحيط، جعلته يتزلزل، وجعلت ماءه يزمجر، وأمواجه تعلو وتهبط، ثم نظر الشيطان إلى المبارك فإذا هو هادئ مطمئن مبتسم في دعة وهدوء. هنالك بذل الشيطان آخر محاولاته، حيث أثار العواصف المرعبة التي اقتلعت بعض الأشجار من شدتها، واختفى نور الشمس وزمجرت الرياح، ولكن سدَّارثا -بوذا- لم يتأثر أو يلقي بالأللهذه الألاعيب الصبيانية التي لم تحرك فيه ساكناً، وظل على هدوئه وسكونه كأنه لا يشعر بشيء مما حوله.

هنالك يئس الشيطان وانصرف هو وبناته وجنوده إلى غير رجعة، وقد يئس أن يتغلب على المبارك المغبوط<sup>(١)</sup>.

وقبل أن نودع تلك المرحلة نكرر ما سبق أن ذكرنا؛ أن أصحاب الأديان الوضعية كثيراً ما يلجأون إلى تلك القصة التي رويت في كثير من قصص الأنبياء والمصلحين، نفس قصة الشيطان، ثم محاولاته، ثم فشله في نهاية الأمر.



(١) أطلق على «سدَّارثا» ألقاب كثيرة؛ منها: «بوذا»: الحكيم المُستنير، «بابودهيتفا»: البوذا المختر، «المغبوط»: المحبوب المختر، «المبارك»: ومعناه واضح، «ساكيا موني»: أي: الراهب من قبيلة ساكيا، «تاناجانا» المنقذ المنتظر أو المستنير الكامل، «جوتاما»: الراهب.

# الفصل الثالث

## سدّارثا في قلب التجربة

### سدّارثا يهجر حياة الأمراء:

خرج سدّارثا من بيت أبيه؛ ذلك القصر المنيف الذي كان بالنسبة إليه سجنًا كبيرًا يحول بينه وبين أداء رسالته، والوصول إلى مرحلة «البوذية»، وترك زوجته وابنه، وانطلق بحصانه حتى وصل إلى شاطئ نهر «أنوما Anoma»، ثم جزّ شعره بحدّ سيفه، وخلع جواهره وملابسه الأميرية، ووضع كل ذلك على ظهر حصانه، وصرفه ليعود إلى بيت أبيه، ثم جلس على ضفاف النهر يفكر في المرحلة القادمة التي هو مقبل عليها، وهنا تختلف الروايات اختلافًا يسيرًا، لكننا نحاول أن نوجز تلك المراحل في نقاط، صارفين النظر عن بعض مفارقات يسيرة هنا وهناك:

أقام سدّارثا على شاطئ نهر «أنوما» قرابة الأسبوع يفكر في حاله التي وصل إليها، ثم ماذا عليه بعد ذلك أن يفعل، ثم وهو في هذه الحال لا بدّ وأن يكون قد خطر بباله أنه ربما تعجّل في أمر لم يكن قد أحسن التفكير فيه، أو أدخل نفسه في أمر لم يكن أعدّ نفسه له الإعداد اللازم، لكنه ربما قد طرد هذا الخاطر من رأسه تمامًا، وأدرك أنه قد وصل إلى النقطة التي لا رجعة عنها.

هنا أدرك أن الخيارات لديه محدودة، لكن ليس من بينها العودة إلى حياته

السابقة!! وعند هذه اللحظة قرّر أن يُسلم نفسه إلى بعض الرهبان الذين سبقوه في هذا المضمار؛ ليأخذ عنهم التجربة، ويتعلّم منهم، ويهتدي بهم في طريق لم يألفه بعد، وإن كان من الحق - أيضًا - أن الطريق لم يكن من الصعوبة، ولم يكن ليسبب لسالكه حيرة كبيرة؛ وذلك لكثرة الذين يسلكونه، وكثرة الرهبان الذين تقع عليهم العين يمرون على الأبيات والدور يتكفّفون الناس لقيّمات يقيمون بها أصلاهم، ويسدّون بها جوعهم، فالرهبان كثر، ورؤيتهم مألوفة، لكن سداًرثا بحاجة لمن يقوده في هذا الطريق؛ وبخاصة أنه في البداية من جانب، ومن جانب آخر كانت نشأته السابقة تناقض هذا تمامًا.

### سداًرثا وحياة الرهبان:

عند ذاك حسم أمره، فهو يعلم قبلاً أن في إقليم «ماجادا Magadha» عند غابة «راجاجريها Ragagriha» يوجد راهبان شهيران من رهبان البراهمة، قد استغرقا في حياة التبتل والرهبنة، وانقطعا للعبادة، والتزما الشعائر الدينية على دين البراهمة، وقد اعتقدا أنهما - عن طريق العبادة والتبتل والتزام الشعائر الدينية - سوف يصلان إلى الحقائق الإلهية التي لا يوصل إليها إلا بطريقة الفيوضات اللدنية.

لكل ذلك الذي يعرفه سداًرثا عن هذين الراهبين - ولم يكن وحده يعرف هذا عنهما؛ بل كانت شهرتهما تسبقهما إلى البقاع المحيطة، وقد عرف الناس عنهم هذا ووثقوا فيهما - نقول: لكل ذلك شدّ سداًرثا رَحْلَه إليهما.

ومن حين وصل إليهما كأنه وجد ضالته فيهما، فجعل من نفسه مريداً خالصاً

لهما وجعلهما مثله وقدوته، أما هما فلم يهتماً به في بادئ الأمر؛ لأن أمثاله كثيرين قد تتلمذوا عليهما مثل سدازثا، لكن الجميع كانوا يفرّون منهما؛ وذلك لشدة قسوتهما على نفسيهما وأنفس من يريد اتباعهما، فما كان أحد ينجح في الاقتداء بهما، لكنهما بعد قليل من اتباع سدازثا لهما أدركا أنه نوعية خاصة، وأنه أخلص في الرهبة وفي سلوك الطريق، حتى عجزا هما عن فعل ما يفعله من الزهد والتقشف وترك الطعام والشراب؛ من هنا اتخذاه قدوة لهما، ولكنه بعد أن عاش معهما قريباً من عام على هذه الحال اكتشف أن زهدهما وتقشفهما أمرٌ ظاهريٌّ، وأنهما يحصران همتهم في ذات التقشف والزهد، دون النظر إلى ما ينظر إليه هو من البحث عن الحقيقة؛ لذلك تركهما وانطلق إلى مكان آخر سمع أن به رهباناً آخرين ربما كانوا أفضل وأعون له على الوصول إلى ما يريد.

يبدو أن الرهبان الزهاد - الذين كانوا يعيشون في الغابات والأحراش في هذه البلاد - لم يكونوا معزولين عن الآخرين تماماً؛ بل كان يعرف بعضهم بعضاً، وكانت أخبار كل منهم تصل إلى جميع من يعيش في الغابات الأخرى؛ بدليل أن سدازثا - وهو يعيش مع الراهبين المشهورين اللذين ذهب إليهما في بداية أمره - قد سمع عن رهبان خمسة يعيشون في غابة أخرى، وسمع عن إخلاصهم في الزهد والتقشف، فترك الاثنين اللذين كان معهما ووجه مسيرته تجاه هؤلاء الخمسة في مكان آخر.

ورحب به الرهبان الخمسة في البداية، مع شيء من التحفظ اللازم؛ حيث سمعوا عنه لكنهم لم يخبروا حاله.

ثم جلس سِدَارْثَا مع الرهبان الجدد، وقسا على نفسه، وقصد إلى إذلال ذاته، والانكسار في نفسه، ولزم تقشُّفاً يعجز عنه الإنسان، حتى قيل: إن غذاءه اليومي كان حبة واحدة من الأرز، وحتى رأى فيه الرهبان الخمسة ما يعجزون عنه من الزهد والتقشف وإذلال النفس؛ ومِنَ ثم اتخذوه قدوة لهم في الرهبة، ورغم أنه وجد حياة هؤلاء الخمسة لا تفترق كثيراً عن حياة الراهبين السابقين، إلا أن سِدَارْثَا تعب من الانتقال من هنا إلى هنا؛ لذلك لزم هؤلاء الرهبان الذين جعلوه قائداً لهم، وأقام معهم ست سنوات كاملة، لكنه في نهاية الأمر وجد نفسه حيث بدأ، لم يتقدم تجاه الحقيقة التي يبحث عنها؛ لذلك أدرك أن تقشُّف هؤلاء الرهبان الخمسة وزهدهم وتعذيب أنفسهم إنما هو عمل لا طائل من ورائه ولا فائدة منه؛ لأنهم يترهبون ويتقشِّفون لذات الرهبة والتقشُّف، لا لشيء وراء ذلك؛ لذا تركهم وترك الزهد والتقشف والقسوة على نفسه، بعد أن كاد يهلك من شدة التقشف وترك الطعام والشراب.

### عودة سِدَارْثَا إلى حياة الاعتدال:

ترك سِدَارْثَا كل ذلك وعاد إلى طبيعته الأولى؛ يأكل ويشرب ويعيش العيش الطبيعي الذي يألفه الناس جميعاً، عندها ودَّعه الرهبان الخمسة آسفين على ما آلت إليه حاله، فقد كان مثلاً للراهب الذي يقسو على نفسه فوق ما يتخيله العقل، لكن الذي فرَّق بينه وبين الرهبان الخمسة وبينه وبين الراهبين قبلهما في غابة «أوروفيللا» على حدود بلاد البنغال، لم يكن أسلوب الرهبة ولم يكن مدى قسوة التقشف وشدة الزهد، ولكن كان الذي فرق بينه وبين هؤلاء: هو الهدف من وراء الرهبة.

الراهبان أولاً، ثم الرهبان الخمس ثانياً، كانت الرهبنة عندهم هدفاً في ذاته لا يبغيون من ورائها شيئاً، أما سِدَّارُثَا - بوذا - فلم تكن الرهبنة عنده سوى وسيلة يبحث من خلالها عن الحقيقة، ويتوخى من ورائها الوصول إلى العرفان اللدني الذي يستطيع معه أن يعالج متاعب الناس، ويخلص المجتمع الهندي أولاً، ثم المجتمعات جميعها من أنواع الشقاء والآلام.

ولما فشل الترهين والزهد في إيصاله إلى هدفه؛ ترك كل ذلك وعاد حياته العادية، لكنه كان يعاني آلاماً نفسية وإحباطاً ويأساً؛ لذلك بحث عن شجرة في الغابة تصلح أن يستظل بها ويسند ظهره إليها، حتى وجد تلك الشجرة التي كان من حظها أن استند إليها سِدَّارُثَا.

لقد ترك سِدَّارُثَا حياة الرهبنة والتقشف، وترك غابة أوروبيلًا، وسار في ليلة مقمرة من ليالي الصيف، وأخذ يمشي في الغابة حتى أعياه المشي، ووجد شجرة مميزة من أشجار التين تسمى شجرة البو «Boo-Tree»، فأتجه نحوها وجلس تحتها، وأسند ظهره إلى جذعها الضخم وحين جلس تحتها واستند إليها أحس براحة عظيمة، وتلبَّسه هدوء عجيب، وداخَلَه شعورٌ بأنَّ هذه الشجرة كانت بانتظاره ليجلس تحتها، أو أنه طوال السنوات التي مرت منذ خرج من بيت أبيه كان يبحث عنها، ثم داخَلَه يقين عجيب بأن الحقيقة التي يبحث عنها إنما ستأتيه في جلسته تلك، وأنه لا ينبغي أن يغادر هذا المكان حتى يصل إلى الحقيقة التي يبحث عنها؛ لذلك اعتدل في جلسته - شأن من ينوي إطالة الجلوس - ثم استقبل بوجهه مشرق الشمس، وحدث نفسه ملزماً إياها بذلك العهد قائلاً:

لِتَجِفَّ عِظَامِي، وَلِتَجِفَّ بَشْرَتِي وَعِضْلَاتِي، وَلِتَجْمَدَ دَمِي، وَلِيَجِفَّ جَمِيعُ مَا بِجَسَدِي مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ.. لِيَكُنْ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِيَحْدِثْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَلَكِنِّي لَنْ أَبْرَحَ مَكَانِي هَذَا وَلَنْ أَغَادِرَ مَجْلِسِي هَذَا حَتَّى أَحْصِلَ عَلَى الْحِكْمَةِ السَّامِيَةِ، وَأُصِلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الْحَقَّةِ.

يقول جوتاما -سِدَّارْتَا- واصفًا هذه الفترة القصيرة من حياته، والتي دفعته إلى أن يجلس تحت الشجرة ويطيل الجلوس حتى ظفر في النهاية بالحقائق التي أُلهِمَ بها، يقول:

«سمعت صوتًا من داخلي يحدثني بكل وضوح، ويقول لي بكل جلاء: نعم أيها الراهب هناك حق، وهناك حقائق في هذا الكون ينبغي أن تعرفها، لكن هذه الحقائق لا تنال بسهولة؛ بل لا بدَّ من أن تجاهد، وتعاني حتى تنالها، وبغير الجهاد والمعاناة لن تنالها».

وهناك خاطب نفسه وعقله بالعبارات التي ذكرناها قبلاً، وظل جالسًا لم يغادر مكانه حتى جاءته الإشراق بالحقائق التي كان يبحث عنها.

لكن ما هي هذه الإشراق؟ وما ذلك الإلهام الذي أُلهِمَ به تحت هذه الشجرة؟ وما ذلك الصوت الذي زعم «جوتاما» أنه سمعه وحدثه عن هذه الحقائق؟ إن كثيرين من البوذيين يزعمون أن هذا الصوت إنما كان صوت الوحي، وأن بوذا أو سِدَّارْتَا أو جوتاما قد تلقى الوحي وهو في جلسته هذه تحت الشجرة، وكلمة «وحي» لا يعرفها بوذا أو جوتاما؛ لأن بوذا -كما سنوضح بعد بحول الله تعالى- لا يؤمن بإله، ولا يعرف إلهًا ليدين له بالوحي أو الإلهام، وقد قضى بوذا حياته كلها لم يتكلم عن إله، ولم يَدْعُ إلى إله؛ بل ربما سخر من هؤلاء الذين يتكلمون

عن الإله - كما سيأتي في موضعه - بحوله تعالى -.

يبقى أن هذا الذي سمعه بوذا، أو زعم أنه سمعه إنما هو خاطر خطر له، أو خيال تخيله أو وهم توهمه من شدة رغبته في الوصول إلى سبب لآلام البشرية، والتي كانت الدافع المباشر لتركيه قصر والده والمملكة التي كان سيرتها بعد أبيه، إن الآلام التي شعر بها عقب الحالات الثلاث التي اصطدم بها - فيما يحكي البوذيون - قد سببت له صدمة عنيفة، وهي التي دفعت به إلى ترك حياة القصور والتزام حياة الرهينة، ثم هي التي جاءت به في النهاية إلى الجلوس تحت شجرة «التين القديمة Bo-tree» التي أضحت منذ جلس تحتها «سدّارثا» الذي أستأذن القارئ بأن نطلق عليه منذ الآن اسم «بوذا» أو «بوذا الأكبر»؛ تخليصاً له من الأسماء الكثيرة والصفات العديدة التي تطلق عليه، وكذلك تمييزاً له عن البوداوات الكثيرة التي يقال: إنها جاءت قبله؛ ولذلك سوف نصرف نظراً عن اسمه «سدّارثا» وعن صفة الراهب التي لصقت به «جوتاما»، كما سنترك وصفه الشهير الذي أطلق عليه في مناسبات كثيرة «ساكيا موني» الذي يترجم إلى: الراهب من قبيلة ساكيا، وسيكون اسمه «بوذا»؛ لأنه وصل إلى الحقائق التي يريدناها، والتي ظل يبحث عنها، والتي - أيضاً - سوف يقيم على أساس منها أساس مذهب «البوذية».

يبقى السؤال عمّا حدث لبوذا بعد أن استراح تحت الشجرة، وسمع ذلك الهاتف، وبعد أن تعهّد أن لا يقوم من مكانه حتى تأتيه الحقائق كلها... وهذا ما سنعرفه - بحول الله تعالى - في الفصل التالي.



## الفصل الرابع

### بوذا يتلقى الإشراق

عرفنا أن بوذا جلس يستريح في ظل شجرة من أشجار التين القديمة الكبيرة، وأنه بمجرد جلوسه تحتها شعر براحة عظيمة، وطمأنينة نفسية كبيرة، ثم جاءه الهاتف الذي هتف به بأن هنالك حقائق، وأن هذه الحقائق يمكن إدراكها ومعرفتها عن طريق المجاهدة والصبر والمثابرة، هنالك خاطب بوذا نفسه وعقله قائلاً: «اسمعا، لن تبرحا هذا المكان حتى أصل إلى الحق الذي أريده، ليجفَّ الجلد منِّي، لتتقطع العروق لتنفصل العظام، ليتوقف جريان الدَّم.. لكنني لن أقوم من مكاني حتى أصل الحق الذي أريده».

حين ذكر ذلك بوذا؛ أصرَّ على عزمه، واتخذ لنفسه وضعًا ملائمًا لِمَا عزم عليه، وانتوى أن يظل على وضعه حتى يصل إلى الحقائق التي يبحث عنها، مهما كلفه ذلك من وقت وجهد.

لكن هناك ما ينبغي التنبيه إليه: ذلكم أن بوذا لم يكن يدرك ما هي تلك الحقائق التي يبحث عنها، والأهم من ذلك أنه لم يكن يدرك تلك الجهة - أو الجهات - التي سوف تُمدُّه بتلك الحقائق، لم يكن بوذا يؤمن بقوة إلهية - أو قوى إلهية - يستمد منها العون، أو يستمد منها تلك الحقائق التي ينتظر الحصول عليها لكنه - كشأن جميع الهندوس الذين خرج منهم أو الذين كان منهم - يؤمن

بِقُوَى مبهمة غير واضحة في ذهنه أو شعوره، ما هي على الحقيقة، لا تُعرَف ولا تُدرَك، لكنه كشأن الشُّسَاك والرهبان؛ ليس لديهم وضوح في القوة التي يستندون إليها في كثير من الأمور اليومية، وإن كانوا يؤمنون بها وبوجود تأثيرها في حياتهم، لكن ما هي، وكيف تؤثر في حياتهم، وما مدى ذلك التأثير؟ كل ذلك وغيره غير واضح لدى أحد منهم وإن كانوا متفاوتين في ذلك!!

### العلاقة بين البوذية والهندوسية:

على أن ثمة أمرًا على قدر من الأهمية في هذا المجال، ذلك الأمر يتعلق بالصلة القائمة بين بوذا والبراهمة، أو بين الديانة الهندوسية ورجال الدين فيها -أعني: طبقة البراهمة أو البراهمن- وبين بوذا والبوذيين، بل وبين الديانة الجينية قبل البوذية أو المعاصرة لها؛ ويَحْسُنُ هنا أن نفصّل القول بعد هذا في فقرات متتالية؛ تيسيرًا وتوضيحًا:

١- إن العلاقة بين البراهمن- طبقة رجال الدين في البراهمية أو الهندوسية- وبين بوذا والبوذية كانت علاقة سيئة، وقد توصف بأنها من أسوأ العلاقات، إلى حدّ أن الكثيرين من المؤرخين يعتبرون الجينية والبوذية إنما هي ثورات ضد الهندوسية أو البراهمية.

وذلك نتيجة تعنّت البراهمن-رجال الدين- في الديانة الهندوسية، وغرورهم وتكبرهم، وبخاصة مع طبقة «الكاشتريا» التي هي طبقة الحكام والأمرء، حيث هما الطبقتان المميزتان في طبقات الهندوسية الأربع، وحيث التنافس ينحصر فيهما؛ لأن طبقة الكاشتريا هي التالية للبراهمن مباشرة، وهي طبقة الحكام

والأمراء، فالتنافس بينهما قوي، ومن هنا كان بوذا من طبقة الأمراء والحكام، وكذلك كان «جينا».

وبالفعل وجدنا في البوذية، وفي تعاليم بوذا الأساسية ما يعتبر هدمًا وإلغاءً لكثير من عقائد البراهمية أو الهندوسية الأساسية.

٢- من تلك العقائد الأساسية في الهندوسية أو البراهمية التي جاء بوذا فألغاها وهدمها: «نظام الطبقات».

ونظام الطبقات من الأسس الرئيسة في الديانة البراهمية أو الهندوسية، لكن بوذا جاء فألغى نظام الطبقات؛ ذلك لأن هذا النظام هو الأساس الذي يتخذه البراهمن -رجال الدين- في الهندوسية وسيلة لإثبات تميّزهم وتكبرهم على جميع الهنود، حتى الأمراء والملوك الذين يمثلون طبقة الكاشترية.

لذلك، ولأن نظام الطبقات هو وسيلة رجال الدين البراهمن لإظهار تميّزهم على جميع الهندوس؛ فإنَّ بوذا قد ألغى في البوذية نظام الطبقات، ومثَّل لذلك مثلاً، فقال: «كما أن الأنهار الصغيرة يُلغى وجودها حينما تصل في نهاية مسيرتها إلى البحر الكبير، وتصب فيه؛ ومن ثمَّ تندمج جميعها ويختلط بعضها ببعض، وتتحول إلى شيء واحد لا يتمايز نهر على نهر؛ فكذلك الطبقات حين يعتنق الناس البوذية، أو يدينون بها فإنهم يصيرون شيئاً واحداً، فقيرهم مثل غنيهم وعظيمهم مثل حقيرهم، ولا فرق إطلاقاً بين أحد منهم».

٣- كذلك من العقائد الأساسية في الهندوسية، التي جاء بوذا فألغاها: الإيمان

بوجود الإله؛ ذلك أن بوذا جاء فألغى بفلسفته البوذية وجود الإله، وكان في جميع خطبه، وكلماته التي كان يوجهها إلى تلامذته يتحاشى تمامًا أن يأتي بذكر للإله أيًا كان، حتى لو اقتضت الضرورة أن يتكلم عن الإله فإنه كان يقف عند حدٍّ معيّن لا يتعدّاه؛ حتى لا يأتي بذكر الإله ولو مضطرًا.

فقد كان من أساسيات مذهبه البوذي: أن كل سبب يؤدي إلى نتيجة -أي: يؤدي إلى مُسَبَّب- وكل مُسَبَّب إنما هو ناتج عن سبب أدّى بالضرورة إلى ذلك المسبّب، وهذا يعني بالضرورة: أنه لا شيء يأتي بلا سبب، وقد كان بوذا نفسه يمشي بالأسباب والمسبّبات حتى يصل إلى السبب الذي لم ينتج هو عن سبب -أو ليس له سبب- أو كان يأتي إلى الموجود فيثبت أن له مُوجدًا، ثم ذلك المُوجد له مُوجدٌ أو جدّه، حتى إذا وصل إلى آخر الموجودات التي لها عللٌ وأسبابٌ؛ فإنه يسكت ولا يتطرّق إلى ذلك المُوجد الذي لم يُوجدْه شيء، وذلك السبب الذي هو سببٌ وليس له مسبّب.

كان هذا منهج بوذا في البداية، لكنه بعد أن قطع شوطًا كبيرًا في دعوته، وكثُر أتباعه؛ لم يقف عند حدود التجاهل الذي أشرنا إليه؛ بل انتقل من مرحلة السكوت أو التجاهل إلى مستوى الهجوم والتهمك والسخرية ممن يتكلمون عن الإله، ويصفهم بالحمق والجهل، ويضرب لهم أمثلة تدلّ على حمقهم وجهلهم؛ إذ يتكلمون عن شيء لا وجود له إلا في مخيلتهم وأوهامهم ولسوف نذكر بعضًا من هذه الأمثلة التي كان يتهمك بها من أتباعه الذين يكلمونه عن الإله، رغم أن الكلام عن الإله أمرٌ طبيعيٌّ لدى أتباعه الذين كانوا يدينون بالبرهمية أو الهندوسية،

ثم أتبعوه وتركوا دينهم الذي كانوا يدينون به.

٤- والناظر في السلوك العدائيّ عند بوذا تجاه الذين يسألونه عن الإله؛ يدرك الكمّ الهائل من العدا والكرهية الذي يكنّه بوذا تجاه آلهة البرهمنيين - أو آلهة الهندوس - ويدرك صدق المقولة التي تؤكد أن البوذية التي جاء بها بوذا إنما كانت ثورة ضد الهندوسية وآلهة الهندوسية وأن الجينية كذلك وليست البوذية فقط.

نعرف من هذا: أن البوذية والجينية كانتا في أصل ظهورهما ثورتين على البرهمنية أو الهندوسية وعلى طغيان طبقة «البراهمن» الذين هم رجال الدين في الهندوسية، وهم في نفس الوقت قمة الهرم في نظام الطبقات الذي يقوم عليه المجتمع الهندي، والذي تعاني جميع الطبقات الأخرى من صلف وكبرياء هذه الطبقة - البراهمن - التي هي طبقة رجال الدين.

وإن كانت جميع الطبقات الأخرى تعاني من كبرياء وغرور و صلف طبقة البراهمن - رجال الدين - فإن أشد الطبقات معاناة وضيقة وكرها لها هي طبقة «الكاشتريا» التي هي طبقة الحكام والأمراء والجيش؛ وذلك نتيجة لأنهما - البراهمن والكاشتريا - أكبر الطبقات وأعلاها، والتنافس بينهما كبير، ثم إن طبقة البراهمن يخشون أن تذهب مهابتهم وسلطانهم ومكانتهم أمام مهابة وسلطان وقوة طبقة الأمراء والحكام والكبار من رجالات الجيش.

ولذلك فإن طبقة البراهمن وجميع رجالها، وكذلك نساؤها مع نساء الكاشتريا كانوا في تنافس شديد على إظهار كل منهما قوته وسلطته أمام الطبقة الأخرى،

وكان رجال الدين -البراهمن- يخشون أن يضعف سلطانهم أمام الكاشتريا؛ لذلك كانوا يتتهزون كل فرصة تتاح لهم لإظهار سيطرتهم وتحكّمهم أمام طبقة الكاشتريا... وكثيرة هي تلك القصص والروايات التي تمتلئ بها كتبهم الدينية التي تحكي طغيان وجبروت رجال الدين البراهمن في مقابلة رجال الكاشتريا من الأمراء والحكام.

٥- لا بأس من أن نشير إلى أكثر هذه القصص شيوعاً، والتي رواها كتاب الهندوسية شبه المقدّس -واسمه «مهابارتا»- قصة تقول: في يوم شديد الحرارة ذهب عدد من الفتيات إلى النهر وخلعن ملابسهن على شاطئ النهر ونزلن للاستحمام، وقامت ريح شديدة فخلطت الملابس بعضها ببعض، وخرجت ابنة الحاكم فلبست خطأ ملابس بنت البرهمن، وعندما اكتشفت ابنة البرهمن هذا غضبت وقالت لابنة الحاكم: ألم تعلمي أيتها الجاهلة أن ملابس ابنة الشيخ الأكبر لا يجوز أن ترتديها ابنة التلميذ الجاهل، هل أنت حمقاء إلى هذا الحد؟! وغضبت ابنة الملك، وردت على ابنة البراهمي قائلة: أنا ابنة الملك الذي يذكره الناس بالتعظيم والإكبار، ويشكرون أياديهم عليهم وأنت ابنة رجل فقير يعيش على الصدقات والإحسان الذي يتصدق الناس بها عليه، أهلي أهل الإحسان والبر، وأهلك أهل التسوّل والتذلُّ!! وانتقلت القضية بين البنتين إلى والد كلٍّ منهما. ولم يقنع البراهمة في ذلك المجلس الذي انعقد للصلح بين الكاشتريا -ابنة الملك- والبرهمن -ابنة البرهمن- لم يقنع البراهمة إلا بعقوبة شديدة مُذَلَّة، حيث اختارت «ديوياني» ابنة البرهمن أن تصبح «سرمستها» ابنة الحاكم خادمة

لها في البيت الذي ستتزوج فيه لمدة عام، وتنفيذًا لهذا الاتفاق عملت بنت الملك خادمة لدى بنت البرهمي لمدة عام في بيت زوج ابنة البرهمي، وبطبيعة الحال تعمّدت ابنة البرهمي أن تذل ابنة الحاكم.

إلى هذا الحدّ بلغ طغيان البراهمة وتحكّمهم وتسلّطهم على الكاشتريا التي هي طبقة الحكام وجنود الجيش والشرطة، فماذا يكون حالهم مع من هم أدنى من هذه الطبقة؛ أعني: طبقة الويشيا -التجار والزراع- وطبقة الشودرا Syudra -الخدم والعبيد-؟

هكذا كانت العلاقة بين طبقة البراهمن -رجال الدين البراهمة- وبين طبقة الكاشتريا -رجال الحكم والجيش- ومعلوم كذلك أن «جينا» الرابع والعشرين مؤسس الديانة الجينية، وكذلك «بوذا الأكبر» مؤسس البوذية كانا على علاقة غير طيبة مع البراهمن -أو رجال الدين البراهمة- وهذا دليل على صدق ما قلناه، وأن الديانتين إنما كانتا ثورتين على البراهمية -أو الهندوسية- وكانتا إعلانًا على ضيق كلّ منهما بغطرسة وتسلّط وتكبّر رجال الدين البراهمة، كما ذكرنا آنفًا، وضر بنا على ذلك مثالاً من الواقع مما جرى بين ابنتي الحاكم والبراهمن.

٦- يتضح من هذا: أن بوذا جاء بمذهب إصلاحية، اعتقد أن فيه صلاح المجتمع الهندوسي، ولم يأت بدين جديد؛ فإنّ أخصّ خصائص الدين هو الإله أو الآلهة الذين يقوم الدين على أساس من وجودهم، وسواء كان الإله حقًا أو من أوهام المؤسسين للديانة، فإن الدين لن يكون دينًا إلا بوجود الإله الذي يدين له أتباع هذا الدين، ويستوي في ذلك أن يؤمن بهذا الدين ويؤمن بإلهه جميع المنتسبين إلى الدين أو يكفروا به.

فإن الدِّين لا يكون دينًا بإيمان البعض أو كُفْران البعض؛ وإنما يكون الدِّين دينًا بتوافر العناصر والأسس التي يقوم عليها أي نظام يصلح أن يكون دينًا، وأول هذه الأسس: الإيمان بوجود قوة عُلْيَا تتحكم في الطبيعة والناس، هذه القوة التي مرَّ بنا أن الدِّين لا يكون دينًا إلا بها، وأن أي مذهب أو نظام فكري يخلو من وجود هذه القوة لن يكون دينًا بأي وضع من الأوضاع، ولقد مرَّ بنا أن «بوذا» لم ينكر وجود الإله في نظامه ومذهبه فقط؛ بل كان يسخر ممن يحدثه عن الإله، وكان كثير التَّهْكُم والسخرية ممن يتكلمون عن الدِّين، بل إن مذهب الذي جاء به إنما كان الدافع إليه إنما هو الثورة على الهندوسية - البراهمية - وعلى رجال الدِّين في هذه الديانة وغطرستهم التي تحدثنا عنها.

٧- أتضح - بما لا يدع مجالًا لشكٍّ أو تردُّدٍ - أن بوذا جاء بالبوذية مذهبًا إصلاحيًا، رأى فيه النجاة من شرور هذه الحياة ومشكلاتها، وقد بان هذا الاتجاه عنده منذ رأى الأمور الثلاثة التي أشرنا إليها، والتي مثَّلت عنده أنواعًا من الآلام التي يعاني منها البشر، والتي كانت السبب المباشر لهروبه من حياة القصر، ومن الرفاهية المملكيَّة التي كانت تحيطه في قصر أبيه.

ويأتي السؤال: إذا كان بوذا لم يأتِ بدين، ولم تكن البوذية دينًا؛ بل كانت مذهبًا إصلاحيًا؛ فكيف تحولت البوذية إلى دين، وكيف أصبح لها من رجال الدِّين آلاف وآلاف، رغم أن بوذا إنما جاء بالبوذية - كما ذكرنا - ثورة على رجال الدِّين البراهمة، وفرارًا من الهندوسية التي يمثلونها؟!

إن الأمر يسير والإجابة واضحة.

فلقد جاء بوذا بمذهب إصلاححي، ولم يأت مبشرًا بدين أيًا كان، بل وصل أمره أخيرًا إلى أن صرّح بوضوح شديد بأنه «لا إله»، و «لا دين»؛ وإنما مذهب فقط يصلح شؤون الحياة والأحياء ويقضي على الآلام التي تعاني منها البشرية، وكان أول ما دعا إليه، وأول كَبِنَةٍ وضعها في بناء مذهبه: القضاء على طبقة البراهمة -رجال الدّين في الهندوسية- وذلك عن طريق دعوته إلى القضاء على نظام الطبقات، وهو لم يقضِ على نظام الطبقات طبعًا؛ بل قصدًا إلى القضاء على طبقة رجال الدّين في الهندوسية التي كان يدين بها هو وأبوه الملك وجميع من في المملكة، ولم يقضِ بوذا على نظام الطبقات -كما أوضحنا- إلا أَمَلًا في القضاء على طبقة رجال الدين وغطرستهم وطغيانهم.

هذا ما أتى به «بوذا» أو «سِدَّارثا»، أما أتباعه فقد فعلوا ما لم يكن في حسابان بوذا، حيث تحوّل مذهب بوذا الإصلاححي إلى دينٍ له رجاله وله طقوسه، وقد اشتمل على كل ما كان بوذا يحذر ويرفض.

والذي حدث أن أتباع بوذا بعد موته أعظموا من شأنه، وأضفوا عليه هالة من التقديس والإجلال، ثم إنهم أعظموا من شأن مذهبه الإصلاححي الذي جاء به، ثم أضفوا على تعاليمه هالة من التّقديس والتّمجيد، ثم عكفوا على هذه التعاليم يرددونها ويعظمونها ويضعون عليها هالات التقديس والتّمجيد والتعظيم، معلنين أنها إلهامات إلهية ربانية، مستمدة من «بوذا الأكبر» الذي تحوّل من مُصلِح اجتماعي إلى إله وربّ، وتحوّلت صِلاتُ أتباعه به إلى عبّاد يعبدون بوذا.

وباختصار شديد تحوّل مذهبه الإصلاحية الذي جاء به إلى دين، وتحوّل هو في هذا الدين إلى ربّ معبود، وهذا الدين وهذا الرب المعبود الذي هو بوذا أصبح له آلاف من رجال دينه الذي سُمّي «البُودِيَّة»، والتي انتشرت في بقاع كثيرة من العالم في آسيا تحديداً، وقد بلغ من انتشار البوذية في الصين والهند وبعض البقاع الأخرى ما جعل الكثيرين يزعمون أنها أكثر الأديان انتشاراً وأكثر الأديان أتباعاً، ولكن هذه مبالغة مرفوضة، فالأتباع لدى الهندوسية قد تزيد عنها لدى البوذية.

### إشراقة بوذا:

١ - نعود إلى الكلام عن بوذا؛ وهو سائر في الغابة وقد تعب من طول السير فيها، فاتّجه إلى الأشجار الضخمة من أشجار التين، واستند إليها، وحين استند إليها أحس براحة نفسية كبيرة، ثم أحسّ بشعور قويّ يدفعه إلى أن يطيل الجلوس تحت هذه الشجرة، ثم أحس بأنه في هذا المكان ستأتيه الإشراقة بالحقائق التي يبحث عنها، فاستمسك بالجلسة تحت الشجرة، وأصر على أن لا ينتقل من جلسته هذه حتى يحصل على الحقيقة التي يريد، وذكر في هذه الجلسة تحت الشجرة الكلام الذي ذكرناه آنفاً، والذي يفيد بإصراره على الجلوس حتى يحصل على الحقيقة.

وفي هذه الجلسة جاءته الحقائق التي يبحث عنها على هيئة وحي أو هاجسٍ وقع في روعه - أو في قلبه - فأدرك هذه الحقائق التي يقوم عليها وجود الأشياء،

والتي تُسبب الآلام والشقاء للإنسانية جميعها، لقد ألهم أربع حقائق، كل حقيقة منها تسلم إلى الأخرى وبذلك تكتمل الدائرة، ويعرف بوذا ما أراد أن يعرفه عن الآلام التي تسبب الشقاء والتعاسة للإنسان في هذه الحياة.

٢- قد يخيل للقارئ أن بوذا في هذه الجلسة قد وقع على سرّ الوجود، أو وضع يده على شيء عزيز وغريب لا ينال، لكن الحقيقة غير ذلك؛ فبوذا جاء في هذه الجلسة بأمر بسيط وواضح لا يكاد يلتفت المرء إليها، لكن بوذا جعل منها سر الحياة والأحياء، كما جعل منها سر السعادة في هذه الحياة وكذلك الشقاء، وأقام منها صرحاً شامخاً يتوقف على معرفته شقاء الإنسان وسعادته. هذه الحقائق العجيبة الغريبة التي جاهد في سبيل الحصول عليها بوذا هي:

أ- الألم موجود، ونحن نحس به، ونعاني منه.

ب- هذا الألم الذي نعاني منه له أسباب معروفة.

ج- هذه الأسباب المسببة للألم يمكن علاجها، ويمكن القضاء عليها.

د- علاج هذه الأسباب التي تعالج الألم وتوصل المرء إلى النرفانا والسعادة هي في أمور يصفها بوذا، وباختصار شديد هذه الحقائق هي: هناك ألم - الألم له سبب - السبب له علاج - علاج السبب يكون بكذا وكذا.

هذه هي الحقائق التي حصل عليها بوذا في تلك الجلسة التي طالت تحت تلك الشجرة، التي اشتهرت لدي البوذيين وصارت مقدسة وعلماً على الديانة، وأضحت - كما يقول المؤرخون - لدى البوذيين بمنزلة «الصليب» لدى

النَّصَارَى، بل إنهم جعلوا من شجرة بوذا هذه رمزاً من الرموز الخالدة، وأداروا حولها الكثير من القصص والأساطير.

لقد كانت شجرة من فصيلة شجر التين، وقد بينا أنهم يطلقون عليها شجرة «البو BoTree»، ولعل هذه الشجرة تستحق منا وقفة يسيرة لنخصها ببضعة أسطر؛ لأهميتها عند البوذيين.

٣- يطلقون عليها «شجرة العرفان»، أو «الشجرة المقدسة» أو «شجرة بوذا»، وقد أولاهها البوذيون أعظم اهتمام يقع من إنسان بشجرة مهما كان شأنها، وكان اهتمامهم بشجرة بوذا هو من نوع اهتمامهم ببوذا نفسه؛ ومنزلة الشجرة عندهم لا تبدأ ببوذا؛ بل أهميتها ومنزلتها تبدأ قبل بوذا، حيث قد وقع الاختيار على الشجرة دون ملايين الأشجار غيرها لتكون هي المكان المختار لراحة بوذا من تعبهِ أولاً، ثم لتكون المكان المقدس الذي يتلقى فيه بوذا الحقائق النبيلة العظيمة المقدسة التي تلقاها وألهم بها، ثم لتكون المكان الذي تُكشف فيه الحجب عن بوذا فيرى ماضيه وحاضره ومستقبله في آن واحد - كما سنوضح ذلك قريباً في موضعه بحوله تعالى - ثم لتكون الدرجة الرابعة هي محل المعركة الفاصلة بين بوذا وعدوه الشيطان المُسمَّى «مارا» هو وجنوده، والتي انتهت بهزيمة «مارا» وجنوده، وانتصار بوذا بمفرده.

ولقد عني البوذيون بهذه الشجرة عناية كبيرة، بيناً أنفاً أنها عندهم مقدسة ورمزٌ للبوذية، وكما أن النصارى يضعون الصليب رمزاً للنصرانية؛ كذلك كانت تلك

الشجرة لدى البوذيين، ومن المؤكّد أن الشجرة التي استند إليها بوذا في وجوده في الغابة قد ماتت منذ زمن بعيد، فليس في الوجود شجرة تظل آلاف السنين، لكن البوذيين يزعمون أنها ما زالت باقية ببركة بوذا، لكن من المؤكّد أنها هلكت وفنيت، وأن غيرها من نوعها قد نبت مكانها أو بجوارها.

وقريب من هذا ما يفعله البوذيون في «سيلان» حيث توجد هناك شجرة عظيمة من نفس نوع شجرة بوذا، وهي قديمة جدًّا، ويزعمون أن هذه الشجرة هي من تاريخ ظهور بوذا الأكبر، وقد أوكّوها من الاهتمام بها والعناية أعظم عناية، وقد أقاموا حولها أعمدة حديدية تحميها، ومهدوا لها الأرض، ووضعوا حولها الحراسة، حتى إنها لتمدُّ جذورها من حولها مسافات بعيدة، وهم سعداء بذلك.

لكن من المؤسف أن أتباع بوذا قد عنوا بالشجرة أكثر من عنايتهم بتعاليم بوذا التي أسأوا فهمها منذ بداية أمرها، والأسف هنا ينصبُّ على جهل أتباع بوذا بتعاليمه التي خلفها وراءه، والتي بيّنا أنها كانت تعاليم قائمة على الإلحاد وإنكار وجود الإله إنكارًا تامًّا، وبصورة أغلقت هذا الباب تمامًا بحيث لم يترك بوذا الباب مفتوحًا أو حتى نصف مغلق لينفذ من خلاله من يأتون بعده فيقولون بوجود إله أيًّا كانت صفته أو هويته، لكن بوذا قطع الأمر بصورة نهائية، بل إنه -كما ذكرنا- كان يهزأ ويتهكّم بمن يسأله عن الإله.

ومثل هذه الأفكار، ومثل هذا المفكر لا ينبغي أن يؤسف على ضياع أفكاره، أو ضياع آثاره كلها، غير أننا في معرض الكتابة عنه، وذكّر جميع ما خلفه، ولا نحتاج

إلى تمجيد أفكاره أو تخليدها، فشيء من ذلك لا تستحقه أفكاره، لكننا في معرض التعريف به نحتاج إلى الصدق والوضوح ليعرفه القارئ على طبيعته دون إضافة شيء إلى أفكاره أو إضاعة شيء منها، مهما كانت أفكاره ساقطة ملحدة كافرة.

٤- هذه الشجرة التي كان يجلس تحتها بوذا قبل أن تأتيه الإشراق بالحقائق الأربعة النبيلة السامية، لم يكن البوذيون ليقنعوا بكل ما خلعهه عليها من تبجيل وتقديس؛ بل أحاطوها بالكثير من القصص والأساطير التي نرى لزاماً علينا أن نشير إلى شيء منها؛ حتى نبين عظمة هذه الشجرة ومكانتها عند البوذيين:

أ- فمن الأساطير التي يروونها عن الشجرة وعن بركتها التي منحها لسدّارثا أو جوتاما - بوذا - حين جلس تحتها؛ أنه في الثلث الأول من الليل قد أحاط علماً بكل شيء عن حياته الماضية بتفاصيلها الدقيقة.

ب- ثم إنه في ثلث الليل الثاني قد أحاط بكل ما يتعلق بحياته الحاضرة، وإلى أي شيء وصل فيها، وما هو صحيح وما هو خطأ، وماذا كان عليه أن يفعل، واكتشف وهو جالس أن عليه أن يظل جالساً لا يغادر مكانه حتى تنكشف له الحقائق كاملة.

ج- ثم إنه في الثلث الأخير من الليل اكتشف ما كان غائباً عنه من سلسلة الأسباب والمسببات، واكتشف أن الحياة كلها قائمة على سلسلة من الأسباب والمسببات، وأن كل سبب ينتج عن سبب سابق عليه، ومسبب لاحق، ثم لم ينبثق الفجر إلا وكان بوذا قد أحاط بكل شيء علماً، وحينئذ

وصل إلى الترفانا، وأنه لن يعود إلى الحياة مرة ثانية في ميلاد ثانٍ؛ بل هذه هي حياته الأخيرة، ولن يتكرر مولده.

د- ثم في نهاية المطاف وصل إلى مرحلة العدم التام والفناء الكامل، وذلك ليس عن طريق التقشف أو العبادة الظاهرية، ولا بتعذيب النفس؛ ولكن باتباع الفضائل العملية وإدراك التحول الدائم للكائنات في هذه الحياة، وأنه لا شيء ثابت أو دائم؛ بل التحول هو قاعدة الوجود.

هـ- هذا الذي وصل إليه بوذا من معرفة الحقائق، وفناء النفس، وإدراك التحول الدائم للموجودات، والوصول إلى هدفه الذي يسعى إليه، هذا كله لم يُرَقْ لزعيم الشياطين الذي كان يتابع بوذا خطوة خطوة.

ولكن الشيطان قد جُنَّ جنونه عندما هبطت الحقائق على بوذا، وأخذ كبير الشياطين «مارا» -أمير الظلام- في تجميع جيوشه من الشياطين، وصَفَّهم حوله في اثني عشر صفًا، ثم أرسلهم «مارا» للقضاء على بوذا، من ثمَّ فقد أحاطوا به من جميع الجهات.

وبعد أن جمَّعوا جموعهم، وأحاطوا ببوذا حملوا عليه حملة واسعة يريدون أن يشغلوه عن الحقائق التي وصل إليها، مخيِّلين له أنها من هواجس الشياطين حوله، وأنها هواجس كاذبة، أراد كبير الشياطين أن يشغله بها عن تلك المناصب الكبيرة التي تنتظره، فهو وليُّ عهدٍ لمملكة كبيرة سيتولَّى ملكها بعد أبيه..

ولكن كل جهود الشيطان «مارا» وجيوشه قد باءت بالفشل أمام هدوء بوذا،

وعدم اهتمامه بالحياة الدنيا وشهواتها الحيوانية، والمطامع في الملك والسلطان، وحب الأهل، والرغبة في لقاء الإخوان وغير ذلك من شؤون الحياة...

ولمّا فشل الشيطان في ذلك الجانب -جانب الشهوات وحب الجاه والسلطان- وجّه جنوده إلى الجانب الآخر -وهو جانب التخويف والإرهاب- فأخذوا يخوِّفون بوذا من حياة التقشُّف والحرمان، ثم من حياة الذلّة والمسكنة والسنين الطّوال التي سوف يقضيها وهو يدور على البيوت يتسوّل لقيمات الخبز والأرز وغير ذلك، وهذه حياة الأذلاء «الدرافيش»، وهي حياة إن طالت فهي في ذلّ ومسكنة، وإن قصرت فإلى تجاهل من الناس وعدم اهتمام، وشتان بينها وبين حياة القصور وحياة الملوك!!

لكن كل هذه المحاولات فشلت فشلاً ذريعاً أمام إرادة بوذا الصلبة، وعزيمته القوية، وروحه الصافية الثابتة، وكانت نهاية المعركة أن انسحب منها وقد خسر خسراً مبيهاً؛ فارتدوا على أذبارهم منهزمين، وهكذا شأن الضلال دائماً ينكسر أمام نور اليقين.

فشل الشيطان وجنوده فانسحبوا جميعاً يجرون أذيال الخيبة والفشل، أمام إصرار بوذا وصفاء نيته وقوة إصراره.

لكن هناك ما ينبغي قوله في هذا المجال، فإن الذي لا يؤمن بإله، ولا يؤمن إلا بالمحسوس الملموس كبوذا، والذي لا يؤمن بالإله الذي يمثل القوة العليا وراء كل ما يجري في هذا الوجود؛ يصبح كلامه عن قوة شريرة وأمثالها كلاماً مرفوضاً

وغير منطقي، كما أنه كلام لا يمكن أن يستند إلى بوذا ولا أن يجري على لسانه، ولا يرجع إلى حاله، فقوى الشر من شيطان وجنود له، وقوى أخرى تذكر في سيرة بوذا إنما هي بلا شك من تأليف هؤلاء الذين اعتنقوا مذهبه، وافترخوا كل هذه الأكاذيب؛ لأن بوذا لم يكن يؤمن بقوى خفية لا تُدرَك بالحس، ولو كان يؤمن بتلك القوى الغيبية أو بشيء من هذا القبيل؛ لآمن قبل كل ذلك بإله يدين به ويُرجع إليه كل شيء يجري في الوجود حوله، لكن بوذا لا يؤمن بإله، بل وكان يتهكم من الذين يقولون بوجود إله أو حتى يسألوه عن الإله، وهم كانوا يتبعونه ضيقاً بالبراهمن -رجال دين الهندوسية- وتجبرهم، وكانوا في نفس الوقت سعداء بدين أو مذهب يلغي الفوارق الطبقيّة، أي: لا يقول بالطبقات الأربع التي يقرم عليها النظام الديني البراهمي أو الهندوسي.

وقد قلنا: إنه لا يؤمن بالشيطان وقوى الشر المتمثلة فيه وفي أتباعه، ما دام لا يؤمن بالإله أو بإله -أيًا كان ذلك الإله- لأن القوتين متقابلتان، وكلتيهما غير محسوستين ولا مدركتين بأيّ من قوَى الإدراك الحسّي لدى الإنسان، وما دام بوذا كان يتهكم على الكثيرين من الذين يسألونه عن الإله، زاعمًا أنه لا يوجد من ذهب ثم عاد ليخبرنا عن ذلك الإله، وما دامت هذه هي الحجة في نفي الإله، وتهكمه به وبمن يسألونه عنه؛ فهذه الحجة نفسها هي المبطلّة لِمَا يُسَمَّى «مارا» زعيم الشياطين ومن معه من قوَى الشرّ التي يكثر الحديث عنها في سيرة بوذا الذاتية، ويكثر الذين يكتبون عن سيرته من الكلام عن محاولات الشيطان وجنوده من قوى الشر لإثناؤه عن القيام بواجبه تجاه القضاء على آلام البشر، ذلك الأمر الذي

انتدب نفسه له وضحّى من أجله بالملك وولاية العهد و حياة القصور والرفاهية.

ونحن نقول: إن ذلك كله من افتراء البوذيين الذين كتبوا عنه، ومن مزايدات المؤلفين منهم الذين فتنوا به فأعلوا من شأنه واخترعوا في سيرته ما لم يكن فيها أصلاً، ونستطيع أن نقول: إن البوذيين أسندوا إلى بوذا أموراً لم تكن لديه، بل لم يكن له بها علم فضلاً عن أن تكون قد مرّت به أو وقعت له، وأهم هذه الأمور:

أ- تأثره الشديد بالمرائي الثلاثة التي رآها، وقد عجب جداً منها كأنه لم يرها قبلاً، وكأنها لم تكن في أسرته، ولم يمرض أحد من أسرته قطُّ، أو لم يمّت لديه أحد قطُّ، أو لم يكن في أسرته أو قبيلته من أصابته الشبخوخة، وإنه لمن أعجب الأشياء أن يصاب بالعجب من أمور لا تخلو منها عائلة ولا أسرة ولا قبيلة، وكأنه قدم من عالم غير عالمنّا، لم يكن به مرض ولا شبخوخة ولا موت.

ب- القصص والأساطير التي حيكت حول بوذا منذ صغره، والمعجزات التي كانت تجري على يديه، ومنها: ما يحكونه من معجزة العرس، حيث أكل المدعوون جميعاً ولم ينقص الأكل، بل زاد عما كان!! ومن ذلك: صعود بوذا إلى السماء ليبشّر أمّه أنه أصبح بوذا الأكبر!!!

ج- تكالّب الشياطين عليه حتى يمنعه من أن يحقق مراده، ويؤدي رسالته في إبعاد الشقاء والآلام من حياة الناس، والمحاولات الكثيرة من مجموعة الشياطين بقيادة كبيرهم الذي يطلق عليه «مارا».

٦- كل هذه الأمور أردنا أن نبين للقارئ أننا ننقل ما يعتقد هؤلاء البوذيون

في هذا الرجل الذي كثرت أسماؤه وألقابه، فهو «سِدَّارْثا» كما سمَّاه أبوه وهو «جوتاما» أي: الراهب، وهو «ساكيا موني» أي: المتبتل من قبيلة ساكيا، وهو أخيرًا «بوذا الأكبر» أي: الحكيم المستنير.

ما أريد التأكيد عليه: أننا هنا ننقل ما يعتقدُه أتباعه ويلتزمون به، ولا ينبغي أن يؤخذ هذا على أنه عقيدة لنا أو حتى مجرد رأي؛ بل إننا بوضوح شديد لا نؤمن به ولا نقرُّه، بل نرى أنه نوع من الاعتقاد الخاطيء في شخص سِدَّارْثا -بوذا- وأنهم يخلعون عليه ما لا يعتقدُه هو نفسه، وربما لم يحلم به أو يسعى إليه.

إن الذي رآه بوذا من الحقائق تحت الشجرة المقدسة عندهم الآن هي أمور بسيطة، لكنها وضعت قدمه على الطريق الصحيح في البحث عما يعانیه الناس من شقاء وكيف يعالج هذا الشقاء.

٧- إن الخطوة الأولى في علاج شقاء الناس هي معرفة أن للشقاء أسبابًا والخطوة الثانية هي معرفة هذه الأسباب، ثم تأتي الخطوة الثالثة التي تبين أن هذه الأسباب لها علاج، ويمكن عن طريق هذا العلاج شفاء الشقاء بالقضاء على أسبابه، تبقى الخطوة الأخيرة وهي معرفة علاج أسباب الشقاء وكيف نستعمل هذا العلاج بالطريقة الصحيحة التي بها نقضي على هذه التعاسة وهذه الآلام التي تملؤ حياة الناس، والتي قام بوذا من بداية هروبه من قصر أبيه، وقضائه السنوات الطوال في معاناة من أجل هذا الهدف تحديداً.

٨- لقد وصلنا إلى نهاية هذه المرحلة المهمة من حياة بوذا، أو «سِدَّارْثا»

قبل أن يدرك الحقائق الأربعة ويتحول إلى بوذا الأكبر، ونحن هنا نذكر ما يعتقد البوذيون أنه حدث في هذه الجلسة تحت الشجرة المقدسة «شجرة البو Botree»، يقول البوذيون المؤرخون لحياة بوذا: «إن بوذا في الهزيع أو الثلث الأول من الليل كُشِفَ له كل ما يتعلق بحياته الماضية، ورأى جميع تفاصيل حياته وما جرى له منذ انفصل وليدًا عن أمه، ثم ما فعلته معه خالته التي تولت تربيته بعد وفاة أمه، حتى اللحظة التي هو فيها... ثم في الهزيع الثاني من الليل -أو الثلث الثاني- عرف كل ما يتعلق بحالته التي هو عليها الآن، وأدرك مدى كونه مصيبًا أو مخطئًا فيما يفعل، ثم في الهزيع الأخير من الليل وصل إلى حقيقة ما تجري على أساس منه أحداث الحياة، حيث كُشِفَ له المبدأ الذي يقوم على سلسلة الأسباب والمسببات.

٩- ولا بأس علينا أن نقف قليلاً عند ما يُسمَّى: «سلسلة الأسباب والمسببات»؛ ذلك أن بوذا يضع اهتمامًا خاصًا، وييدي عناية فائقة بما يُسمَّى الأسباب والمسببات.

والأمر ببساطة شديدة يعني: أن كل شيء له سبب، وهذه حقيقة يعرفها حتى المخلوقات غير الإنسان، فأنت إذا ضربت حمارًا، أو أصدرت صوتًا من خلفه؛ التفت إليك كأنه يريد أن يعرف سبب هذا الضرب، أو من أحدث هذا الصوت، وكذلك الإنسان فكل شيء يحدث لا بدَّ له من سبب أو فاعل أحدثه، فهذه بديهية من البديهيات التي تدركها حتى الحيوانات كما ذكرنا.

لكن بوذا جعل منها أساسًا من أسس مذهبه، وإن كان هناك جديد في مذهب

بوذا فهو الربط الشديد بين الأسباب والمسببات، فما من حدث إلا وله سبب سابق وعنه سبب لاحق، وهكذا تسير سلسلة الأسباب والمسببات حتى تصل إلى المسبب الأخير الذي نتج عنه جملة الأسباب السابقة، ويعني به بوذا: الآلام التي تعاني منها البشرية كلها، فهذه الآلام سبقتها أسباب كثيرة، ومسببات عديدة حتى انتهت إلى هذه النتيجة.

لكن بوذا يرجع جميع الأسباب والمسببات إلى ما يسميه «الجهل» وهو يقول: «أزيلوا الجهل تُزيلوا جميع الآلام»، والآلام عنده تتولد جميعها من تكرار المولد، فنقطة البداية في آلام الناس هي لحظة الميلاد، ولو أزيلت هذه اللحظة، وعرف الناس طريق النجاة من تكرار المولد -التناسخ- فإن الآلام التي تعاني منها البشرية سوف تنتهي.





# الفصل الخامس

## بوذا ينشر مبادئه

### بوذا يتخذ قرار الدعوة:

مرّ بنا أن «جوتاما -أو سدّارثا» جلس يستريح في إحدى الغابات التي كان يمرُّ بها، ثم اشتدَّ به التعب وهو يمرُّ بهذه الغابة التي تُسمَّى «غايا -أو جايا»، وبينما هو يبحث عن مكان يستريح فيه ويبحث عن شجرة يستند إليها؛ وقع نظره على إحدى الأشجار الكبيرة القديمة، فإذا قلبه ينشرح لهذه الشجرة، ونفسه تهفو إلى الجلوس تحتها، وجسمه كله يندفع نحو الشجرة ليستظل بظلها، فأحس بسعادة غامرة وهو يجلس تحتها، ثم أحسَّ بأنه سوف يتلقى الحقائق التي يبحث عنها تحت هذه الشجرة، فاعتدل في جلسته، وأصرَّ على أنه لن يقوم من مقامه حتى تأتيه الحقائق التي يبحث عنها، وفعلاً وهو في هذه الجلسة تحت شجرة التين القديمة التي يطلق عليها شجرة البو BoTree تأتيه الإشراق، ويهبط عليه العلم اللدني بالحقائق الأربع التي تكلمنا عنها قبلاً، وبعد ذلك جاءت الأحداث تترى، وبوذا في قلبها يحركها أو تحركه، على ما سيتبين لنا -بحوله تعالى- في الفقرات التالية:

١- عندما هبطت المعارف على بوذا وهو في ظل الشجرة المباركة؛ تناوبته الأفكار حول الحال الجديدة التي أصبح عليها، لم يكن قد ظن مجرد ظن أن

هذه الأحداث أو أن هذه الحقائق سوف تأتيه بهذا الوضوح، ولم يكن رتب لهذه المشاعر الجديدة التي انتابته بعد أن أشرقت عليه تلك الحقائق، فقد انتابته حالة من الحيرة والشك جعلته ينكر من نفسه ما يعرف.

٢- أول الأفكار التي انتابت بوذا: هي أن يحتفظ بهذه الحقائق لنفسه، ويكتفي بأنه وصل إلى هذه الحقائق، وأنه أدرك ما لم يدركه أحد سواه، ثم إنه من دون الناس قد اختارته القوى الفوقية لتلهمه ما ألهمته من دون الآخرين، فليكتف بهذه الميزة.

ثم إن الناس الذين سيبلغهم هذه الإلهامات سوف يرفضونه ويرمونهم بالكذب، ثم هناك ما ينبغي التفكير فيه، حيث سيكون عليه أن يبلغ أباه الملك وقبيلته بجميع أفرادها، وهذه وحدها تمثل عقبة كبرى أمامه، حيث سيذهب إليهم بملابسه المهترئة، وهيئته الرثة، ويده صحيفة الطعام التي يتسول فيها من الآخرين، فكيف سيستقبلونه وهو بهذه الهيئة الرثة وهو ابن الملك وولي عهده!

### بوذا والشيطان:

هنا - أيضًا - لا ينسى المؤرخون لبوذا من أتباعه أن يجعلوا للشيطان حظًا ونصيبًا من القصة، ومما حدث لبوذا، فهم يقولون: إن «مارا» كبير الشياطين قد انتهز فرصة الحيرة التي عرضت لبوذا، وتوقفه لیسائل نفسه: هل يذيع مبادئه التي حصل عليها بين الناس، أو يحتفظ بها لنفسه ويجنب نفسه المشاكل الكثيرة التي ستقابلة لو أنه أذاع هذه المبادئ ودعا الناس للأخذ بها، وهو في قلب هذه

الحيرة يقلب الأمور على وجوهها، إذا بكبير الشياطين «مارا» يظهر لبوذا محاولاً بكل المكر والخبث وسعة الحيلة أن يشغل بوذا عن الطريق الذي اختطه لنفسه، والرسالة التي انتدب نفسه لها والتي تتلخص في معرفة أسباب الشقاء الذي تعاني منه البشرية، ثم محاولة القضاء عليه... ودخل إليه «مارا» من باب حصوله على الحقائق تحت الشجرة، وقال له: «ها أنت قد جاهدت حتى حصلت على الحقائق، وقد وصلت إلى ما لم يصل إليه أحد قبلك، وصرت مؤهلاً لأن تصعد إلى السماء لتحتلّ منها المكان اللائق بك بعيداً عن هذه الحياة المليئة بالشقاء والمنغصات، وها أنت قد نجوت من تكرار المولد، بقي أن تودّع هذه الحياة وتصعد إلى الملاء الأعلى لتحتلّ المكانة السامية التي تليق بك هناك».

لكن بوذا قطع الطريق على الشيطان، وفي نفس الوقت اتخذ قراراً حاسماً بأن يبلغ إلى الناس جميعاً تلك الحقائق التي حصل عليها، وأن يتحمّل في سبيل ذلك كل المشاكل والصعاب التي ستقابله، يتحمّل تكذيب الناس إيّاه، وغضب والده وأسرته المملّكية الذين لا بدّ أنهم سوف يستقبلونه بكل الغضب والحزن، لكنه قرّر أن يتحمل ذلك وأن يسير في طريقه إلى النهاية.

لكن عليه قبل كل شيء أن يتخلص من «مارا» ذلك الشيطان الخبيث الذي لا يبأس أبداً من محاولات إغواء بوذا وإفشال مهمته، والقضاء على دعوته؛ لذلك بدأ بوذا خطوات طريق دعوته الطويل بأن تخلّص من الشيطان، ونبذ غوايته ومحاولاته، وقال له بأسلوب حازم قاطع: انصرف عني أيها الشيطان الخبيث، فأنت لا تريد للناس إلا الشر، وأنا أريد لهم الخير، فطريقي غير طريقك، فانصرف

ولا أَرَيْنَ وجهك بعد الآن!! وانصرف الشيطان خاسئاً وهو حسير، وتفرَّغ بوذا منذ تلك اللحظة لتلك المهمة التي انتدب نفسه لها، وقد وُطِنَ نفسه على ملاقات الصعاب ومحاولة التغلُّب عليها، وبلوغ ما قد عزم عليه مهما كان الثمن، لكن من أين يبدأ خطواته الأولى؟!

### بوذا والشجرة المقدسة:

بدأ بوذا دعوته بالتفكير من أين يبدأ، وبمن يبدأ دعوته؛ وظل مقيماً بغابة «أورفيلا» التي تلقى فيها الحقائق الأربعة، والتي تغيَّر اسمها، وتغيَّر اسم الشجرة التي استند إليها بوذا أثناء تلقُّيه تلك الحقائق العظيمة التي أقام على أساسٍ منها فلسفته.

أما الغابة فقد تغيَّر اسمها منذ تلقى بوذا التعاليم والحقائق تحتها، فلم يُعد اسمها غابة أورفيلا، واكتسبت اسماً جديداً يدل على صلتها ببوذا وبذلك الحدث الكبير الذي وقع له وهو مستند إليها، لذلك أطلقوا عليها «غابة بوذا Buddhagia»، وأما الشجرة فتغيَّر اسمها من «شجرة التين» إلى «شجرة بوذا Buddha tree».

وقد أوضحت هذه الشجرة التي يطلق عليها أحياناً «الشجرة المقدسة» موضع تكريم ورعاية من أتباع بوذا في كل بقعة على الأرض فيها بوذيون، حتى إنه في بعض جزر إندونيسيا - جزيرة جاوة - توجد الشجرة الوحيدة من هذا النوع.

وقد اتخذ المسؤولون هناك جميع الإجراءات الكفيلة بالحفاظ على هذه الشجرة وضمنان حمايتها من الزائرين إليها للتبرُّك بها من أتباع بوذا، ومن هذه

الإجراءات التي اتُّخِذَتْ لحماية الشجرة المقدسة: أنهم أحاطوها بسور حولها؛ خوفاً من أن يقطع بعض البوذيين أوراقها أو فروعها للتبرُّك بها، أو يتقربوا إليها بالاحتكاك بها، أو الاستناد إلى جذعها؛ كل ذلك خوفاً على الشجرة المقدسة ورعاية لها.

وقد أقام البوذيون معبداً حول هذه الشجرة هو معبد «بروبودور» وأعدوه بكل ما يلزم لاستقبال أعداد البوذيين الذين يحجُّون إلى هذه الشجرة ويتبرَّكون بالانتقال إليها وإظهار احترامهم وتقديسهم إياها...

وهذا مثال لحب البوذيين لبوذا ولجميع ما يتصل به، أو يكون له شأن في مسيرته التي يعدونها مباركة.

### بوذا وبداية الدعوة:

قلنا: إن بوذا عندما تلقى هذه الحقائق الأربع تحيَّر بين أن يحتفظ بهذه الحقائق لنفسه، ويستريح من عناء نشرها بين الناس، وما يمكن أن يحدث له من جراء عرضها على الناس، ومحاولة إقناعهم بها، أو أن ينشرها بين الناس فيكون فيها سعادة الجميع، ولو تحمَّل في سبيل ذلك أن يكذبوه أو يتهموه.

لكن بوذا آثر أن ينقل هذه الحقائق إلى الناس، وآثر أن ينشر ذلك الخير ليعم الجميع، ولا يقتصر على نفسه فقط فيكون أنانياً، وإلا فلماذا سُمِّي «بوذا»، وكيف يستحق هذه التسمية التي تجعل له الشرف الأسمى، وتجعله من هذه النخبة التي يطلق عليها «البوذاوات»؟!

وعندما استقرَّ رأيه على أن يذيع مبادئه بين الناس، جلس يفكر من أين يبدأ، وهو في هذا البحث والتفكير استغرق ثمانية وعشرين يوماً، ثم إذا هو يتذكر رفاقه الخمسة الذين كانوا معه أيام جهاده وتقشُّفه، والذين كانوا يعايشونه قبل أن يفترق عنهم، فشدَّ الرِّحال إليهم، وجدَّ في البحث عنهم في كل الأماكن التي عَرَفَ تردُّدهم عليها، ثم وجدهم أخيراً في مكان اسمه «مرج الغزال».

وحين وجدهم شعر في بداية الأمر بأنهم ما زالوا متأثرين بتركه إيَّاهم حين تركهم، لكنهم ما لبثوا أن شعروا بمعالم وعلامات «البوذية» يشعُّ نورها من داخله، فزادوا إجلالاً له.

وعندما أخبرهم بما جرى له تحت الشجرة التي تلقى الحقائق عندها صدَّقوه، ووضعوا أنفسهم أوَّل أتباعه، وأول المصدِّقين به، وكان تصديقهم به نتيجة لِمَا عهدوه فيه مِنْ قَبْلُ مِنْ صدقٍ وإخلاصٍ في تقشُّفه وزهده، ثم لِمَا لاحظوه عليه من أمارات الصِّدق حين حدَّثهم عن الحقائق التي ظهرت له تحت الشجرة المقدَّسة، ولِمَا أخبرهم به من اتصاله بالكون الأعلى، والكائن الأسمى.

وحين حدَّثهم عن الحقائق التي ألهمها، وقد اتَّفَق معهم في جلسته هذه على أن يُسمُّوا الحقائق التي توصل إليها وما يتصل بها من أمور: «النظام»، وأن يطلقوا عليها «عجلة الشريعة»؛ من ذلك بدأ منذ ذلك العهد -عهد اللقاء بين بوذا وزملائه الخمسة القدامى في غابة «أوروفيللا»- يُطلق على مذهب بوذا اسم «النظام» أو «عجلة الشريعة».

وبدأت عبارة «بوذا يحرك عجلة الشريعة» أو «يدفع بالنظام إلى الأمام» أو «ينشر النظام»؛ كلُّ هذا يعني: أن بوذا بنفسه، أو بواسطة أتباعه يدعو إلى مذهبه، ويحضُّ الناس على أتباعه.

### موعظة الشريعة:

أقام بوذا مع زملائه القدامى الخمسة بضعة أيام، يقال: إنها خمسة أيام، كانت بمثابة التدريب له على الدعوة إلى مذهبه، وفي الواقع كانت فرصة له يُكوِّن فيها أفكاره ويراجع فيها خطته التي يعدُّها للمستقبل، وكانت تصرفاته مع رفقائه الخمسة بمثابة التدريب العمليِّ له، من هنا بدأ يزاول عمله باعتباره صاحب فكر ومذهب يحتاج منه إلى جدال ومناقشة وخطابة وفكر، ومن هنا بدأ مزاوله هذه الأمور عن طريق إلقاء خطبة طويلة على زملائه يثبت فيها ذكاه وفطنته وقوة تأثيره في الآخرين.

من هنا ألقى خطبته الأولى على زملائه الخمسة، تلك الخطبة التي أُطلق عليها: «موعظة عجلة القانون» أو «موعظة الشريعة»، وفي هذه الموعظة بيّن لإخوانه أنواعاً من الحقائق التي لا يعرفها إلا قلة من الناس، بل ربما لا يعرفها على وجهها الصحيح إلا هو، ثم بيّن لهم الحقائق التي كُشفت له، وبيّن لهم الكثير عن عجلة الشريعة التي يدعو إليها، ومن تلك الحقائق التي تناولتها موعظته الشهيرة نكتطف تلك النقاط المهمّة عن مذهبه الذي اختطّه لنفسه، قال بوذا:

إن سلوك الإنسان في حياته هو الأهم، وهو الذي يتوقف عليه سعادته في هذه

الحياة، لكن الناس ينقسمون في هذا السبيل إلى فريقين، وكلاهما على خطأ: فمن الناس من يطلقون لأنفسهم أعتة الشهوات على سعتها، فينغمسون في الشهوات، ويغرقون في المتع والمسرات، ويغترفون جميع ما يعرض لهم من متع، وهذا سلوك المستهترين الغافلين الماجنين.

ومن الناس فريقٌ ثانٍ يعيش عيشة الفقر والحرمان، يعذبون أنفسهم بالحرمان ويذلُّونها بأنواع العذاب، ويكبحون جماح شهواتهم، ويحيون حياة الذلَّة والمسكنة، يطوفون على البيوت وفي أيديهم صحافهم يستجدون شيئاً من الطعام، ويحسبون أنهم بذلك قد حقَّقوا الفضيلة!!

لكنَّ كلاً من الفريقين مخطئ، ولا فائدة تُرجى من هؤلاء ولا من أولئك؛ فالفريق الأول أطلق لنفسه العنان وأغرق حياته في الشهوات، وأضحى أسير النَّزوات والنزعات، فانتهى أمره عند ذلك المستوى؛ لأن سلوكه سلوك المُجَّان المستهترين، وأما الفريق الثاني فهو يعذب نفسه ويذلُّها دون ما فائدة، ولا هدف حقيقي، وإنما يعذبون أنفسهم تقشُّفاً ورهبانية لذات التَّقشُّف والرَّهْبنة، ويكتفون بذلك ولا يجنون من وراء ذلك أية ثمرة سوى تعذيب أنفسهم.

أمَّا النهج الصحيح فيلزم منه أن نعرف أن تعذيب الجسد بلا هدف صحيح هو أمرٌ لا فائدة فيه، وكذلك الإغراق في المتع والملذات منهج لا يؤدي إلى السعادة؛ بل نهايته شقاء دائم، وإنما النهج الصحيح هو وسطٌ بين هذا وذاك، إنه منهج لا تخطئه العين، ولا يجهله العاقل، إن المنهج الوسط يهب لصاحبه

السعادة الحقيقية، ويمنحه الذكاء والفتنة، ويهب له السعادة الأبدية.

إن «تاتاجاتا-بوذا الأكبر» قد كُشِفَتْ له الحقائق الأبدية، وأطَّلَع على الحقائق الأربع السامية، قد جاء ليذيع في الناس تلك الحقائق التي تحتوي على قانون الخير الأسمى، وتتضمن جميع الحقائق التي تؤدي إلى ضبط النفس وتخليص الإنسان من آلام الحياة وشقائها.

والآن وقد شرعت في الكلام عن الحقائق الأربع السامية؛ فإنه من المهم أن يتضح لنا المعنى الحقيقي لضبط النفس، وسعادة الإنسان التي تتمثل أيضاً وتحقق في تخليص الإنسان من آلام الحياة وشقائها، إن ذلك كله يتمثل في أن يعرف الإنسان الحقائق المقدسة فيحيا بمقتضاها، وأن يتمسك في حياته كلها بالطريقة ذات العناصر الثمانية.

إن الكثيرين من المفكرين والحكماء يفكرون في معنى العودة إلى الحياة مرة بعد مرة، ويبحثون عن الطريق إلى القضاء والتخلُّص من هذه العودة التي هي سبب تعدُّد الولادات، والتي يتعدَّد بتعدُّدها شقاء الحياة، ثم إنهم يبحثون وبنفس القدر أو أكثر كيف يعدُّون أنفسهم للذهاب إلى النِّرْفانا، التي تهدأ فيها الحياة، وتتخلص من الآلام والشقاء، وتحيا في سعادة دائمة، وهذا كله لا يتحقق وقوعه إلا بأن يحيا الإنسان حياة تقوم على الثمانية عناصر.

إن الجسم يتكون من خمسة عناصر، وإن وجوده مستمَدُّ من وجود هذه العناصر الخمسة، وفي نفس الوقت فإن الجسم خالٍ من الرُّوح، وخالٍ من الدَّات،

وكل كلام عن الروح أو الذات الخاصة هو كلام غير حقيقي.

وقد يتساءل الناس عن وجود الإنسان، وإذا كان خاليًا من الرُّوح، فبم يكون وجوده؟! وإنني أوضح لكم هذه الحقيقة.. إن وجود الإنسان ينشأ بتأثير الأسباب التي بها يكون وجوده..

وهي بمثابة سلسلة ذات حلقات، كل حلقة منها متصلة بسابقتها، ومُنشئة للتي تليها، وسلسلة الأسباب هذه هي العلة في الوجود وفي الفناء معًا... وعلى من يرغب في تحصيل السعادة، والقضاء على أسباب الشقاء والألم أن يؤمن إيمانًا عميقًا بسلسلة الأسباب والمسببات، وما ينتج عليها<sup>(١)</sup>.

## رحلة الدعوة إلى البوذية:

استطاع بوذا أن ينجح في نشر مبادئه، يبين ذلك:

١ - بداية الانتشار: أن بوذا توجه أول ما توجه إلى رفقاءه الخمسة الذين كانت له رفقة بهم في غابة «أوروفيللا» التي تغير اسمها واتخذت اسمًا جديدًا منذ حلَّ بها بوذا داعيًا إخوانه الخمسة، ووافقوه على دعوته وأصبحوا مساعدين له في تحريك عجلة الشريعة، ونشر النظام، وهذه الغابة أصبح اسمها: «بوداكيا Buddhagia».

لكن بوذا بعد أن التقى بإخوانه في تلك الغابة يدعوهم إلى مذهبه، التفتَّ حوله أعداد كبيرة من المريدين، يذكر بعض المؤرخين أنهم ستون، وبعضهم

(١) انظر: بوذا الأكبر، لحامد عبد القادر (ص ٥٩)، البوذية، لصلاح أبي السعود (ص ٦٣ - ٦٤)، بوذا، للراهب البوذي والبولا راهولا (ص ٦٧).

يزيد قليلاً، لكن هؤلاء كانوا هم التابعين الملازمين.

أما الذين اعتنقوا مذهب بوذا فقد كانوا أضعاف ذلك، وكان طبعياً أن يكون في مقدّمة التّابعين له أعداد كبيرة من الزُّهاد المتقشّفين النُّسّاك الذين يعيشون في تلك الغابة وفي الغابات المجاورة، فهؤلاء ائثالوا على بوذا وانضوا تحت لوائه، وتابعوا النظام، بل إن الكثيرين من هؤلاء أخذوا المبادرة وصاروا يحركون عجلة الشريعة مع بوذا، وينشرون النظام معه.

٢- دعوة أهل بنارس: أخذ بوذا يحدُّ بنشاط وهمّة كبيرين، وقد كثرت القصص والروايات التي يرويها البوذيون والمؤرخون منهم حول مقدار النجاح الذي حقّقه بوذا مع الأفراد والجماعات وبخاصة في المراحل الأولى من الدعوة، حيث حقق بوذا نجاحاً هائلاً مع النُّسّاك المتقشّفين في الغابة وفضلاً عن ذلك حقّق نجاحاً هائلاً مع الأفراد الآخرين من غير النُّسّاك، وكثيرٌ هم الأفراد العاديون الذين اقتنعوا بدعوة بوذا ثم اتبعوه، وأصبحوا دعاة معه ينشرون النظام، ويحركون معه عجلة الشريعة.

فمن ذلك -على سبيل المثال- أن بوذا بقي في «بنارس» قرب غابة مرج الغزال حتى بلغ عدد تلاميذه قرابة المائة، وكان من بينهم شاب من أسرة ثرية، وأبوه من الأمراء، وكان الشاب يسمى «ياسا Yassa» كان هذا الشاب قد سمع ببوذا فجاء إليه في غلَس الليل خوفاً من أبيه الأمير الثريِّ، ولكنه ما إن التقى ببوذا حتى حلق رأسه، ولبس الرداء الأصفر -رداء البوذيين حتى اليوم- وأعلن أنه تابع لبوذا وتلميذٌ من تلامذة النظام، ثم أخذ يدعو إلى مبادئ بوذا، حتى نجح في

تبويد أعداد كبيرة - أي: جعلهم تابعين لبوذا- ثم تابعه على دعوته جميع أهله وأصدقائه الذين كانوا قبل ذلك غارقين في اللهو والمتع، وكان في مقدمة أتباعه: أسرته الثرية، وفي مقدمة أسرته: زوجته وأمه وأبوه.

وطبعي أن يتبع كثيرون من أهل «بنارس» هذا الرجل الثري وأسرتة التي كان انتسابها لبوذا سبباً في تبويد أعداد كبيرة من أهل بنارس، وبعد أن بلغ عدد تلامذة بوذا ما يتخطى المائة جمعهم بوذا وألقى فيهم درساً بليغاً، وعلمهم كيف يدعون الناس إلى المذهب وكيف يجعلون الناس أعضاء في النظام، بل ويساعدون في تحريك عجلة الشريعة مع بوذا والآخرين.

٣- أثر الطبيعة الهندية على انتشار البوذية: هناك أمور ينبغي أن نلتفت إليها ونلفت الآخرين كذلك، وهذه الأمور تبين لنا السبب الذي من أجله انتشرت البوذية في الهند، وكذلك انتشرت من قبلها الهندوسية أو البرهمية، وانتشرت الجينية، وانتشرت بعد ذلك بقرون طويلة السيخية، وينتشر الكثير من المذاهب، ويدين الناس بها ويلتزمون بها.

بل هناك شيء عجيب قد لا نجده إلا لدى الهنود، حيث يعتنقون مذهباً بعينه - كالبوذيين مثلاً- وهم يدركون أن البوذية إنما قامت في الأصل اعتراضاً على البراهمية أو الهندوسية وطغيان رجالها المُسمَّين «البراهمن»؛ من أجل ذلك فهم الهنود الذين دخلوا البوذية واعتنقوا المذهب البوذي وصاروا أعضاء في النظام، فهم هؤلاء أن البوذية ألغت الطبقات التي تقوم على أساس منها الهندوسية أو

البرهمية، فالبوذية ألغت طبقات الهندوسية، رغم أن ذلك من الأسس التي تقوم عليها الهندوسية.

نقول: إن الشيء العجيب لدى الهنود؛ أنهم رغم معرفتهم بالعداء بين البوذية والهندوسية، وأن البوذية قامت كثرة على الهندوسية، وأنها ألغت بعض الأسس التي تقوم عليها، إلا أن البوذي قد يدين بالهندوسية كذلك، وقد يؤدي طقوسها رغم أنه يؤمن ويدرك جيداً ما بين الهندوسية والبوذية من عداء، ومن تناقض في كثير من القضايا العقدية التي تمس حياة الناس هنا وهناك، بل إن البوذيين - بعد موت بوذا - كانوا يضعون تماثيل بوذا بين تماثيل آلهة الهندوس في المعابد الهندوسية، ويتوجهون للجميع بالعبادة، وقد يختصون بوذا بمزيد من العناية، لكنهم يعظمون الآلهة الهندوسية، ويسجدون لها، بجانب تعظيمهم لبوذا وتماثله الموضوعة بجانب تماثيل آلهة الهندوس، ولأنه لم يكن أتباع بوذا قد أقاموا للبوذية معابد بعد، فقد كانوا يضعون تماثيل بوذا بمعابد الهندوس ويعظمون الجميع.

٤ - يساعد على ما أشرنا إليه؛ طبيعة الهندي التي تقوم على السلبية والمسالمة، وأخذ الأمور ببساطة شديدة دون تعقيد، ودون تعمق في الأمور، وتفتيت لها، أو اهتمام بما تقوم عليه من تفاصيل، أو ما تؤدي إليه هذه التفاصيل في النهاية من تناقض بين الآراء والعقائد، بل يؤمن الهندي بآلهة الهندوس، ثم يعجبه ما في البوذية من بعض التعاليم فيعتنق البوذية، وهو ما زال على الهندوسية، ولقد كان كثير من الذين اعتنقوا البوذية، ودخلوا النظام، وحركوا عجلة الشريعة كانوا لا يزالون على اعتناقهم الهندوسية، يحترمونها ويؤمنون بها، ولم يكن الأمر عندهم

يتعدى أنّ المذهب الجديد يعجبهم فيه بعض طقوسه ويريحهم في بوذا كثير من خطبه ومواعظه، فاتجهوا واعتنقوا تعاليمه، دون أن يلقوا بالألأ، أو يهتموا بما بين البوذية والهندوسية من تناقض وتعارض في كثير من القضايا الأساسية.

٥- بوذا وإعداد الدعاة: قد يجرّنا هذا إلى حديث عن قضية مهمّة جدًّا، بل إنها أهم قضية لدى المتديّنين أيًّا كان دينهم، يستوي في ذلك المُنشئون للدين والمؤسسون له، أو الصفوف الأولى من الدّاعين له، والمجدّون في نشره، ونعني بهذه القضية المهمة: إعداد الدعاة إلى هذا المذهب البوذيّ الذي دَعَا إليه بوذا واثال عليه الناس، ليس لصلاحه في ذاته ولكن لمواءمته ظروف القوم الذين خَرَجَ منهم بوذا وجعل من نفسه داعية إلى ما يصلحهم، ثم وضع مبادئ ذلك المذهب وقعد قواعده.

إن أيّ مذهب يقوم على رَجُلَيْن، ويسعى بين الناس على قَدَمَيْن؛ الأولى: المنشئ له والمؤسس، والثانية: هم الدعاة إليه والناشرون له بين الناس، ولا يصلح المذهب وينتشر بين الناس إلا بالاثنين معًا، ويفشل المذهب ويموت في مهده إذا لم يتوفر له المنشئ البارع، والداعي الذكي الذي يغري الآخرين باعتناق المذهب والأخذ به والانضواء تحت لوائه.

ولذلك عُنِيَ بوذا بالأمرين جميعًا، بل لعله عُنِيَ أكثر بإعداد الدعاة لمذهبه؛ لأن صلاح الداعية وذكاءه فيما انتدب له قد يُغْطِي على كثير من المثالب والأخطاء التي يحتوي عليها المذهب، ثم إن هناك أمرًا آخر مهمًّا؛ ذلك هو اختلاف أصناف

المدعوين، حيث هناك المدعو العاقل المثقف المذهب، فهو مهذب وصاحب فكر وخلق حتى ولو لم يُقبل على المذهب.

لكن هناك كذلك المدعو الأحمق الجاهل الذي قد يؤدي الداعي بأنواع من الإيذاء، ليس أقلها أن يمد يده، أو يهدد حياته؛ لذلك قلنا: إن بوذا كان من الذكاء ليس فقط في إعداد أسس مذهبه؛ بل في إعداد الدعاة الذين يرسلهم إلى القبائل الأخرى للدعوة إلى مذهبه.

وقد أُرثِر عن بوذا عددٌ من المناهج والطرق التي اتبعتها في إعداد الدعاة، وإن كانت جميعها تقوم على نصيحتهم بالصبر، وقوة التحمل، لكنه كان ينهاج بهم المنهج العملي الموضوعي الذي يغرس فيهم الصبر على القبائل مهما كانت شراسة أخلاقها وسوء طباعها.

ولا بأس من أن نعطي مثالين حَفِظَهُمَا لنا التاريخ عن أسلوب إعداد بوذا الدعاة إلى مذهبه:

أ- المثال الأول: يتمثل في تاجر من التجار في بلد اسمها «سُونَا بَارْتَا»، سمع بـ«جوتاما» فجاء إليه وسمع منه واعتنق مبادئه بعد أن أعجب بها، وهنا استأذن الرجل بوذا أن ينشر مبادئه في أهل بيته وفي بلده كلها، فقال له بوذا: إنَّ أهل بلدك قساةٌ أشرار، وإذا سمعوا منك ربما سبُّوك وشتموك، فما أنت فاعل إذا هم فعلوا ذلك؟ فقال الرجل: أسكت ولا أرُدُّ عليهم؛ فقال جوتاما -بوذا-: وإذا هم ضربوك فماذا أنت فاعل؟ فأجاب الرجل: لا أمدُّ يدي إليهم بسوء جزاء ما فعلوا؛ فقال له بوذا: وإذا هم حاولوا قتلك؟ فقال الرجل: ليس الموت شرًّا في ذاته،

ويوجد كثير من الناس يتمنّونه ويسعون إليه ليتخلّصوا من الحياة الخادعة، ولن أتقدّم أو أتأخّر خطوة واحدة لأؤجّل أجلي عن مواعده!! هنا ظهر الاستحسان على جوتاما؛ لأنه عرف أنه نجح في تربية هذا الرجل وأعدّه للدعوة جيّداً.

ب- مثال ثانٍ على نجاح بوذا في إعداد الدعاة الذين هم على استعداد لبذل حياتهم في سبيل تحريك «عجلة الشريعة» -دعوة بوذا-: ويتمثّل هذا المثال في تلميذ من تلامذة بوذا اسمه «بُورَنا»، أراد بوذا أن يرسله إلى قبيلة من القبائل، وكانت هذه القبيلة معروفة بالقسوة والخشونة والشراسة والرغبة في إيذاء الآخرين؛ ولهذا أراد بوذا أن يتأكد من صلاحية تلميذه بورنا لهذه المهمة فقال لتلميذه: «إنّ أفراد هذه القبيلة معروفون بالشراسة والقسوة، فإذا وجّهوا لك سباً أو شتموك فماذا أنت فاعل؟

فقال بورنا: أقول: إنهم طيبون مهذبون لأنهم شتموني وسبوني فقط، ولم يضربوني ويؤذوني.

فقال بوذا: وإن هم ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة؟

قال بورنا: أقول: إنهم طيبون لأنهم لم يضربوني بالعصيّ أو بالسيوف.

قال بوذا: فإن هم ضربوك بالعصيّ والسيوف؟

قال بورنا: أقول: إنهم طيبون لأنهم ضربوني بالعصيّ والسيوف ولم يحرموني

من الحياة ويقتلونني.

قال بوذا: وإن هم حرموك الحياة نهائياً؟

قال بورنا: أقول: إنهم طيبون لَيُنُوا العريكة؛ لأنهم خلَّصوا نفسي من سجن هذا الجسد دون كثيرٍ من الألم!!

هنا قال بوذا: أحسنت يا بورنا، إنك تستطيع بما أوتيت من الصبر والثبات أن تذهب إلى تلك القبيلة، وتسكن في بلادهم، فاذهب إليهم، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك، وكما تخلَّصت فخلِّصهم، وكما وصلت إلى مقام النِّرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك.

وكانت النتيجة أن بورنا ذهب إليهم، وأنهم جميعًا آمنوا بالبوذية، ودخلوا النظام واتَّبَعُوا بوذا، بل كان لهم شأن في نشر البوذية بين القبائل الأخرى.

٦- بوذا يدعو أهله وأسرته: وفيما يتَّصل بأسرة جوتاما -بوذا- فإنَّ أسرته وأباه تحديداً كان يتَّبَع أخبار ابنه ويتسمَّع إليها وكان آخر ما وصله من أخبار ابنه: أنه ترك الزهد والرَّهْبنة وأخذ يسيح في الأرض يعلم الناس مبادئ مذهبه الجديد، وظن أنه مثل أيِّ معلِّمٍ، فوظيفة المعلِّم لم يكن بها من بأس؛ لذلك أرسل إليه أبوه يخبره بأنه يريد أن يراه قبل أن يموت، هنا استجاب بوذا لرغبة أبيه وذهب إلى مملكة أبيه، وهناك أقام بحديقة قريبة من المدينة، ولمَّا علم أبوه بوجوده ذهب إليه للقاءه ومعه أعمامه وأقرباؤه وغيرهم، ولكن ما إن رآه أبوه يلبس ملابس الدِّراوِيش، وعلى هيئة الرُّهبان والفقراء، حتى غضب غضباً شديداً ثم تركه ومن معه، ورفض أن يدعُوهُ أو أحداً ممن معه من أتباعه إلى قصره، كما هي عادة الناس في مثل ذلك.

ولكن جوتاما- بوذا- حمل وعاءه الذي تعود أن يطلب من الناس الطعام فيه، وصار يطوف بأبيات المدينة يطلب الصدقة، واستشاط أبوه غضبًا، وقال له: لماذا تعرّض أسرتنا العظيمة للعار؟! ثم قال له: يا بوذا العظيم؛ لماذا ألحقت بنا العار، أمِنَ الضَّروريِّ أن تتردّد على الدُّور والأبيات تطلب الصدقات، ويبدك وعاء الخشب الذي تتسوّل فيه؟! إنك إن كنت نسيت من أنت ومن هو أبوك، ومن هي القبيلة النبيلة التي تنتمي إليها؛ فإذهب بعيدًا، وتسوّل من جميع البلدان ولكن ما كان لك أن تأتي إلى هنا لتجلب علينا العار، وينظر إليك جميع أفراد القبيلة وأنت تتسوّل بهذه الهيئة المزرية لقد جئنا نستقبلك ظانين أنك قد تركت التسوّل وحياة المتسوّلين، فإذا أنت تضع كرامة القبيلة كلّها في طين الأرض!!

ظلّ بوذا صامتًا بأدب شديد وأبوه يكلمه وحوله العديد من تلاميذه وكلّ منهم يمسك بيده وعاء الصدقة مثل معلّمهم بوذا، حتى إذا انتهى والد بوذا من كلامه ومعه عدد كبير من أسرته، بدأ بوذا يكلم والده بأدب واحترام، فقال له: أيُّها الوالد النبيل، والملك العظيم؛ إنك تستطيع أن تزعم أن أسرتك- وأنا منها- تنحدرون من أصول ملكيّة تنتمي إلى الشمس، وهذه حقيقة لا نجحدها ولا نجادلك فيها، ولكنني- أيضًا- وأنا ابنك أنتمي إلى أسرة أعرق من الأسر التي تنحدر من الشمس، إنني أنتمي إلى أسرة البوداوات الذين هم من القديم أصول الأنبياء، وإليهم ومنهم تنبع النبوءات، وعنهم تؤخذ الحكمة، وهؤلاء البوداوات ينهجون من قديم ذلك المنهج الذي أنا عليه الآن، إنهم جميعًا- مع عظيم مكانتهم- حملوا وعاء الصدقة، وداروا على البيوت يطلبون الطعام، ولم يقلل ذلك من قدرهم أو

قَدْرٍ أُسْرِهِمْ، ولم يجلبوا العار لأحد!!

إِنَّ واجب كل من يعثر على كنز، أو يجد هدايا قيِّمةً؛ أن يحتفظ بأفضل ما فيها لوالده وأسرته الذين هم أَحَبُّ النَّاسِ إليه، وأقربهم منه؛ لذلك أقول لك يا أبي الحبيب: إنني ما جئتُ إلى هنا إلا لأقسم معك هذا الكنز العظيم الذي مُنِحْتُ إِيَّاهُ، فلا تتراخ يا والدي النبيل، وأقبلْ لتحصّل من بوذا الكبير على الكنز العظيم الذي يقدّمه لك.

سمع الأب الملك كلام ابنه بوذا الأكبر، فشعر بالخجل من موقفه من ابنه الذي وصل إلى تلك المنزلة العظيمة، ومنزلة البوداوات الذين كان الأب قد سمع عنهم - بالضرورة - وعن أخبارهم التي تُحكى، وإن كان لم يرهم، وها هو يرى ابنه قد أصبح واحداً منهم، بل قد أصبح أكبرهم؛ لذلك أخذ الوالد الملك وعاء الصدقة من يد ابنه ثم قاده وجميع من معه إلى قصره المَلَكِيّ، وأنزلهم جميعاً ضيوفاً عليه، ثم ما لبث أن اعتنق النظام الذي يدعو إليه ابنه، وصار عضواً فيه، وحين فعل الملك ذلك تبعه جميع من في القصر، بل وكثيرون من كبار قبيلة «ساكيا موني» التي هي قبيلة الملك والد بوذا، والتي ينتمي إليها بوذا، ولعل الكثيرين من أفراد القبيلة كانوا يريدون الدخول في النظام البوذي، ولكنهم كانوا يخافون غضبة الملك، ولَمَّا دخل الملك النظام وصار عضواً فيه؛ انثالوا جميعاً وأضحوا أعضاء في النظام.

٧- من قصص بوذا في الدعوة: ولا يسعنا أن ندخل مرحلة وداع بوذا إلى

نهايته الحتمية دون أن نشير إلى بعض القصص الذي يتناقله أتباعه تعظيمًا له، وفي نفس الوقت يُظهر منهجه في الدعوة إلى مذهبه، ثم إنهم بهذا القصص يُعلّون من شأنه، ويدافعون عن طريقته التي اتبعتها، والتي تقوم على السلبية من جانب، ومن جانب آخر تعتمد على التسؤل والرهبنة، والدوران على الأبيات والأشخاص وفي يده وعاؤه يطلب القوت والطعام.

هذه الطريقة التي تبدو لنا ممقوتة مردولة، ولكنها عند أولئك القوم عنوان التقوى والصلاح وهداية الآخرين، ثم إنها في معتقد الهندوس والبوذيين الذين تقوم فلسفاتهم على الإيمان بالسلبية طريقًا صحيحًا، وأن الدروشة والرهبنة والتسؤل طريق يدل على صلاح سالكيه، وليس هذا تاريخًا قديمًا تركه الناس.

ولكن أشهر رجالات الهند الحديثة الذين قامت على أكتافهم حضارة الهند المعاصرة؛ كان «غاندي» أو «المهاتما غاندي» الذي كان يعيش على ما تنتجه له تلك الماعز الشهيرة التي كانت زميلة كفاحه وكان هو عبارة عن «جلد على عظم» كما يقولون، ولكنه أقام جهاده على السلبية حتى خرج الاستعمار الإنجليزي من بلده مدحورًا بسبب تلك السياسة التي قام بها غاندي ومن تمثّل به من شعب الهند.

قصارى ما نريده: أن ننقل شيئًا مما يحرص البوذيون على تناقله بينهم من قصص تُروى عن جهاد بوذا الأكبر - جوتاما-: فهم يرون أن أحد الفلاحين كان يحمل حصاد أرضه من القمح ذاهبًا به إلى داره، ويبدو أن هذا الفلاح كان ضيق الصدر من كثرة المتسوّلين الذين يدورون بأوعيتهم في أيديهم يتسوّلون ويستجدون الطعام، وحينما رآه بوذا أراد أن يعظه ليضمّه إلى نظامه، فتصدّى بوذا

للفلاح رافعاً في وجهه وعاء الصدقة طالباً منه أن يتصدق عليه بشيء، وكان يقصد بهذا أن يفتح معه باباً للحوار.

فما كان من الفلاح إلا أن انفجر غضباً في وجه بوذا قائلاً له: لماذا تدور وفي يدك وعاءك تطلب الإحسان، ولماذا لا تكدُّ وتتعب مثلما تعبتُ أنا؟! لقد حرثتُ الأرض، وبذرت البذور، ورويتُ الزرع ورعيتُهُ حتى كبر، ثم حصدته وجئت به، فهو ثمرة جهدي وتعبِي، وأنت تأتي الآن لتأخذ منه دون أن تعمل شيئاً، لقد كان يجب عليك أن تكدُّ وتتعب وتحث وتزرع، ثم تأكل من سعيك وعمل يدك!!

فقال له بوذا: أيُّها الفلاح؛ كلُّ الذي قلته عن نفسك صحيح، لكني أنا - أيضاً - أحرث وأبذر وأزرع، ثم أكل من عمل يدي.

فقال له الفلاح: إنك تزعم كذباً، تزعم أنك تحث وتزرع، وما رآك أحد تزرع أو تروي الأرض، ولا رآك أحد تحث وتبذر؛ ولذلك لم يكن غريباً أن أحداً لم يرك وأنت تحصد، ولم يكن غريباً كذلك أن تأتي الآن وتطلب الإحسان!!

فأجابه بوذا: إن معرفة الحقيقة هي بذور زراعتي، والإيمان بالأسباب والمسببات، وكذلك تحوُّل الأشياء وحقيقتها، ثم مقاومة نفسي وشهواتها هو الماء الذي أروي به الزرع، وإنَّ محراثي هو الحكمة، والحشائش التي أجتثها حتى لا تفسد الزرع هي الروابط بيني وبين الحياة، والذي يجرُّ محراثي هو التواضع، وأخيراً فإنَّ الزرع الذي أحصده هو «النَّرْفانا» الخالدة التي تخلِّصني من هموم الحياة وشقائها، وإن من يزرع مثلي ويحصد الذي أحصده؛ إنما يجتثُّ

هموم الحياة وأحزانها.

وهنا فهم الفلاح كلام بوذا، ودخل النظام، وصار من أتباع السيد، ومن أكبر دعائه.

وهكذا كان اجتهاد بوذا وتضحياته الكبيرة في نشر مذهبه، أو تحريك عجلة الشريعة كما كانوا - وما زالوا - يسمُّون مذهب بوذا، وكان النجاح في النهاية حليف بوذا ومذهبه، رغم أن هناك عقبات ومشكلات كثيرة وكبيرة كانت تواجه بوذا والبوذية؛ هذه المشكلات التي نخصِّص لها الفصل التالي - بحول الله تعالى -.



## الفصل السادس

### عقبات وعراقيل في طريق الدعوة



تكلّمنا فيما سبق عن دعوة بوذا، التي يطلق عليها أتباعه «عجلة الشريعة»، أو يقال: «مذهب بوذا»، وذكرنا كيف نجح بوذا في نشر مذهبه وتحريك عجلة الشريعة رغم العقبات الكثيرة التي كانت تواجهه.

لكن يخطئ من يظن أن الطريق إلى نشر الشريعة كان مفروشًا بالورود أمام بوذا وتلاميذته وأتباعه، الذين أخذوا على عاتقهم نشر تعاليم بوذا، فإن طريق نشر البوذية كان مليئًا بالعقبات، وقد كان لها من الأعداء ما لا يكاد يُحصَى.

وفيما يلي سوف نشير إلى أهم الأعداء الذين كانوا يعملون جاهدين على القضاء على بوذا والبوذية..

ومن الحق أن نقول: إنهم ما بدأوا الحرب ضد البوذية؛ بل إن البوذية هي التي كانت حربًا عليهم وعلى مذاهبهم ودياناتهم، ولذلك ينبغي أن نلتمس لهم العذر إذا ما وجدناهم يناصبون بوذا والبوذية العداوة، ويعلنون الحرب خفية وعلانية على المذهب الذي جاء به بوذا؛ لأنه في الواقع كان يهددهم في دياناتهم ومذاهبهم. وهؤلاء الذين كان لهم أثر قويٌّ في البوذية معاكس لها أو مقاوم لها؛ من الحق أن يكون لهم حظ من اهتماماتنا؛ باعتبارهم ذوي تأثير في مسيرة البوذية وإن لم

يكن معارصًا لها، لكنه كاشف عن أخلاق بوذا وجهاده وكيف كان يتعامل مع أعدائه؛ لذلك سوف نفسح المجال لأهم هؤلاء الأشخاص، أو هذه المذاهب بإيجاز غير محلل -بحول الله- وأهم هؤلاء ما يلي:

### العقبة الأولى: عداوة «البرهمن» للبوذية:

أول ما يردُّ على الذهن من أعداء بوذا والبوذية إنما هم طائفة البراهمة، وتحديدًا طائفة «البراهمن»؛ والبراهمة هم الهنود الذين يدينون بالديانة البراهمية نسبة إلى «براهما» الإله الأكبر في الديانة، والديانة البرهمية هي الديانة الهندوسية، أما رجال الدين في البرهمية فيسمون: «البرهمن Brahman».

وقد بينّا - في موضع سابق - أن البوذية إنما قامت ثورةً على الديانة الهندوسية، كما قامت كذلك -موازية لها في الزمن- الديانة الجينية، فكلا الديانتين قامتتا بمثابة ثورة على الهندوسية، ولأن الهندوسية -أو البرهمية- هي الديانة العامة لجميع الشعب الهندي؛ فإن الذين عُنوا بالبوذية وحاولوا القضاء عليها في مهدها، وناصبوها العداوة إنما هم رجال الدين في الهندوسية والمُسمَّون «طبقة البرهمن»؛ لأنهم هم الذين أحسُّوا بخطر البوذية، وهم أحسُّوا بأن بوذا ومذهبه الذي أخذ يدعو إليه، والذي استقطب كثيرًا من الهندوس الذين كانوا يدينون بالهندوسية، إنما يمثلُّ الخطر الحقيقيَّ على ديانتهم البرهمية ومكانتهم لدى الشعب.

والأمر في هذا واضح، فهذه البوذية مذهب يأخذ أتباعه من البرهمية أو الهندوسية، وهو ينافس ديانة البرهمن ويستولي على كثير من أتباعها، فالذين

يدخلون البوذية يتركون البرهمية.

### المناظرات بين بوذا والبرهمن:

من هنا كانت البوذية ثورة على البرهمية، وحرَبًا عليها، ومن هنا كان العداء بين البرهمية ورجالها البرهمن وبين البوذية أمرًا طبيعيًا، وكانت المحاولات بين كلِّ منهما للقضاء على الأخرى، ومن هناك كانت المناظرات تُعقد بين بوذا وبين رجال الدين البرهمن.

ولكن قبل أن نذكر مثلًا أو مثلين لهذه المناظرات؛ ينبغي أن نعرف أن المناظرة بين بوذا والبرهمن لا تكون مع عوامِّ البرهمن؛ بل كان البرهمن يُعدُّون أنفسهم ويختارون المبرِّزين فيهم، والعلماء الكبار، والفلاسفة المتقدِّمين؛ لكي يكونوا على مستوى مناظرة بوذا.

ونحن نذكر مثلين فيما يأتي لهذه المناظرات:

### المثال الأول:

مناظرة بين بوذا واثنين من رجال الدين البرهمن، وكانت المناظرة حول وحدة الوجود، وأي الطرق هي المأمونة للاتحاد ببراهما والانطلاق من هذه الحياة، ومن تكرار المولد، والاتحاد بالإله براهما هو ما يطلق عليه عندهم: «وحدة الوجود».

ووحدة الوجود في الديانة البرهمية تعني: أنهم يعتقدون أن الإله براهما قد خلق الوجود كله، ثم خلق النفوس الإنسانية وجعلها جزءًا منه، فالنفوس البشرية في أصلها جزء من براهما الإله الأكبر، ثم هذه النفوس تولد وتتناسخ، وتنتقل

من إنسان إلى آخر عبر تكرار المولد والتناسخ، ثم في النهاية تنطلق كل نفس لتتحد بالإله براهما مرة ثانية، أي: تعود إلى أصلها الذي انفصلت عنه، وهذا ما يسمونه: وحدة الوجود، ويمثلون لذلك بالمحيط الكبير، حيث تبخر مياهه تحت أشعة الشمس، وتصد إلى أعلى، ثم تتحوّل إلى سحب، ثم إلى غيم، ثم في نهاية الأمر تمطر السماء في المحيط، ويعود الماء الذي خرج من المحيط على هيئة بخار قد انفصل عنه، يعود إليه ويتحد به، ولا يمكن لأحد أن يعرف الفرق بين المحيط وبين ما خرج منه ثم عاد إليه. هذه فكرة مبسّطة عن عقيدة البرهمية -أو الهندوسية- في وحدة الوجود، التي ستدور حولها المناظرة الأولى بين بوذا واثنين من البرهمن.

كان بوذا يطوف القرى داعياً إلى مذهبه ومعه عدد من أتباعه، فالتقى به اثنان من البرهمن -رجال الدين في الهندوسية- ولمّا عرفاه ابتدراه قائليّن له: كنا نبحث عن أي الطرق التي توصل إلى الاتحاد براهما، والانطلاق من هذه الحياة، وبما أنك راهب كبير، وشهرتك تسبقك بأنك المعلم الأكبر؛ فنحن قد بحثنا عنك لتدلّنا على الطريق الذي يوصل إلى الانطلاق إلى براهما الإله.

قال لهم بوذا الذي لا يؤمن بوجود الإله، قال لهما: هل رأى أحدكما براهما؟  
أنتما تؤمنان به، وتتعبّدان له، فهل رآه أحدكما بعينه؟

قال البرهميان في نفسٍ واحد: لا أيها البوذا، لم ير أحدنا براهما.

قال بوذا: وإذا صرفنا نظرنا عنكما؛ فهل رأى هؤلاء البراهمة الذين يدرسون كتب

الفيدا المقدسة، أو حتى الذين كتبوا هذه الكتب، هل رأى أحد هؤلاء الإله براهما؟

قال البرهميان: لا أيها السيد، لم ير هؤلاء براهما الإله.

قال بوذا: أعرف أن فيكم من يعلمون الناس، ويجلسون من الناس مجلس المتحدّث باسم براهما؛ فهل رأى أحد هؤلاء الإله براهما، حتى يقنع الناس بوجوده ويتكلّم باسمه؟

قال البرهميان: لا لم ير أحد براهما أبداً، وأضافا متسائلين: وهل يستطيع أحد من البشر الفانين رؤية الإله؟ نستطيع أن نتحدث عن براهما كما تخبرنا كتب الفيديا عنه، ونخبر بما تخبرنا عنه، لكن لا نحن ولا هم ولا غيرنا يستطيع أن يرى براهما؛ لأن الفاني لا يستطيع أن يرى غير الفاني، لذلك لا يستطيع أحد أن يرى الإله؛ لأن الإله لا يرى.

هنا أراد بوذا أن يقيم لهم الدليل على أن براهما لا وجود له، لا هو ولا غيره من الآلهة التي يدّعي المؤمنون بالأديان - أيًا كانت - ولأن بوذا ملحد كافر بجميع الآلهة وبجميع الأديان؛ وجدها فرصة ليثبت لهذين الرجلين من رجال الدين البراهمن أن الإله الذي يؤمنان به لا وجود له إلا في مخيلتهما؛ لذلك ضرب لهما مثلاً - كعادته - حيث كان بوذا يلجأ دائماً لضرب الأمثال لبيان مراده، فقال لهما:

إن كلامكما عن الإله يشبه مكاناً فيه ميدان تتقاطع فيه أربعة طرق، في هذا الميدان وفي وسطه حيث تتقاطع الطرق الأربعة جاء رجل وأعدّ حوله موادّ البناء وأخذ يبني سلماً ليصعد عليه إلى سطح البيت، لكن أين هو البيت الذي سيصعد

إليه الرجل من خلال هذا السُّلم؟! لم يكن هناك بيت، ولم يَبْنِ الرجل بيتًا؛ لأنه لا أحد يبني بيتًا في وسط الطريق المتقاطع إلى أربعة اتجاهات.

وهنا اجتمع الناس حوله وسأله أحدهم: أين ذلك البيت أيها الرفيق الذي تبني هذا السُّلم للصعود إليه؟! إننا لم نَرَكَ بَنَيْتَ سوى السُّلم، ولم نَرَ بيتًا مبنياً لهذا السُّلم ولم نَرَ المكان الذي بُني فيه البيت، هل هو في جهة الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب، ولا عرفنا إن كان مرتفع البناء أو منخفض البناء، إنك تبني سلماً لبيت لا وجود له، ولا أنت تعرف عنه شيئاً، ولم تَرَه البتّة، ثم إنك تزعم أنه موجود!!

ثم قال بوذا للبرهميين: ماذا تقولون عن هذا الرجل؟ أليس عمله وتفكيره وتصرفاته جنونية؟!

قال البرهميان: حقاً أيها السيد، إن عمله وتصرفاته جنونية.

قال بوذا: أليس من الحق أن يقول البراهمة للناس: نحن ندلكم على طريق الاتحاد بالآله برهما الذي لا نعرفه، والذي لم نَره مرة واحدة في كل حياتنا، بل لم يَره أحد قبل ذلك، ولن يراه أحد بعد ذلك، بل لم نعرف عنه شيئاً إلا ما اخترعناه نحن عنه ونقلناه إلى غيرنا كما نقله إلينا غيرنا؟! وإذا كانت هذه هي حقيقة أعمال رجال الدّين البراهمة الذين أتتما منهما؛ أليس تكون الحقيقة أن عملهم ضلال وكذب؟!

هنا قال البرهميان: نعم يا سيد؛ هذا واضح جداً، ولا نستطيع أن نقول غير

ذلك!! ثم كانت نهاية هذه المناظرة أن آمن البرهميان ببوذا، وتركما ما هما عليه، وأتبعاه في نظامه.

### المثال الثاني:

يطلق عليه الكُتَّاب المؤرخون لبوذا أو البوذية: «المناظرة الشاملة» أو «المناظرة الكبرى»، وهذه المناظرة فعلاً كبرى من جوانب عديدة؛ فهي من جانبٍ تشمل المناظرة حول جميع القضايا الخلافية بين البوذية والبرهمية، وأهم هذه القضايا: وجود الإله براهما، ثم الاتحاد به، وذلك بطبيعة الحال يكون بعد الإخلاص في عبادته، والسَّعي إلى الانطلاق إليه، والاستنارة الإلهية؛ وهذه كلها قضايا برهمية يعارضها بوذا ويبطلها بضربة واحدة؛ وهي إنكاره الألوهية.

ثم هي من جانبٍ ثانٍ تناقش قضية النَّفس -أو الأنا- وكون بوذا ينكرها وينكر وجود شيء اسمه النفس، وينكر الأنا والهويَّة، بينما تثبت البرهمية ذلك كله؛ ثم من جانبٍ ثالثٍ فإن هذه المناظرة تتناول الكلام عن النِّرفانا، التي تتكلم عنها البوذية، ويعد بوذا أتباعه بهذه النِّرفانا بدلاً من عقيدة الانطلاق التي تقول بها البرهمية.

لذلك قلنا: إن هذه هي المناظرة الكبرى التي يهتم بها مؤرخو البوذية والبرهمية، هذا إلى أن هذه المناظرة تعدُّ بمثابة مقارنة بين البوذية والبرهمية على نطاق دقيق وشامل.

وإليك قارئِي الكريم هذه المناظرة -مع ملاحظة أننا أوجزناها بشكل نرجو

أن يكون غير مخلّ، وأنها قامت بين أكبر شخصيتين في الدّينين: رئيس البراهمة، وبوذا:

كان المغبوط<sup>(١)</sup> -بوذا- في إحدى جولاته التي يقوم بها في سبيل الدعوة إلى مذهبه، ودخل إحدى القرى الكبيرة المشهورة بمعبد كبير للإله براهما، وبالمعبد عدد من رجال الدّين البراهمة.

ولما دخل المغبوط القرية ومعه أتباعه؛ خرجت القرية كلها ليرى أهلها بوذا الذي سمعوا عنه كثيرًا، وكان الناس لكثرة ما سمعوا عنه يظنون أنه شبيه الأُمراء، ويلبس كما يلبس الأُمراء والكبراء، ولكنهم صُدموا لَمَّا رأوه يلبس ملابس الفقراء الدراويش، ويمسك بيده وعاء الخشبي يتسوّل طعامه، هنا خرج إليه رئيس البراهمة في قرية «داناماتي» وكان اسم رئيس البراهمة «كوتادنتا».

تصدّى «كوتادنتا» للمغبوط، وقال له: أراك فقيرًا متسوّلاً، كنا نظنك غير ذلك وأنت ستأتينا بمجد عظيم مثل ملك عظيم!!

فقال له بوذا: لأنك أعمى، ولو كانت عينك تريان وقلبك غير مظلم؛ كنت رأيت مجد الحقيقة التي معي.

قال له «كوتادنتا»: لو كانت لديك حقيقة لرأيتها، لكن عقيدتك ضعيفة وليست قوية ولا ثابتة ولأنها ليست ثابتة فسوف تختفي وتموت.

(١) من الألقاب التي تطلق على بوذا، وكذلك له عدد كبير من الألقاب، تمر بنا- بحول الله تعالى-.

فأجابه بوذا: إن الحقيقة لا تتغير ولا تتحول، ولا تفنى أبداً؛ بل هي باقية أبداً.

قال «كوتادنتا»: أنت تدعو الناس إلى الإيمان، وتعلّمهم الشريعة، ولكنك في الحقيقة تهدم الدّين، وتدعو إلى الكفر والإلحاد؛ لأنك تمنعهم من عبادة الآلهة، وتحزّم عليهم تقديم الذبائح، والعبادة وتقديم الذبائح هما أصل الدّين، وبغيرهما لا يكون هناك دينٌ، فمن تكون أنت؛ معلّم الدّين، أم الداعي إلى الإلحاد والكفر؟! إن أصل الدين هو تقديم العبادة والأصاحي.

قال بوذا: إن التضحية الحقيقية هي التضحية بالآنا، التضحية بالذات؛ فالتضحية بالآنا أفضل بكثير من التضحية بالثيران وإهلاك الحيوانات، ثم ماذا نكون قد ربحنا إذا ضحينا بالحيوانات بينما تكون الأهواء والميول منحطّةً ومنحرفة؟! إن التضحية للآلهة لن تفيد إذا كانت القلوب مليئة بالفجور، ولن تصلح العبادة إذا كان الإنسان يميل إلى الخطايا والآثام، إن تنقية القلب من الفجور، والسير على الأسس العادلة في الحياة أفضل كثيراً من تقديم الذبائح والعبادة تحت أقدام الآلهة.

قال «كوتادنتا»: أيها المعلّم؛ هل تعتقد بأن الكائنات البشرية حين تموت تولد هي نفسها من جديد؟ هل تنتقل الكائنات من خلال تطوّر الحياة؟ هل نحن نحصد ما نزرع في حياة جديدة؟ هل نحن خاضعون لقانون الكارما؟ إن تلاميذك يعظّون ويعلمون بأنه لا توجد الآنا، كأن إلغاء الآنا غبطة الترفّانا، قل لي يا معلّم: إذا كنت

خليطاً من «السَّمسَكَراوات»<sup>(١)</sup> فوجودي إذًا يتوقَّف عند موتي، بمعنى أنني إذا كنت مركباً من الأحاسيس والأفكار والرغبات؛ أين أذهب عندما ينحلُّ جسدي؟!

قال بوذا: أيها البرهمي؛ أنتَ متديّن، وذو خوف واهتمام على مصيرك، أنت تتألم لأنه ينقصك الشيء الوحيد الضروري.. نعم أيها البرهمي، هناك ولادة متجددة ومتكررة، ولكن المتجدد والمتكرر إنما هو الرغبات والأهواء والأمزجة، وليست الأنا أو النفس؛ خيالاتك العقلية تولد من جديد، وليس الأنا أو النفس؛ الأدعية والصلوات التي يتلوها المعلم هي تولد من جديد، ليس بالنفس التي قامت بها؛ ولكن بواسطة التلاميذ الذين يرثونها.

الجهل والضلال والأهواء والرغبات غير الحقيقية، وغير الناضجة هي التي تجعل أصحابها يتلذذون بهذه الأحلام التي تُوهمهم بأنَّ لهم نفوساً خالدة، وأن نفوسهم جواهر متميزة موجودة دائماً.

أيها البرهمي: لا يزال قلبك متعلقاً بالأنا، أنت تأمل في الصعود إلى السماء لتجد هناك ملذات الأنا، لهذا السبب فأنت لا تستطيع أن ترى سعادة الحقيقية التي تكمن في النِّرفانا الخالدة.

الأنا ليست هي الحقيقة، والحقيقة ليست هي الأنا؛ هما نقيضان، حيث تكون الأنا لا تكون حقيقة، وحيث تكون الحقيقة لا تكون الأنا، الأنا هي الموت،

(١) السَّمسَكَراوات: هي مجموعة الأحاسيس والأفكار الخمس: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس؛ يضاف إلى ذلك الشعور بها والرغبة فيها، فتكون بذلك ستاً. هكذا يعتقد البوذيون.

والحقيقة هي الحياة، التعلق بالأنا موت دائم، بينما التحرك للحصول على الحقيقة يجعلك تحصل على قدر كبير من رحيق النّرفانا التي هي الحياة الأبدية. قال «كوتادنتا»: أيها المعلم المحترم؛ قل لي أين تسكن النّرفانا التي تتكلم عنها كثيراً؟

أجاب بوذا: النّرفانا موجودة في كل مكان، تنشر فيه تعاليم النظام، وتفهم التعاليم، وتحفظ وتستوعب، إنها في كل هذه الأمكنة.

قال البرهمي «كوتادنتا»: عرفت منك أن النّرفانا ليست مكاناً، وليس لها مكان، وغير موجودة في أية جهة، ولا يمكن الإشارة إليها أو الاستدلال عليها؛ إذا فهي غير موجودة ولا واقعية.

قال المغبوط: أنت لم تفهمني فهمًا جيدًا، ولم تستوعب كلامي، استمع إذاً وأجب عن هذه الأسئلة: أين تسكن الريح؟

أجاب البراهمي: إنها لا توجد في أي مكان، ولا توجد في أية جهة.

قال بوذا: إذا الريح ليست موجودة!!

لم يجب البرهمي على هذا السؤال.. هنا سأله بوذا: أجبني أيها البرهمي: أين توجد الحكمة، وهل لها مكان؟!

أجاب البرهمي: الحكمة ليس لها مقرّ معيّن، وليس لها مكان.

قال بوذا: أنت إذا تدّعي أنه لا وجود للريح، ولا للحكمة، ولا للعدالة، ولا

للاستفادة، ولا للخلاص؛ لأن هذه الأشياء كما ذكرت الآن لا مكان لها ولا وجهة تسكنها، والذي لا مكان له - كما تدعى - لا وجود له، وكل هذا سببه أن النرفانا لا مكان لها، إن النرفانا شأنها شأن هذه الأشياء، وكما أنك لا تستطيع إنكار هذه الأشياء فأنت لا تستطيع إنكار النرفانا.

أجاب «كوتادنتا»: أنا أدعو الأنا حياة، بل واستمرارًا للحياة؛ لأن الأنا هي استمرار لوجودي، وأنا غير مهتم بهذا الجنس أن يستمر أم لا، أما الذي أكثرث به فقط هو استمرار الشخصية بمعنى آخر: إن الذي يجعلني أمثال شخصًا آخر أو أحالفه إنه الأنا، إن الذي يجعلني أقطع بأن الذي ليس أنا إنما هو شخص آخر يختلف عني؛ إنما هو الأنا.

قال بوذا: هذا جيد، إن هذا يوضح أنك تتعلق بالأنا، وهذا هو الضلال الذي تعيشه كل الأشياء المركبة من السمسكاراوات؛ تنتقل، وتنمو، ثم تهلك، كل الأشياء المركبة خالية من الأنا، ومن الأتمان<sup>(١)</sup>، التعلق بالأنا يجعل الإنسان في سفر دائمًا، وفي موت مستمر؛ يقصد هنا: تكرار المولد وتتابعه، وأن الإنسان في هذه الحالة لن يصل إلى النرفانا.

قال «كوتادنتا»: وكيف يتحقق ذلك؟

(١) الأتمان Atman هي الروح السارية في الوجود، والتي ينتمي إليها كل موجود، وهي تعبر عن الأنا التي تجمع الوجود كله وبها تتحقق وحدة الوجود ولأنها كذلك يطلقون على براهما «براماتما Bramatama» بمعنى: أنها هي من براهما وهي وهو شيء واحد... ويمكن إطلاقها ويراد بها حقيقة الشيء؛ الأنا - أو الذات.

قال بوذا: أين هي أناك؟ أين هي الأنا التي تتمسك بها؟!

لم يجب «كوتادنتا».

تابع بوذا: إن هذه الأنا في تغير دائم، فأنت منذ سنوات كنت طفلاً، ثم صرت غلاماً صبيّاً، ثم صرت شابّاً، ثم صرت شيخاً ناضجاً، فهل هناك مماثلة بين تلك المراحل المتعددة، وهل هي كلها شيء واحد؟! إنها مراحل متعددة، وكل مرحلة قائمة بذاتها، وليس بينها رابط، فأين هي الأنا في هذه المراحل المتعددة، هل هي أنا الأمس، أم أنا اليوم، أم أنا الغد؟!

ارتبك «كوتادنتا»، وصرخ قائلاً: يا سيد العالم؛ أنا أرى أنني كنت في ضلال، لكنني ما زلت في حالة شك.

قال بوذا: تأتي السمسكاراوات عن طريق التطور، لا تولد بدون بدايات تدريجية، إن سمسكاراواتك هي نتائج أعمالك في حيواتك السابقة، أنت تحصد في حياتك اللاحقة ما تكون زرعت في حيواتك الماضية<sup>(١)</sup>.

قال «كوتادنتا»: حقاً أيها السيد، لا أستطيع قبول الزعم بأن آخرين يحصدون نتيجة ما أزرعه الآن.

قال بوذا: الشخص الذي يعود إلى بيته سالمًا بعد سفر طويل يُستقبل بحفاوة

(١) إنها سفسطة واضحة يكشفها أقل الناس فهمًا؛ إن جزء الشخص الواحد في حياته اللاحقة على أعماله في حياة لاحقة -على فرض حدوث هذا- يدل بالضرورة على وجود الأنا وتحقق ذات واحدة في الحياتين؛ وإلا لم يكن الثاني مسؤولاً عن أفعال الأول، بل إن القول بالتناسخ يستلزم بالضرورة الإيمان بوجود الأنا والذات الواحدة.

بالغة من أهله وجيرانه وأصدقائه، كذلك تستقبل الإنسان نتائج أعماله الحسنة التي كانت منه في حياته السابقة عند انتقاله إلى حياته الثانية؛ لأنه سار في طريق الحقيقة والعدالة، ولم ينخدع بالكلام عن الأنا.

قال «كوتادنتا»: الآن أنا أو من بعظمة عقائدك وبمجدها، وتعجز عيناى عن تحمُّل وهج النور المنبعث من عقائدك، وقد فهمت الآن أن الأنا أو الذات أو النفس شيء لا وجود له، كما عرفت أن الذبائح وتقديم الأضاحي، وكذلك العبادات بجميع أنواعها وصورها من ابتهالات وطقوس وغير ذلك لا تؤدي إلى الخلاص، وهي لغوٌ باطل، لكن كيف أجد طريق الخلاص المؤدي إلى التُّرفانا؟ لقد حفظت كتب الفيذا ولكنى لم أجد الخلاص، ولم أعر على الحقيقة!!

قال المغبوط: المعرفة النظرية شيء مفيد وصالح، لكن لا نفع منه، إن العلم الحقيقي لا يمكن الحصول عليه إلا بالتطبيق، يجب أن تعرف أن الأنا والحقيقة متعارضان؛ الأنا هي الموت، وأما الحقيقة فهي الحياة، هي عدم الموت، أي: في الاعتقاد بعدم وجود الأنا.

صرخ «كوتادنتا»: الآن أدركت الحقيقة، وليس إلا اعتناق البوذية، والاندماج في الشريعة، فهل يمكن أيها السيد المبجل أن تقبلني تلميذاً لك؛ لأخذ حصة من بهجة الخلود من خلال أتباع النظام وتحريك عجلة الشريعة؟  
وقبله المغبوط، ورحَّب به ضمن النظام<sup>(١)</sup>.

(١) كلام تافه، وهو - غالباً - من تأليف البوذيين واختراعهم، لكن لا يقول به إلا المجانين، فوجود الذات والأنا والنفس أساس ضروري وبدهي، وتحديدًا عند الذين يقولون بالتناسخ.

تعليق على هذه النماذج أو الأمثلة من مناظرات بوذا للبراهمة ومن قبلهم الفلاح:

بالنسبة لمناظرته الفلاح الذي رآه يحمل ثمار زراعته إلى بيته، ثم ناظره بوذا زاعماً أنه مثل الفلاح يزرع ويحرق ويبيذر، وفي النهاية يحصد نتيجة زرعه.

كان واضحاً أن هذه الواقعة مختلفة أساساً لكي تنفي عن البوذيين تهمة التعطُّل، والتسوُّل، والعيش عالية على الآخرين دون أن يساهموا في العمل لإطعام أنفسهم ومن يعولون.

وهذه التُّهمة من أفحش النقائص بالنسبة لأي إنسان عادي، وعلى مستوى الأفراد، وهي نقيصة تعالجها الأديان الوضعية التي منها البوذية، كذلك تعالجها وتقاومها الأديان الكتابية، ودين الله الحق الإسلام.

وعن إبراهيم التيمي قال: لقي عيسى ابن مريم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رجلاً، فقال له: ما تصنع؟ قال: أتعبد؛ قال: مَنْ يعولك؟ قال: أخي؛ قال: أخوك أعبدُ منك<sup>(١)</sup>.

لكن فئات البوذيين وأولهم بوذا الأكبر يعيشون عالية على الآخرين، يحملون أوانيهم ويتسوّلون طعامهم، وقد أَلْفُوا التعطُّل والتسكُّع والتسوُّل وسؤال الناس، وأَلْفُوا تزك العمل والعيش عالية على الآخرين وهذه أمور - لعمرى - أسوأ شيء في الحياة، تُفقد صاحبها الكرامة والعزة، وتُجرِّدُه من الشرف، وتحرمه احترام الذات واحترام الآخرين إياه...

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧٥٣).

هذا بالنسبة للأفراد، فما بالنا إذا كانت هذه المصيبة وتلك النقيصة يتعاطاها جماعات تتحصَّن وراء كونها فئة كبيرة من المجتمع ليسوا أفرادًا بل هم آلاف أو ملايين، ثم يتحصَّنون فوق ذلك بالدين، وأنهم طائفة مميزة لها مكائنها، ويجب على الناس احترامها. فهم إذاً يتحصَّنون بالدين، ولأنهم فئة كبيرة، وأعداد كثيرة؛ فقد ساند بعضهم بعضًا، وفقدوا الإحساس بالكرامة، ونضب ماء الحياء من وجوههم وصار - كما رأينا في بوذا - من طبيعتهم التبجُّح والتوقُّح، والزعم بأنهم كذلك يحرثون ويزرعون... إلى آخر هذه المزاعم التي لا تغني عن الحق شيئًا، والحق هنا: أنهم متسوِّلون شحَّاذون وقحون، يعيشون عالة على الآخرين، فاقدين العزَّة والكرامة والاحترام، حتى لو زعموا غير ذلك.

ومن العجيب أنهم يزعمون - أعني: واضعي هذه المناظرات الزائفة - أن النصر دائمًا هو حليف بوذا وأتباعه الذين يجادلون وينظرون بتبجُّح وتوقُّح لا نظير له.

يتضح من المناظرات جميعها - كما ذكرنا عن المناظرة السابقة - أنها مصنوعة ومتكلفة، وأنها لا حقيقة لها، وذلك ثابت من وجوه متعددة؛ أهمها:

أنها - من ألفتها إلى يائها - مخترعة ومفتراة ولا حقيقة لها، وذلك واضح من أفكارها التي بُنيت عليها، فهي أفكار منتقاة وموجهة - كما ذكرنا - لتردَّ على نقائص وتهم محددة موجهة إلى بوذا تحديدًا، ثم إلى جماعته بعد ذلك وحتى الآن، فهم جماعة متعطلة تتسكَّع طوال حياتها طلبًا للطعام من الآخرين، وقد جاء

هذا الاتهام صريحاً على لسان الفلاح الذي كان بوذا يطلب منه الطعام، حيث قال له الفلاح: لماذا لا تذهب وتحراث الأرض وتبذرهما وترعاها ثم تحصدها، بدلاً من التسول؟! وكان واضحاً في ردِّ بوذا عليه أنه ردٌّ متكلفٌ مصنوعٌ، وأن بوذا المتسول الجاهل لا يستطيع أن يردَّ هذه الردود الفلسفية.

واضح كذلك أن هذه المناظرات فوق مستوى الدرويش المتسول الجاهل، وبخاصة وهو في المناظرة الأخيرة الطويلة مع البراهميين رجلي الدين اللذين وصلا في النهاية إلى التسليم لبوذا وتوسلاً إليه أن يقبلهما في النظام.

إذن فحياة بوذا من بدايتها إلى نهايتها قائمة على التصنع والتكلف من أتباعه الذين اخترعوا كل ما أحاط بها من خوارق بدأت وأمه حامل به، ثم حين ولادته حيث نسجت لها مظلة من خيوط الذهب، وتدلى غصن الشجرة لتمسك به، إلى آخر هذه الأمور الساذجة التي تفضح محاولات أتباعه فتظهر أكثر مما تخفي.

ما نريد أن نقوله: إن البوذية التي أتى بها بوذا كان لها أعداء كثيرون، وكان لها في نفس الوقت مستفيدون من وجودها، وكان أصحاب المصلحة في وجودها لا يحبون البوذية لذاتها؛ بل لأنها تحقق لهم مآرب أخرى، من أهم هذه المآرب: أنها تُخضد شوكة البرهمن، وتكسر شموخهم، وتذلُّ كبرياءهم على الشعب الهندوسي، وتتقم لعوام الهندوس من هذه الشرذمة المتكبرة المتجبرة.

ثم هناك طائفة السودرا؛ وهم الخدم والعبيد، الذين هم في القاع من الطوائف الأربعة التي ينقسم إليها المجتمع البرهمي، فعندما يأتي مذهب بوذا فيسقط

الطبقات الأربع التي وضعتها الديانة البرهمية وقسمت لها المجتمع الهندي؛ فهذا يعني: أن الطبقات الدنيا مثل الشودرا تكون غاية في السعادة، وأسعد منها طوائف «المنبوذين» الذين هم في المجتمع الهندوسي أقل منزلة من الكلاب والخنزير، والتي إذا مرَّ واحد منهم على هندوسي من أيّة طبقة وفصل بينهما أقل من أربعة أمتار؛ فإن المنبوذ يُنَجِّس الهندوسي، وهناك عقوبة قد تصل إلى أن يُصَبَّ الزيت الحارُّ في أذن المنبوذ؛ لأنه جرؤ على المرور على الهندوسي وتسبب في نجاسته.

وطبعيًّا إذا وجد المنبوذون نظامًا أو مذهبًا يرفع عنهم هذه النقيصة، ويجنبهم هذا العار؛ أن يرحبوا به، وينضوا تحته، ويكونوا على رأس الدعاة إليه؛ لذلك -وعلى أرض الواقع- كان جُلُّ المتبعين نظام بوذا إبان ظهوره بالهند هم من طائفة المنبوذين، ثم من طائفة الشودرا.

فهؤلاء وأولئك أقبلوا على البوذية واعتنقوها، وأخلصوا لها ولصاحبها؛ لأن البوذية قد ردت إليهم اعتبارهم، ورفعت من مكانتهم التي كانت وضيعة أو كانت أسوأ من الكلاب والقردة؛ من أجل ذلك اعتنقوا البوذية.

### العقبة الثانية: عداوة بعض الحكام لبوذا:

لا يمكننا أن نترك الكلام على العقبات التي لاقت جوتاما -بوذا- في حياته دون أن نذكر -بإيجاز شديد- واقعة مهمّة ذات شُعَبٍ عديدةٍ قابلت بوذا في حياته الدعوية، وكان لها الأثر القوي عليه وعلى دعوته، وإن كان قد خرج منها قويًّا

فبفضل صبره، ثم بفضل ما طُبِعَ عليه الهنود -بصورة عامة- من سلبية وهدوء يصل إلى حدِّ اللامبالاة أحياناً.

والواقعة التي أشرت إليها: أن جوتاما -بوذا- لقي مشاكل ومعاناةً شديدة في سبيل نشر دعوته، لكن أقسى ما لقي كان من أبيه، ثم من أعمامه، ثم من أبناء أعمامه.

ولقد أمضى بوذا في دعوته قريباً من خمسين سنة قضاها وهو يحرك عجلة الشريعة، لكنّه وهو في سنته العشرين من سنّ دعوته توجّه إلى أسرته ودعاهم إلى الدخول في النظام، فأمن به ابن عم له اسمه «أنادا Anada» وأخلص له، وتفانى في خدمته حتى نهاية حياة بوذا، لكن كان له ابن عم آخر اسمه «ديفادتّا Devadetta»، وكان أبوه حاكماً لقبيلة «راجاكولي».

هذا الرجل حقد على بوذا وعلى كونه أصبح ذا مكانة عالية وله أتباعٌ كثيرٌ، ومن حقدِه أنه حرّض حاكم قبيلة «راجاجاها» وأغراه بأن يطارد بوذا ويتعرض له بالإهانة والتحقير؛ فقام هذا الملك حاكم «راجاجاها» -واسمه «آجاتاستو»- الموصوف بالشراسة وسوء الخلق وارتكاب الجرائم بلا خوف أو حياء؛ قام بكل ما يستطيع من مكر وخبث ومحاولات إيذاء لبوذا، وبذل كل ما يمكنه من شرور، لكن كل ذلك لم يؤثر في بوذا؛ بل كان يثير إعجاب الناس به، وإقبالهم على اعتناق مذهبه، وكانت حكمة بوذا تفسد خطط هذا الحاكم الشرير، ومن قبله محاولات «ديفادتّا».

ويروي المؤرخون لحياة بوذا أنواعاً من الحكايات والأساطير حول محاولات هذين العدوَّين لإيذاء بوذا، ثم انتصار بوذا عليهم، وإفشاله كل محاولاتهم، حتى سلّموا بفشلهم وانتصار بوذا عليهم وقد انتهى الأمر بإقرارهم بالفشل، والاعتراف بالخطأ، ودخولهم النظام، وقبول بوذا إيّاهم أعضاء في النظام، بعد أن سامحهم وعفا عنهم.

### العقبة الثالثة: عداوة الهندوس للبوذية:

مرّ بنا الحديث عن البراهمن ومن معهم؛ والبراهمن هم رجال الدّين في البرهمية التي هي الهندوسية، وهم أعلى الطبقات الأربعة في البراهمية - أو الهندوسية.

لكن لم يكن البراهمن فقط هم الذين يمثلون المشكلة والعقبة أمام بوذا؛ بل كان هناك الهندوس أو البراهمة؛ أي: الهنود الذين يدينون بالهندوسية، وتحديدًا أعلى طبقتين في هذه الطبقات تحت البراهمن؛ وهما: الكاشتريا، والويشيا، فقد كان الشعب الهندوسي ممثلاً في جمهرة كثيرة منه على خلاف جذريّ مع بوذا، وكان خلافه مع بوذا ممثلاً في كثير من الأمور، وتحديدًا في أمرين:

الأول: في مساواته الرّوحية بين جميع الطبقات، بمعنى: أنه يساوي بين جميع أفراد الشعب الهندي دون تفرقة بين طبقة وطبقة، وهذا يعني - بالضرورة - فساد نظام التّناسخ ونظام الكارما اللّذين لا عمل لهما إلا بناء على وجود الطبقات والفوارق التي بين الطبقات التي يقع بينها التّناسخ الذي يقوم على أساس منه

الجزء على الأعمال المتمثل في الارتفاع من طبقة دنيا إلى طبقة أعلى، أو العكس، وهذا الجزء - ارتفاعاً في الطبقات أو هبوطاً - إنما تقوم به الكارما، فإذا جاء بوذا وألغى الطبقات، فقد ألغى عملية الجزء المترتبة على الانتقال من طبقة إلى أخرى ارتفاعاً وهبوطاً، كذلك ألغى عمل الكارما وألغى الحاجة إليها.

الثاني: في إنكاره وجود النفس، وكذلك وجود الذات، أو وجود الهوية الشخصية لكل إنسان على حدة، وهذا أمر لا يختص بالبراهمة ولا يقتصر على الهندوس وحدهم؛ بل إن هذا الأمر يعمُّ جميع الناس، وهو في الوقت نفسه يدل على الجهل والتناقض والمستوى المتدنّي للفهم لدى بوذا.

حيث يصل به الأمر إلى حدِّ إنكار الأمور البديهية، ويخرج على ضرورات العقل والفترة، والأمر ببساطة شديدة أنه يقرُّ بالتناسخ، والتناسخ يعني: فناء الجسد وهلاكه، ثم بقاء الشخص نفسه الذي فني جسده، وعودته ثانية في جسد جديد، ويتكرَّر هذا في جميع الأشخاص، إلا أن يأتي حال من الصلاح والهدوء يجعل الشخص - بعد ولادات متعددة - ينطلق وينعتق من كثرة الولادات، ويذهب إلى ما يسمّيه بوذا «النرّفانا».

والسؤال الموجه إلى بوذا - وبعد أن هلك توجهه إلى البوذيين الذين يتمسكون بالبوذية من بعده - بل ويُقتلون المسلمين في «بورما»، ويضيقون على المسلمين في الصين، ويطلقون على أماكن المسلمين في الصين «أرض البقر» احتقاراً للمسلمين هناك.

نقول: السؤال الموجه إليهم - بعد أن شرحنا عقيدتهم في التناسخ - هو: كيف يعود من مات في شخص ثانٍ؟! كيف يحدث التناسخ ويعود الشخص مرة ثانية في جسم ثانٍ بينما هو هو؟! إن التناسخ لا يفهم إلا بوجود النفس أو الروح، بحيث إذا فني الجسد خرجت منه النفس لتدخل في جسد آخر على وشك أن يولد من امرأة حامل به، فتخرج النفس في جسد جديد، لكن إذا قال بوذا بأن النفس لا وجود لها، وأن الذات والهوية لا وجود لهما، ولا وجود إلا للجسد فقط؛ فإذا فني الجسد فكيف يتم التناسخ؟! وأي شيء يعاد من الشخص الذي فني جسده إذا كان لا يوجد منه إلا الجسد، وقد فني ذلك الجسد، فأى شيء يعاد؟!!

إنهم يقولون بالأمر الستة؛ الحواس إضافة إلى القلب، وفي هذا يقول جوتاما - بوذا -: إن الجسم يتكون من خمسة عناصر، وإن وجوده مستمد من وجود هذه العناصر الخمسة، وأنه خالٍ من النفس - أو الروح - تمامًا، وإنما ينشأ وجوده بتأثير أسباب الوجود التي هي بمثابة سلسلة ذات حلقات متواصلة بعضها ببعض، كلُّ منها تسلم لما تليها تبعًا لقانون الأسباب والمسببات.

هذه هي الفكرة الحمقاء الساذجة التي اعتنقها بوذا، ولم يخجل من أن يصرح بها، والأعجب من هذا: أن أتباعه حتي اليوم يُردّدون هذه الحماقات دون وعيٍ أو إدراكٍ بأن ذلك يثير السخرية والتهكُّم بهم؛ ذلك أن هذه العناصر الخمسة التي هي الحواس، والتي يجعلها بوذا هي السبب في عودة الإنسان في ميلادٍ ثانٍ بعد أن يفنى جسده الذي كان فيه هذه العناصر؛ أليست هي من الجسد الذي فني؟! وإلا

فالسمع والبصر والشم والذوق واللمس هذه جميعها، أليست من وظائف الجسد الأساسية، والتي لا تكون إلا به؟! وحين فنيّ الجسد، أليست قد فنيّت معه؟! فكيف تكون هي سبباً في تناسخه وعودته مرة أخرى، بينما فنيّ ذلك الجسد الذي هو سببٌ رئيسٌ في وجودها؟! وحين فنيّ الجسد، أفلا يكون قد فنيّ السمع الذي آتته الأذن، وقد فنيّت مع الجسد، وكذلك فنيّ البصر حين فنيّت العين التي هي آتته مع فناء الجسد؟! ومثل ذلك الشم والذوق واللمس، كل هذا أسبابٌ وآلاتٌ مركّبة في الجسد وتتأثر به، وحين يفنى فإنها تفنى معه، فكيف تكون سبباً في عودته مرة أخرى بينما هي فنيّت بفناؤه وعلقت حين صار معدوماً؟!!

إن التناسخ -رغم أننا لا نؤمن به ولا نقرّه، ونراه عقيدة خرافية- في حدّه الأدنى الذي يمكن أن يفسّر به؛ هو تركّب الإنسان من جسد وروح، أو جسد ونفس، فوجود النفس أو الروح أمر ضروري لتحقيق هذا الزعم الباطل الذي يسمونه تناسخاً، والذي له صورٌ كثيرة، والذي يقوم مقام الجزاء على الأعمال، إن عملت النفس في الجسد الذي تحلّ فيه أعمالاً صالحة، حين يفنى الجسد تخرج منه النفس إلى جسد آخر من طبقة أعلى وأكثر غنى وجاهاً وسلطة، وذلك جزاء لها على أعمالها في الجسد السابق، والعكس صحيح.. هذا عند الهندوس، أما بوذا فأنكر وجود النفس أو الروح، من هنا كان كلامه عن التناسخ تخريفاً وجهلاً وحمقاً، بل إن هذه المسألة من مسائل البوذية لهي من أسوأ ما فيها سخرية بالعقل، وإزراء بالفهم، وإنكاراً للبهيات.

### العقبة الرابعة: عداوة الدراويش للبوذية:

آخر العوائق والعراقيل في طريق بوذا كانت طائفة النَّسَّاك والزُّهَّاد والدَّرَّاويش المتسولين الذين يسلكون طريقة التقشُّف والحرمان، فقد انضم هؤلاء - على كثرتهم وشيوعهم في كل البلاد الهندية - إلى أعداء بوذا بسبب هجومه المستمر عليهم، ووصفهم بالعبث والحمق، ووصفه طريقتهُم بالطريقة العابثة عديمة النفع والجدوى، وأنهم يعدُّون أجسادهم ويحرمونها دون فائدة تعود عليهم أو على غيرهم، ومن كلامه لهم وهجومه المتكرَّر عليهم قوله يخاطبهم: «إن مسالككم كلها وضیعة وتدعو إلى السخرية؛ ففريق منكم يمشون في الطرقات عرايا يسترور عوراتهم بأيديهم عند الضرورة، وربما لا يفعلون؛ وفريق آخر يأبون أن يتناولوا طعامهم من الأطباق، وشرابهم من الأباريق؛ وفريق ثالث يأبى أن يجلس بين اثنين يتكلمان، أو بين سكينين أو طبقين، أو حول مائدة عامة، أو يقبلوا الصدقات من بيت فيه امرأة حبلى، أو يروا الكلاب أو الكثير من الذباب.

إن بعضكم لا يأكل إلا النبات من الجُعَل، أو بعر البقر والغزال، أو جذوع الشجر أو فروعها أو ورقها، أو حبوب الغابة أو ثمارها.

ومنكم من يلبس رداءه ملقى على كتفه ومنكم من يستر عورته بكفَّيه، ومنكم يسترها بالأوراق أو لحاء الشجر، أو سيقان النبات أو جلد الحيوان، ومنكم من يلبس لباس الحزن دائماً ويرفع يديه طوال اليوم، ومنكم من لا يجلس على كرسي أو حصير، بل يربض على الأرض كما يربض الحيوان ومنكم من يضطجع مفترسًا النباتات الشائكة أو بعر البقر.

ولست أذهب أبعد من هذا في شرح الوسائل التي تعذبون بها أنفسكم، إني أُمسِكُ عن ذكر الوسائل التي تعذبون بها أنفسكم، وتستنزفون بها قواكم، لا لشيء إلا رغبة في تعذيب أنفسكم، وإمالة قلوب الآخرين إليكم، واكتساب ثقتهم فيكم. إنَّ الزهد لا ينفَعُ إلا إذا كان مبرِّءاً من كل غرض دنيء، وإلا إذا لم يتخذ قناعاً تختفي تحته الدوافع الشريرة، والأغراض الخبيثة»<sup>(١)</sup>.

اقتبسنا هذه الفقرات من الهجوم الحادِّ والأسلوب الجارح الذي كان بوذا يخاطب به هؤلاء الدراويش الفقراء الذين يعيشون عيشة التسول والفقر والذلَّة، لا لشيء - كما قال بوذا- ولكن لمجرّد أن يظهرُوا أمام الناس زاهدين في الدنيا، ثم لكي ينالوا إحدى الحُسْنَيْنِ:

إما الانطلاق - كما في البراهمة - فينعتقون من تكرار المولد، وبذلك ينالون أعظم الأمنيات بالاتحاد ببراهما.

وإما إن ولدوا ثانية - تناسُخًا - فإنهم يولدون في طبقة أعلى مما هم فيه؛ نتيجة فقرهم وزهدهم، ونتيجة ما يسمونه - في البرهمية التي يدينون بها - الاستنارة الإلهية، والتي لا تتحقق إلا بالزهد والتقشُّف.

لكن بوذا كان لهم بالمرصاد، كلما رأى بعضهم هاجمهم هجومًا شديدًا، حيث كان بينه وبينهم ثاراتٌ قديمةٌ، وكان بينهم هم وبينه ثأر لا ينسى؛ ذلك الذي كان لهم عنده وكان له عندهم؛ كان بتأثير صُحبتهِ الأولى لهؤلاء الخمسة الذين

(١) «بوذا الأكبر» ص (٦٩-٧٠) لحامد عبد القادر.

التقى بهم قريباً من غابة أوروفيلاً Urovella، وظل معهم قرابة الخمس سنوات، ومن قبلهم كان قد التقى راهبين، وهؤلاء وأولئك لم يورثاه المعرفة، ولا أنتجت صحبته لهم شيئاً من المعرفة، فترك الرهبان الخمسة كما ترك الراهبين قبلهم، وعاد إلى سيرته الطبيعية في الأكل والشرب والشَّبع، رغم أنه كان مستمسكاً بأسلوب التسوُّل والرهبنة... ورغم أن الرهبان الخمسة كانوا من أوائل من اقتنع بمذهبه واندمجوا في النظام، إلا أنه لم ينس الطريقة التي يعيش بها هؤلاء الرهبان؛ القائمة على الحرمان والفقر والتسوُّل والذَّلَّة، دون أن يكون لها عائد حقيقي؛ لذلك كان العداء متبادلاً بين الطرفين.

وكان بوذا كلما ازداد مذهبه انتشاراً وكثر أتباعه؛ ازداد جرأة في إطلاق آرائه حتى ولو كانت مصادمة للبدхийات من الأمور، وكلما ازداد ضغطه على أعدائه، واستثارتهم لهم، ومنابدته إياهم، ومن هنا جاء هجومه على البراهمة أحياناً، وانتقاداته لطائفة الفقراء المتسوِّلين دائماً.

وكان الأمر يأتي بنتائج عكسية - كأمر طبعي - حيث كان هجومه على الآخرين يؤدي بالآخرين إلى الهجوم عليه وانتقاده بعنف، وكان يوجب حركة الانتقاد من الجانبين عاملٌ مهمٌ ومعلومٌ، حيث كانت السلبية والهدوء والمسالمة هي الطابع الغالب على هذه الانتقادات، وحين نتكلم عن المسالمة والسلبية لا نخص جانباً بعينه - بوذا أو أعداءه - بل قد نتخطى الجانبين معاً إلى الشعب الهندي كله، حيث الطابع العام للهنود جميعاً - على اختلاف أديانهم ومذاهبهم - يغلب عليهم طابع السلبية والمسالمة مهما وصل أمر العداء.

هذه كانت أهم العقبات والعراقيل التي اصطدم بها جوتاما -بوذا- في طريق دعوته إلى مذهبه الذي دعا إليه، وقد انتصر عليها كلياً -غالبًا- وجزئياً -أحياناً- ولا ننسى أن جانب المسالمة والسلبية الذي اتَّصف به الهنود كان هو السبب الرئيس في انتصار دعوة بوذا، وقبول دعوته على ما فيها من مناقضة صريحة للبدхийات، ومعارضة للضرورات، ومع ذلك قُبِلَتْ من الكثيرين، ولعلنا نعقد مبحثاً حول بيان عوامل انتشار دعوة بوذا على ما فيها؛ كل هذا- بحوله تعالى- .





# الفصل السابع

## الأيام الأخيرة في حياة بوذا

### أسباب نجاح دعوة بوذا:

رحلة طويلة وشاقة تلك التي قطعها بوذا داعياً إلى مذهبه الجديد، الذي عارض به البرهمية في بلد أو شبه قارة تعتبر ملكاً للبرهمية إلا قليلاً هنا وهناك، لكن بوذا قد قام بإنشاء مذهبه، والدعوة إليه في الهند موطن البرهمية أولاً، ثم في وجود الجينية، ثم كانت هناك أديان أخرى يدين بها فريق من أبناء الهند لا يستهان بهم؛ هم أولئك الوثنيون الذين يعبدون الأرواح والأوثان، وهؤلاء وإن كانوا قلة؛ لكن لا ينبغي الاستهانة بهم؛ لأنهم أهل البلاد الأصليين، حتى ولو كان المستعمرون الطورانيون والآريون قد استبعدوهم من منظومة الحياة التي تقوم عند الديانة الغالبة التي هي البرهمية، فاعتبروهم منبوذين حتى كانوا من النجاسة والدنس بحيث لا يجوز أن يكون لهم مكان بين أفراد الطبقات الأربع في البرهمية.

لكن بوذا قد شقَّ طريقه وسط جميع هؤلاء بنجاح، وأخذ يتقدّم بخطوات واسعة حتى أضحت بوذيته صاحبة حظوة لدى الناس، وذلك بفضل أمورٍ نوجزها في النقاط الآتية:

١- تركيزه على منطقة معينة في الدعوة: لقد قضى جوتاما -بوذا- نيّفاً

وأربعين سنة منذ بدأ دعوته وفاضت عليه الحقائق الأربع، وبدأ في الدعوة إلى النظام وتحريك عجلة الشريعة، وقد بدأ دعوته في منطقة يُطلق عليها «حوض نهر الكنج»، وكانت هذه المنطقة تقع ضمن منطقة أكثر اتساعاً وشهرة؛ تلك هي منطقة «بنارس»، وكان من عادة بوذا أنه لا يتعد كثيراً عن مركز دعوته أو محل إقامة، فكان منذ أن بدأ دعوته لا يحب الأسفار، ويستعيز عن هذا بإعداد تلامذته، ثم إرسالهم إلى الأماكن أو القبائل التي يحب أن يدعوها إلى مذهبه؛ ولذلك لم يؤثر عنه أنه ابتعد عن منطقة «بنارس» أكثر من مائتين وخمسين ميلاً، وذلك عند الضرورة.

٢- ذكاء بوذا وحسن معاملته الآخرين: ابتداء بوذا دعوته بالتي هي أحسن في معاملة الآخرين، واتخذ الأسلوب الهادئ في إغراء الآخرين بدخول دعوته، وكان يتوجه بدعوته إلى الجماعات والأفراد الذين يرجو أن يقبلوها، واستعمل ذكاه الفطري في اختيار الذين يتوجه إليهم بدعوته، ووضع في مذهبه ما يجعله مقبولاً لدى الكثيرين من فئات الهنود.

٣- إلغاء نظام الطبقات: من ذلك: أنه ألغى نظام الطبقات، وكان هذا عملاً على قدر كبير من الذكاء.

ولو كان هو من طائفة المنبوذين، أو من طبقة الخدم والعبيد -الشودرا- أو كان من طبقة الزُّرَّاع والتُّجَّار -الويشيا- لكان إلغاءه الطبقات شيئاً طبعياً لأنه من طبقة دنيا؛ لكنه كان من طبقة الكاشتيريا -طبقة الحكام- وكان أبوه ملكاً وحاكماً على قبيلته، فلم يكن هناك ما يُسوّغ إلغاء الطبقات إلا أن تكون خطة ليفتح بها

الطريق أمام الطبقات الدنيا لتقبل على اعتناق مذهبه؛ باعتبار ذلك المذهب مُخلَّصًا لهذه الطبقات من عار التَّدنِّي في نظام الطبقات البرهميّ الذي ألغاه بوذا، وجعل الناس جميعًا سواسية، وبذلك ارتفع هؤلاء المنبوذون والخدم والعبيد من الطبقة الدنيا إلى أعلى الطبقات؛ طبقة أتباع بوذا الذين يحركون عجلة الشريعة.

وبذلك استطاع بوذا بهذه الحركة الذكية منه -أعني: إلغاء الطبقات- أن يحقق هدفين عظيمين دون أن يخسر شيئًا:

الأول: أن يثير الطبقتين الثالثة والرابعة من طبقات البرهمية ضد رجال الدين البرهمن، بل ضد الديانة البرهمية جميعها؛ وذلك بأن حرك وحرض طبقة الخدم والعبيد -الشودرا- وكذلك طبقة الفلاحين والزراع والتجار -الويشيا- ضد رجال الدين البرهمن، وضد البرهمية باعتبارها دينًا يقوم على التفرقة، ويقوم على تمييز فريق وممالاته ضد فريق آخر، ويقوم على تقسيم المجتمع إلى طوائف، كلُّ طائفة محبوسة في إطار اجتماعيٍّ معيّن لا تخرج منه، وبذلك وضع بوذا بذرة الثورة ضد البرهمية في أرضها هي، وضمن أتباعها، وزرع فيهم كراهية البرهميّة باعتبارها دينًا، وكراهية رجالها البرهمن باعتبارهم رعاة لهذا الدين.

الثاني: استطاع بوذا عن طريق إلغاء نظام الطبقات أن يكتسب أتباعًا لمذهبه كثيرين على حساب الديانة البرهمية.

فقد استطاع ابتداءً أن يكتسب إلى جانبه جمهرة كبيرة؛ هم الهنود الأصليون الذين كانت البراهمة لا تقبلهم أصلًا ضمن الطبقات الأربع، وتعتبرهم نجسًا

لا ينبغي لأحد البراهمة من أية طبقة من الطبقات الأربع أن يقترب منه لأربعة أمتار فأقل، فإن ذلك من شأنه أن ينجسه وأن يُخضعه لطقوس معينة تطهره من هذا النجس، والمنبوذون هؤلاء ليسوا طبقة من الأربع؛ بل هم أحقر من الكلاب والقردة - كما تنص على ذلك كتبهم - وهؤلاء هم أصحاب البلاد الأصليون قبل دخول المستعمرين الطُورانيّين والآريّين.

هؤلاء المنبوذون سمح لهم بوذا بالالتحاق بمذهبه، والدخول في النظام، بل وجعل منهم دعاة إلى النظام لدى الآخرين من أمثالهم، وكانت هذه إحدى النتائج الباهرة التي جناها بوذا من إلغائه نظام الطبقات، الذي يعتبر حركة ذكية منه.

ومن الأمور ذات المغزى: أن نظام الطبقات الذي ألغاه بوذا كان عديم الجدوى بطبيعة الحال بالنسبة لبوذا وأمثاله من الفقراء المتسولين، الذين يحملون أطباقاً وأواني من الخشب ويطوفون بها على البيوت، أو يرفعونها في وجوه من يلقونه في الطرقات طالبين الصدقات من الطعام، هذا النظام الطبقيّ المؤلف من أربع طبقات ماذا يفيد هؤلاء الدراويش الفقراء المتسولين؟ وهل هناك من المتسولين من هو من طبقة البرهمن التي هي أعلى الطبقات، أو من طبقة الكاشترية الذين هم الحكّام والأمراء وقوّاد الجيوش؟!

وإذا كان هناك فعلاً وواقعاً متسولون ودراويش وفقراء من هذه الطبقات العليا، فأتى للناس أن يعرفوهم أو يستدلوا على طبقتهم، بينما هم يسيرون في الطرقات جميعاً على نظام واحد لا يميز أحدهم عن الآخرين شيء، وكلهم

متسوّلون شحاذون؟!!! إذا فالأمر سيّان؛ بقي نظام الطبقات أو ألغى بالنسبة لهذه الطائفة، لكنّ بوذا ربح الكثير من إغائه هذا النظام -على ما بيّننا.

٤ - انتهاج بوذا منهج التدرج والمرحلية: يشاهد أن أسلوب بوذا وطريقته في الدعوة إلى مذهبه -بل وطريقته في التعامل مع الآخرين- كانت تختلف كلما ازدادت الدعوة انتشاراً، وازداد الناس عليها إقبالاً، وعلى سبيل المثال فقد كان يُسأل عن الإله، فكان يصمت ويحوّل الكلام إلى موضوع آخر ولا يجيب عن السؤال بشيء... ثم لما كثرت أتباعه انتهج نهجاً آخر، فبدلاً من أن يصمت أو يحوّل الكلام إلى موضوع آخر؛ كان بوذا يقول: إن الذين ذهبوا لم يرجع إلينا أحد منهم ليخبرنا عن المكان الذي ذهب إليه، ولم يقل لنا منهم أحد إن كان هناك إله أم لا. ثم انتهج نهجاً ثالثاً حيث كان يقول لتلامذته مؤنّباً، وأحياناً غاضباً: لا تسألوا عن أشياء غير مفيدة، وهي مضيعة للوقت، وليس من ورائها طائل، ولكن قولوا: هناك ألم، الألم له سبب، سبب الألم كذا، علاج ذلك السبب كذا.

ثم انتهج نهجاً رابعاً يقوم على السخرية والتّهكّم من كلّ من يسأل عن الإله وكان يُسبّه من يسأل عن الإله بأحد مثالين اشتهرا عن بوذا:

المثال الأول: يقول: إن الذي يسأل عن الإله ولا يعرف عنه شيئاً، ولا يمكن أن يعرف عنه شيئاً؛ أشبه بذلك الذي يبكي ليل نهار، وقد ترك عمله وكل شيء لأنه واقع حتى أذنيه في حب امرأة، فإذا ما سألته عنها قال لك: لا أعرفها ولم ألتق بها في حياتي!!

المثال الثاني: وأما المثال الثاني الذي اشتهر عن بوذا، فهو يمثل من يشغل نفسه بالسؤال عن الإله، بإنسان جاء في ميدان واسع ثم بنى سلمًا يصعد من الأسفل إلى الأعلى دون أن يبني بيتًا ولا طابقًا أسفل ولا طابقًا أعلى، ولا يدري لم بنى السلم، ولا يدري إلى أين يوصل هذا السلم؛ ألا ما أشد حمق وغباء الاثنين:

ذلك الذي يبكي ويندب حظه، ويكاد يقتل نفسه حزنًا لأنه يحب امرأة لم يرها في حياته ولم يعرفها، فضلًا عن أن يلتقى بها.

ثم ذلك الذي أتعب نفسه في بناء سلم لا يدري إلى أين يوصل، ولم يبين حوله بيتًا!!

إن بوذا في المرحلة الأخيرة التي تلت هذه المراحل كلها، وكان قد انتشر مذهبه، وكثر أتباعه وجد في نفسه الجرأة والتبجح على أن ينكر بوضوح شديد وجود شيء اسمه الإله، من ثم أنكر وجود الإله صراحة، وألزم أتباعه ذلك.

إن ذلك كان مثالًا للمنهج المتدرج في الدعوة والذي انتهجه بوذا -جوتاما-.

٥- هدوء بوذا وصبره وصفاته الشخصية: من الأمور المسلمة أن من أسباب نجاح بوذا في دعوته: صفاته الشخصية، وطبيعته الهادئة وعداءه الشديد للتعصب والغضب، وقد كان يعلم تلامذته أن لا يغضبوا أو يتعصبوا، وفي ذلك يروي الرواة أن بوذا وجد أحد تلامذته غاضبًا محتدًا في النقاش، عنيفًا في معاملة خصم له يتجادل معه، فلمَّا سأله بوذا عن سبب غضبه وشدة حدته؛ ذكر له أن هذا الذي كان يجادله يطعن في بوذا، ويتهمه بالكذب والجهل، ثم قال: وهذا هو سبب

حدّتي معه؛ فجمع بوذا تلامذته وقال لهم: أيها الإخوان؛ إن كان أحد يطعن في ذاتي، أو يقدح في أخلاقي، أو يسبُّ النظام؛ فليس هذا سبباً يبيح لكم أن تغضبوا أو تحقدوا أو تحزنوا..

لأنكم بهذا تعرّضون أنفسكم إلى الخسارة الرُّوحية، وتتسبّبون في أن تخسروا حتى قضيتكم، ثم تعجزون أثناء غضبكم أن تمحصوا آراءه، وتكتشفوا أخطاءه.

### بوذا والام المرض:

في أخريات حياة بوذا قام بعدة رحلات، رغم كراهيته للرحلات والانتقال في السنوات الأخيرة من دعوته، وكان من أواخر رحلاته: رحلة إلى مدينة «كوسينارا Cusinara» وهي تبعد عن «بناريس» حوالي عشرين ومائة ميل، وهم يحضرون للرحلة، وكان بوذا قد كبرت سنُّه، وبلغ الثمانين من عمره وأصبح الاحتراز مما يأكل أو يشرب واجباً، حتى لا تتضرر صحته بشيء، وقد كان لبوذا تلميذ وفيُّ اسمه «جوندا»، وكان من الأثرياء، وبمناسبة سفر بوذا إلى مدينة كوسينارا أعدَّ جوندا طعاماً لبوذا ولكلِّ من معه من الفقراء والدرأويش، وأكل الجميع وشبعوا، وقبل أن يتحركوا شعر بوذا بتعب شديد، فاستدعى ابن عمه آناندا -وهو ابن عمه وخادمه المخلص- وقال له: إني أشعر بظماً شديداً؛ فقدّم له الماء فشرب.

وفي منتصف الطريق بين «باوا» و«كوسينارا» اضطر الركب إلى التوقُّف للراحة مرة أخرى.

وأحسَّ بوذا بالتعب والإرهاق، ثم قضى حاجته، وشرب ماء، لكنّه أحسَّ

بُدُّوْ أَجْلِه، وكان بوذا -بطبيعته- مرهف الحسّ، شديد الشعور بالآخرين، ولكن هذه الحالة زادت عنده عندما اقترب أجله، وقد خشى -بحسّ المرهف- أن يشعر «جوندا» -الذي أعدّ الطعام لبوذا وأتباعه ودرأويشه- بالحزن والأسى؛ لأنه قد يطرأ على ذهنه أن طعامه قد يكون هو السبب في مرض السيد، وقد خشى السيد -بوذا- أن يؤثّب جوندا نفسه أو يؤثّب غيره على هذا، فاستدعى ابن عمه أناندا -الذي يخدمه بإخلاص نادر- وقال له: بعد أن أنتقل، اهدأ أنت أولاً، وهدوءك سوف يهدئ الآخرين، ثم هدّئ بشكل خاص «جوندا» لأنه قد يقسو على نفسه، ويظن أن طعامه هو الذي عجل بانتقالي... وإن وجدته حزيناً فأخبره أنني قلت لك: إنني سعدت في حياتي بهديتين عظيمتين لا أنساها؛ الأولى: تلك الحقائق التي جاءتني عند الشجرة المقدسة، والهدية الثانية في الطعام الذي قدّمه لي قبل وفاتي، وإن وجدته متردّداً في تصديقك، فأخبره أنك سمعت هذا الكلام يخرج من بين شفّتي.

### بوذا يودع زوجته:

أما عن «ياسودهرا» زوجة جوتاما -بوذا- التي لم يرّها منذ غادر بيته منذ نيف وأربعين سنة، فإن هذه المرأة قد فارقتها زوجها -بوذا- منذ ميلاد ابنهما، وحين بدأ دعوته، ودخلت النظام منذ البداية، ثم صنعت لنفسها كوخاً مثل كوخ الفقراء الدراويش وعاشت فيه، ورغم أن بوذا قد منع المرأة من دخول النظام في البداية، فإن ياسودهرا قد دخلت النظام وعاشت بعيدة عن زوجها، وكذلك بعيدة عن ابنها الذي دخل إلى النظام الذي ابتدعه أبوه، ومن حين دخل ابنها النظام لم

يَعُدُّ يَكَلِّمُ أُمَّه إِلَّا كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً، وعاشت الأم ياسودهرا محرومة من زوجها ومن ابنها الذي انصرف عن أمه تمامًا لا يكلمها إلا مرة واحدة كل سنة، وذلك بسبب تأثير بوذا الذي كان يحذّر من النساء باعتبارهنّ مفسداتٍ للنظام؛ ولذلك فهو لا يسمح لهن بدخول النظام، ولا بالاشتراك معه في دعوته.

مرة واحدة شاهدت ياسودهرا زوجها بوذا؛ ذلك حيث ظلت تعيش في كوخها الذي قضت السنوات به، وكان الكوخ عند مدخل مدينة «راج غاها»، وفي مرة جاء بوذا إلى المنطقة التي تعيش بها زوجته في كوخها، واجتمع بالكثيرين من أتباعه قريبًا من الكوخ الذي تعيش به، واجتمع الناس من جميع النواحي يشاهدون بوذا وهو يحرك عجلة الشريعة، وهناك وسط الحشود المجتمعة أندست ياسودهرا وحدها متخفيةً وسط ذلك الخِصَمِّ الهائل من الناس، وكان الجميع يستمع إلى كلام المبارك -بوذا- وكان ابنها الوحيد «راهولا» حاضرًا، ولكنه لم يكلمها، وكانت ترى ابنها، وقد رأت المبارك زوجها مرة واحدة ثم اختفى عنها وسط الحشود.

كان السيد المبارك رغم أنه لم ير ياسودهرا منذ بعيد، لكنه كان متعلقًا بها، تخطر بباله أحيانًا، وشعر بعد تلك الرحلة وهو قريب من كوخها أنها أوشكت على أن تغادر الدنيا، ونادى خادمه وابن عمه المخلص آناندا، ومشى معه قليلًا، ثم قال له: يا آناندا؛ لقد حانت الساعة التي تجتاز فيها ياسودهرا العين -قاصدًا بذلك: الموت- وسكت آناندا قليلًا ثم قال: ألا ينبغي للسيد أن يتكلم معها بعد هذه الفترة الطويلة؟! وأبدى السيد موافقته في صمتٍ دون أن يتفوّه بكلمة.

اتَّجِه السيد -بوذا- ومعه آناندا إلى الكوخ الذي تعيش فيه ياسودهرا، وهناك وجد عجوزًا شمطاء حليقة الرأس ذابلة، عيناها أشبه بسراج نضب منه الزيت، ضعيفة الجسم، خائرة القوى، ولمَّا رأتهما هتفتُ بصوتٍ ضعيف واهن: قد أطاعتِ الأُمَّةُ سيِّدَهَا، ودخلتِ النظامَ منذ تمكنتُ من ذلك، وحملي الثَّقِيلُ الذي حملتهُ علي كتفي طوال هذه السنين، الآن أضعه وأستريح، إنه لم يبق لديَّ رغبة في الحياة.. ثم سقطت فاقدة الحياة.

### بوذا يأتية الأجل:

منذ ماتت ياسودهرا بدأت حياة السيد -بوذا- تتَّجِه نحو المغيب، وبعد أن ودَّع بوذا امرأته وقد ماتت، وترك لهم التصرف في جثمانها حسب عاداتهم، بدأ بوذا ومعه الرِّكب الذي يرافقه، على رأسه خادمه وابن عمه آناندا، وفي الطريق استراح الركب عدة مرات بسبب التعب والإرهاق اللذين أصابا السيد -بوذا- وأخيرًا ألقى الرِّكب عصا التَّسيار عندما وصل إلى ضفاف نهر «هيرانيافاتي Hiranyavaty» قريبًا من مدينة كوسينارا التي كان الرِّكب قاصدًا إليها منذ البداية، ألقى الركب رَحَلَه على ضفاف النهر، وكان واضحًا للجميع أن بوذا سيلقى نهايته في هذا المكان.

وقام السيد وأخذ يمشي بين الأشجار في الغابة التي على جانب النهر، وكأنه يبحث عن شيء معيَّن، وقال له ابن عمه آناندا: إن المعلم يمشي في غابة غير عامرة، ليس بها إلا أكواخُ خربةٌ، وكان ينبغي أن يكون السيد في مدينة كبيرة؛ ليراه

الناس من قبل أن يموت ويأخذوا عنه، ويتعلموا منه، ويحتفوا به ويعظموه، فقال له بوذا: أهذا ما يشغلك؟ ألم أقل لك: إن كل شيء إلى زوال، وأن كل موجود إلى الانحلال؟! إنَّ أَجَلِي قد حان، وإن حياتي يجب أن تنتهي، وقد آن لِرُوحِي أن تضع حملها الذي حملته طويلاً، يا آناندا؛ لقد بان لي أنني حين أموت لن أولد مرة أخرى.

ثم بدأ بوذا حديثاً طويلاً إلى ابن عمه وخادمه آناندا، وكان الجميع يسمعون، وكان الحديث عامّاً وشاملاً حول موته ودفنه، ومنع الخلاف حول شيء من ذلك، ثم أطال الحديث عن المبادئ التي يجب أن يحافظ عليها جماعات البوذيين الرهبان.

مشى السيد -بوذا- بين الأشجار متثاقلاً، حتى وجد أكمة من أشجار السّال، فانتهى مكاناً مريحاً بين أشجار السّال، ثم وجّه رأسه نحو الجنوب، وألقى بجسده المنهك، ثم استراح قليلاً، وبعد ذلك أتجه يركز النظر إلى الجبال الشاهقة من قمم الهيمالايا البيضاء، ثم استوى جالساً، وسمعوه وهو يترنّم ببعض الترنيمات الشعبية، لكنهم كانوا سعداء لأنهم سمعوه يتنفس بهدوء، والهدوء والطمأنينة باديان على وجهه، ولكنه ربض مكانه ربضة الأسد الجريح، وبدأ يغني بصوت هادئ أنشودة البيت المتضعع، التي تقول:

«من بيت وراء بيت سجنني، ومن رسالة وراء رسالة أرسلني، ولادة بعد ولادة وأنا أدور في دائرة متعبة، باحثاً عن صانع هذه الخيمة، إن البيت قد

ارتجفت أركانها - يقصد نفسه -، سقفه يرحب بمطر الموت في داخله، وجدرانه من كثرة الغبار تنتظر النهاية، كانت الولادة بعد الولادة أليمة، الخجل والعذاب يتبعني، وأنا أتبه في ببداء لا نهاية لها، الآن يقوم السَّجين متحرراً - يشير إلى موته -، يا صانع البيت، لقد رأتك العين، تهدَّم السَّقْف، وسقطت الجدران، وانهارت الأركان، يا ماكر؛ طال اختفاؤك، ها قد وجدتك وأمسكتك بقوة، لن تنفلت من يدي أبداً، جان لك أن تتخلص من العذاب، لقد خدمت هذه النار إلى الأبد»<sup>(١)</sup>.

### موعظة الوداع:

عاد بوذا بعد ذلك إلى ربيعة الأسد التي كان عليها وسط شجر السَّال... لقد ثقل تنفُّسه بشكل واضح، ورغم ذلك كان مصير دعوته يشغل باله، فأخذ يحدث أتباعه: أيها النَّسَّاك؛ كل شيء زائل، كل شيء يمر مرَّ السحاب، تذكروا حقيقة أنه لا يبقى شيء، ولا يدوم أحد، حافظوا على استقلالكم بالتواضع والجدِّ، ركِّزوا أنظاركم دائماً إلى النهاية.

التفت جوتاما إلى أتباعه وقال: لا تظنوا بعد أن أمضي إلى سبيلي، وتنتهي حياتي بينكم أن بوذا قد ترككم، لا تفعلوا كما يفعل الناس، إني لن أترككم، إن كلماتي باقية بينكم، كذلك سأترك بينكم توضيحاتي للحقائق التي لا يعرفها إلا أنتم، إن القوانين الخفية قد تركتها بينكم ليعمل بها جماعة الدراويش، كونوا على يقين من كل كلمة قلتها لكم.

(١) انظر: «أديان الهند» لأحمد شلبي (ص ١٥٧)، «بوذا الأكبر» لحامد عبد القادر (ص ٦٩ - ٧٠).

سكت هنيهة حتى ظن الجميع أنه نام، لكنّه ابتدرهم قائلاً: لا يستطيع الشك أن يدخل إلى قلب أحد من أتباعي المخلصين، إن نصيحتي لكم أن كل شيء إلى زوال، وأن العطب والانحلال هو النهاية الطبيعية لجميع الأشياء، ولا يبقى شيء على حاله، فلا تربطوا أنفسكم بهذه الحياة؛ بل اجتهدوا وجدّوا في تحرير أنفسكم.

وكانت هذه الكلمات هي آخر ما نطق به بوذا، حيث ذهب فيما يشبه السبات العميق، وكان مغمض العينين ساكناً تماماً، ويبدو عليه أنه لم يعدّ شاعراً بما حوله. أخذ آناندا يقرب منه ويتفرّس فيه، ووضع يده على صدره، ثم قال بصوت خفيض: لقد مات السيد، لقد رحل المعلم!!

حينئذ زجره جموع الموجودين وقالوا له: لا تقل هذا؛ لقد دخل في مرحلة التفكير العميق التي لم يعدّ معها شاعراً بشيء، لكنه سيرجع إلى سابق عهده ويفيق. لكنّهم بعد أن انتظروا طويلاً، وراقبوه عن كثب؛ أيقنوا أن كل شيء قد انتهى، وأن المعلم بوذا -جوتاما- قد رحل وانتهى أمره.

عند ذاك قام بعض أتباعه بإلقاء نفسه على الأرض، وأخذوا يتمرغون في التراب ويندبون ويبكون، إلا أن آناندا وجماعة من الذين تحرّروا من الوهم قالوا لهم: لقد سمعتم كلام السيد قبل رحيله، ويجب علينا أن نأخذ بوصيئته وإلا كنا خائنين له.

هنا رجع الرهبان الباكون عن سلوكهم المخجل، وتماسكوا، ثم حملوا

السيد-بوذا- على محفّة وجعلوا رأسه ناحية الجنوب كما اختار هو في رقدته الأخيرة، ثم أخذ كل من أتباعه يطوف بجثمانه ثلاث مرات، وفي آخر الطواف يضم يديه إلى صدره وينحني عند قدميه معظمًا له ومبجّلًا، طافوا جميعًا حول الجثمان، وطاف معهم أهل المدينة القريبة منهم؛ مدينة «كوسينارا»- أو «كوساتاجارا»- وقد احتفل بوفاته -تكريمًا وتعظيمًا- أهالي جميع القرى المجاورة، وحتى الأكواخ المتناثرة في الغابة من حول المكان الذي نزل به بوذا لآخر مرة.

### تشييع بوذا وحرق جثمانه:

لقد أشرنا من قبل إلى أن البوذيين قد افتروا أساطير وروايات عن أمور خارقة حدثت لبوذا في يوم ميلاده، وكذلك حدثت لأمه وهي تلده، وكذلك ذكروا أمورًا قد جرت بينه وبين رئيس الشياطين أو كبيرهم «مارا»، وقد انتصر بوذا في كل هذه المعارك التي جرت بينه وبين الشياطين وكبيرهم «مارا».

هذه النزعة لم تكن تظهر عند أتباع بوذا ومؤرخيه في كل فترات حياته، ثم ينسونها عند اللحظة الحاسمة -أعني: عند وفاته- لذلك فقد ادّعى هؤلاء أن خوارق كثيرة قد حدثت عند وفاة بوذا، ولسنا في معرض ذكر هذه الخوارق، ونحن لا نحب أن نهزل في معرض الجدّ.

لكن لا بأس من الإشارة إلى شيء من ذلك.. فقد ادّعى أتباع بوذا- وما زالوا يعتقدون ذلك حتى اليوم وحتى غد- أن الأرواح التي تعيش في السماء وفي

الأرض قد هبطت كلها واجتمعت حول جثمان بوذا، وقد شاركت أتباع بوذا وأقامت مأتمًا من البكاء والعيويل على وفاة بوذا وانتقاله من الأرض.

وكان حزنها وعيولها من الأدلة القاطعة على أن بوذا لن يرجع إلى الأرض مرة أخرى، وأنه لن يولد؛ بل هو - حين مات - سيذهب إلى «النرّانا» التي هي حالة من الهدوء والسكينة - كما سنوضح معناها لدى بوذا - بحول الله تعالى -.

لقد استمر المأتم الذي أقامه أتباع بوذا لسيدهم ومعلمهم ستّة أيام أقام فيها أتباع بوذا مأتم بوذا، وشاركهم السكان، ثم الأرواح - كما يزعم البوذيون الغلاة - وهذه المدة خاصة بمأتم كبار القوم، وكذلك رأى أتباع بوذا أنه من كبار القوم، ولم يَنسُوا أنه ابن ملك.

وفي اليوم السابع حمل الجثمان ثمانية من كبار المدينة، ونقلوه إلى ضريح أقاموه خصيصًا بعيدًا عن المساكن؛ لحرق الجثة، ووضعوها على محفّة لتُحرقَ عليها، وحولها خشب معطرّ، لكنهم قبل أن يشعلوا النار في الخشب؛ اشتعل الخشب وحده دون أن يشعله أحد.

حدث خلاف بين أتباع جوتاما - بوذا - وبين أهل المدينة المجاورة حول ما خلّفته النار من تراب الجسد المحترق، ولكن الأمر انتهى بتقسيم بقايا الجسد المحترق إلى عشرة أقسام، كل قسم أرسلوه إلى جهة معينة، وقد بُني على كل قسم بناء عظيم، وقد ظلت - وما زالت - هذه الأضرحة مقصد الحجاج من أهل الهند.

وقد رُوِيَ أَنَّ الإمبراطور «أسوكا» قد استخرج في عهده هذه الأقسام وقسمها مرة ثانية إلى ثمانية وأربعين ألفاً، كل قسم منها أرسله إلى جهة، وبنى عليه معبداً بوذيًا.. وواضح أن هذه خرافة لا حقيقة لها، وسوف نرى هذا في محله من البحث - بحول الله تعالى -.





# البَابُ الثَّانِي

## أصول البوذية

الفصل الأول: الإله.

الفصل الثاني: أصول البوذية.

الفصل الثالث: البوذية القديمة والبوذية الحديثة.

الفصل الرابع: المصادر المقدسة للبوذية.

الفصل الخامس: انتشار البوذية وأماكنها.

الفصل السادس: الفرق والطوائف في البوذية.

الفصل السابع: مسيرة البوذية حتى العصر الحديث.





# الفصل الأول

## الإله

### هل البوذية دين؟

من الطبيعي أن يكون موضوع كلامنا عن أي دين أو مذهب حول أصول هذا الدين أو المذهب، وإذا كان ذلك الدين أو المذهب يتناول موضوعات متعددة، ومباحث مختلفة؛ فمن الطبيعي أن يبدأ حديثنا عن «الإله» وموقف ذلك الدين أو المذهب منه؛ لأن الحديث عن الإله سوف يحدّد الموضوع الأصلي في حديثنا، وسوف يمنع التردد في كلامنا الذي تعبر عنه لفظة «أو» فنحن نقول: حديثنا عن دين أو مذهب، فإذا ما تكلمنا عن موقف هذا الموضوع من الإله؛ حسمنا هذه القضية حسمًا باتًا، وصرنا نتكلم على بصيرة عن دين، أو عن مذهب، وقد اتضح لنا تمامًا ما نتكلم عنه؛ هل هو دين، أم هو مذهب.

لكن متى تبين لنا ذلك؟ وكيف تبين؟ تبين لنا من خلال كلامنا عن الإله، فإن يكن موضوع حديثنا يعتقد في الإله - حقًا أو باطلاً - كان ذلك الذي نتكلم عنه دينًا، وإن كان موضوع حديثنا ينفي وجود الإله ولا يعتقد أو يعتمد؛ فليس بدين وإنما هو مذهب مثل سائر المذاهب.

لبداية يجب توضيح الفروق بين ما هو مذهب، وبين ما هو دين؛ حتى نستطيع أن نحكم على ما جاء به بوذا؛ إن كان مذهبًا، أو كان دينًا، والفروق بين المذهب

وبين الدين كثيرة لكننا نوجزها فيما يلي:

أ- أن المذهب يقوم في أساسه على الجانب العقلي، بعيداً عن الجانب الوجداني، وما دام الأمر الذي تعمل في إطاره مقصوراً على الفكر والقضايا العقلية الفكرية التي لا دخل لها بالمشاعر والوجدانات، ولا هي معتمدة في جانبها الأساس على العاطفة؛ فذلك هو المذهب، وذلك الذي نتكلم عنه هو المذهب وليس الدين.

أما إذا كان الموضوع الذي نتكلم عنه أو نبحث فيه أمراً قائماً على العاطفة والوجدان، وترتبط جزئياته وقضاياه بالجانب العاطفي الوجداني، وتشغل المشاعر جانباً كبيراً من جزئياته؛ فذلك هو الدين.

ب- أن القضايا التي نبحثها في الموضوع الذي معنا تتعلق بالمطلق، وتقوم على القيم والأخلاق والسلوكيات، وتهتم بالمعايير الأدبية والأمر المعنوية؛ فذلك هو الدين في غالب الأمر... ونقول: في غالب الأمر؛ حتى يتبين لنا أن هذا الأمر الذي نتكلم عنه ليس من الأمور الحاسمة في التفرقة بين الدين وبين المذهب.

ج- الفيصل في التفرقة بين ما هو دين وبين ما هو مذهب: أن يكون الموضوع الذي ندرسه يركز بقوة على جانب الحياة الأخرى؛ بمعنى: أنه يهتم اهتماماً خاصاً، ويركز تركيزاً شديداً في قضاياه على ما يتصل بما بعد الموت، وما يحدث للإنسان بعد أن يغادر الدنيا، فإن تناول هذا الجانب وفصل فيه،

وأعطى للحياة الآخرة بعد الموت حظها من البحث، وأجرى عليها من الأحكام ما هو خاص بها بعد أن تغادر هذه الحياة الدنيا، وكذلك من المهم أن يكون هذا البحث قد وضع للحياة الآخرة نظامًا جزائيًا متكاملًا يثاب فيه الطائع، ويعاقبُ العاصي، حسب ما في هذا الموضوع من عقائد -حقة كانت أم باطلة- إن كان ذلك فهذا دين.

أما إذا خلا البحث من ذلك؛ فهو مذهب وليس دينًا، حيث المذهب ليس فيه ما يتصل بما بعد الموت، وتحديدًا بالقانون الجزائي الأخرى؛ لأن المذاهب تُقصر اهتماماتها على الدنيا.

بقي بعد ذلك إشكالٌ يسير؛ ذلكم أن بعض المذاهب قائمة على الخلط بشكل لا معقول، حيث تخلط بين أمور الدنيا والآخرة، فتجمعها كلها في الدنيا، فتجد أن شيئًا من أمور الآخرة -مثل قضية الجزاء على الأعمال- تتناولها هذه المذاهب وتنظمها، وتضع لها قانونًا جزائيًا في الدنيا، وذلك باطل؛ لأن القانون الجزائي لا يكون إلا في الآخرة، والمراد بالآخرة هو الخروج من الدنيا، ولا يتم القانون الجزائي إلا بالانفلات من الدنيا جملة.

والكلام لا يتضح بالمثل؛ ولكن يتضح بأن نذكر واقع الحال، وبخاصة وأنَّ ضَرْبَ المثل يكون صالحًا وضروريًا إذا تعددت الحالات فنضطر لضرب المثل الجامع لها، أما وإنَّ موضوعنا له حال واحدة؛ فيكون ذكرها تحديدًا أفضل وأوضح.

والمشكلة التي معنا تنحصر في أنَّ الدِّين يهتمُّ أساسًا بقضايا الجزاء في الآخرة فالدنيا مزرعة والآخرة حصاد، أو الدنيا عمل والآخرة جزاء؛ هذا في الأديان كلها، والذي يتولى الجزاء هو الإله - سواء بنفسه أو عن طريق النظام الذي يضعه - وبدهي أننا نتكلَّم عن الأديان بصورة عامة، يستوي فيها الحق والباطل، وما هو من عند الله، والتي هي من عند الشياطين والهوى.

لكن البوذية - تحديدًا - وضعت في أساسها ما لا يكون إلا في الدِّين؛ وهو الجزاء على الأعمال، وذلك عن طريق التَّناسخ الذي اعتنقته ووضعتة ضمن نظامها ومبادئها، فكلُّ إنسانٍ بوذيٍّ يموت جسده، ثم يبعث هو نفسه في صورة شخصٍ آخر، أفضل من السابق أو أسوأ منه ثراءً ومكانةً؛ حسب عمله في الجسد السابق. وهذا هو المراد بالتَّناسخ.

إذنَّ وضعه الجديد بعد موت جسده السابق هو جزاء على عمله في الجسد الذي فنيَّ وهلك، لكن من الذي يسيطر على ذلك الإنسان فينظم تلك العودة ويضع صاحبها في المكان الذي يستحقه حسب عمله السابق؟ هذه من المشكلات التي جاء بها بوذا، والتي تدلُّ بوضوح على جهله وحمقه، وأنه لم يكن سوى درويش راهب جاهل، وقد مرَّ بنا أنه وقع في أمرين خطيرين يُعتبران من الأمور البديهية، وكان خطؤه أنه أقام مذهبه على هذين الأمرين، وجعلهما أساسًا لمذهبه، لكنه - وفي نفس الوقت - أنكرهما وزعم أنهما غير موجودين؛ والأمران هما:

الأول: الإله؛ فقد جعل جزاء الأعمال التي يقوم بها الإنسان قائمًا عن

طريق التناسخ، وأن تكرر المولد للإنسان مرة بعد مرة إنما هو نتيجة عمله في الجسد السابق الذي هلك، ولا يمكن للإنسان أن ينجو من تكرر المولد إلا إذا كانت أعماله في الجسد السابق من الصلاح والتقوى التي يسمونها «الاستنارة الإلهية»، أما إذا لم يكن صالحًا تقيًا مستقيمًا؛ فإنه يعود مرة أخرى أو مرات متكررة، والعودة عن طريق المولد هي أصل المأساة في الفكر الهندوسي والبودي.

نقول: إن بوذا أقام مذهبه على أساسٍ من ذلك، ولكنه أنكر وجود الإله الذي يتولى بنفسه - أو عن طريق الكارما - عملية إعادة المولد أو إنهاؤها وعدم تكرر المولد، الذي يسميه بوذا: النِّرَّفانا، والتي سيأتي توضيح مراده منها - بحول الله تعالى -.

الثاني: أن بوذا أنكر وجود النفس - أو الروح - وأنكر كذلك وجود الأنا أو الذات؛ وهذا يعني: أن الإنسان لا تكون له هوية ولا إنيّة، ولا ذات خاصة به؛ وهو حين أنكر ذلك أنكره بكل ما يملك من قوة وإصرار، ويبقى بعد ذلك أن يبين لنا كيف يتم التناسخ الذي يؤمن به هو ويصرُّ على أنه من أُسسٍ مذهبه، إذا كان الإنسان هو الجسد فقط، وليست له نفس أو روح، أو هوية أو ذاتية، إذا كان هو - بوذا - ينفي بكل شدة وجود النفس ووجود الذات المشخّصة لصاحبها.

إذن فالإنسان لم يبق له أو فيه إلا ذلك الجسد، وإذا فني الجسد، فكيف يتم التَّناسخ؟ وأي شيء ذلك الذي يعود من الإنسان مرة أخرى، ويتكرّر

مولده، إذا كان هو عبارة عن الجسد فقط؛ وقد فني هذا الجسد؟!!!

د- كل الذي قدّمناه كان لبيان الفرق بين الدّين وبين المذهب، وحقيقة الأمر أن هذا الذي تقدّم ليس إلا توطئة للفرق الحقيقيّ بين الدّين وبين المذهب. أمّا الفارق الفيصل والذي يَجُبُّ الفوارق كلّها، ويحسم الموقف؛ فهو وجود الإله باعتباره هو الأساس الحقيقيّ الذي يقوم عليه الدّين، أو يقوم عليه ذلك النظام الذي نتكلّم عنه، فإنّ كان النظام الذي تكلم عنه بوذا، ودعا إليه، واعتنقه الملايين بعد ذلك، إذا كان ذلك النظام يقوم على الإيمان بإله يتسنّم ذلك النظام وتدور حوله كل موضوعاته، إذا كان كذلك فهذا النظام دينٌ.

أمّا إذا كان هذا النظام يخلو عن الإله، ويقوم على جحده أو إنكاره، ورفض وجود الإله؛ فهو نظام ملحد، وهو مذهب، وليس ديناً بأي شكل من الأشكال، والنظام الذي جاء به بوذا يرفض وجود الإله، وينكره، ويرفض وجود النفس، والهويّة والإنيّة أو «الأنا»، فهو مذهب إلحاديّ حتى النخاع، وستزيد ذلك تفصيلاً -بحول الله تعالى- فيما يلي.

### موقف بوذا من الألوهية:

تكلّمنا قبل عن موقف بوذا من الإله، وعن كونه ينكر وجود الإله بشكل قاطع، وبيّنا أنّ موقفه من وجود الإله قد مرّ بمراحل:

مرحلة الصمت والتجاهل: في البداية، وكان بوذا قليل الأتباع مغموراً، لا يسمع به إلا أفراد من الدراويش الفقراء المتسوّلين أمثاله، كان بوذا في هذه

المرحلة خفيص الصوت، متواضعاً، جاهلاً، بضاعته مزجاة لا يكاد يُقبل عليها أحدٌ، هنا كان هادئاً، وكان تعامله مع الآخرين مهذباً؛ لذلك كان أتباعه القليلون - وقتئذٍ - إذا سأله أحد منهم عن الإله، كان بوذا يصمت قليلاً، ثم يحوّل الكلام إلى موضوع آخر، أو يجيب إجابات مبهمّة لا تدلُّ على شيء، وكان أتباعه لا يجادلون كثيراً؛ لأن طبيعة الهندي سلبية مسالمة.

مرحلة الإجابات الغامضة: ثم انتقلت حال بوذا شيئاً فشيئاً، فكثُر أتباعه نوعاً ما، واشتدت مكانته، فشر بنوع من الثقة، فبدأ يجيب عن الأسئلة التي تُوجّه إليه عن الإله بإجابات تثير الحيرة والتشكُّك، ولا تشفي السائل، وذلك أمثال قوله: **إنّ الذين ذهبوا من بيننا لم يعدّ منهم أحدٌ ليخبرنا ماذا وجد هناك، وهل وجد الإله، أم لم يجده!!**

مرحلة التهكم والسخرية: ثم انتقل بوذا إلى حالة جديدة في الإجابة عن الإله، وعن الأسئلة الموجهة إليه عنه، فكان يسخر ممن يسأله عن الإله، وينصح أتباعه بأن لا يشغلوا أنفسهم بهذه الأمور، وكانت إجاباته عن الإله تنحصر في أمرين:

الأمر الأول: أنه كان ينعي على أتباعه مثل ذلك السؤال، أو هذا السؤال تحديداً، ثم ينصحهم قائلاً: لا تسألوا عن أمثال هذه الأمور التي لا نفع فيها ولا فائدة؛ بل إنها مضيعة للوقت دون أن يكون وراءها أيُّ نفع، اشغلوا أنفسكم بمثل هذه الموضوعات: هناك ألم - الألم له سبب - السبب هو كذا - علاج هذا السبب كذا.. أما السؤال عن شيء اسمه الإله فمضيعة للوقت، وعدم فهم.

الأمر الثاني: أنه كان يسخر من السائل عن الإله، وجماعُ سخريته قائم على أن الكلام عن الإله كلام يدلُّ على الجهل، بل والحمق، وهنا تأتي الأمثلة التي يضربها لهؤلاء السائلين، وفي مقدمتها المثالان:

أ- مثال الرجل الذي بنى سُلمًا في مكان متسع، بينما لم يَبْنِ بيتًا يضع فيه السُّلم، ولم يعرف إلى أين يوصل هذا السلم.

ب- مثال ذلك الذي يجلس حزينًا باكيًا، ينتحب على فراق محبوبته، بينما هو لم يعرف قبل ذلك المحبوبةَ ولا رآها، لكنه يجلس منتحبًا على فراقها دون أن يراها أو يعرفها.

المرحلة الأخيرة، مرحلة الإنكار التام: ثم تأتي المرحلة الأخيرة التي ختم بها بوذا حياته، والتي تمثّلت في كلماته الأخيرة لتلامذته ومريديه، والتي أنكر فيها بشكل واضح وبيّن وجود شيء اسمه الإله، والتي اتضحت أكثر في مناظراته مع البراهمة، هذه المناظرات التي كان واضحًا أنها من صُنع تلامذته، والتي احتوت على أفكار فلسفية ما كان يستطيع فهمها ذلك البوذا الدرويش المتسوّل، ولكن الذي يهّمنا فيها: أنه أنكر وجود الإله بشكل قاطع، حيث كان يسأل البراهمي: هل رأيت براهما؟ هل كلمته؟ هل لقيته؟ وهذا يعني -إضافة إلى إنكاره الإله: أنه لا يعرف الحقائق المتعلقة بوجود الإله، ولا يعرف صفات الإله التي تقوم على الإيمان بالغيب، ذلك الإيمان الذي لا يعرفه بوذا، ومن هنا جاء سؤال بوذا الذي لا يعرفه أحد، ولا يسأله أحد من المتدينين حتى بالأديان الباطلة، ذلك السؤال الذي ركّز عليه بوذا في مناظرته مع البراهمي، حيث قال له: أنت تعبد براهما؟ فلما قال له البراهمي: نعم.. توالى أسئلة بوذا للبراهمي: هل رأيت؟

هل لمستة؟ هل كلمته؟ هل جالسته؟ هل.. هل...، ولما أجاب البراهمي عن كل هذه الأسئلة بالنفي، قال له بوذا: أنت إذا تعبد عدماً، أنت تعبد لا شيء، أنت تعبد خيالاً توهمت وجوده، وليس له وجود.

وهذه الأسئلة نفسها تدل على أن بوذا ملحد كافر بالآلهة جميعها، لا يؤمن بوجود الإله، أيًا كان ذلك الإله، والبوذيون الذين يؤلّهون بوذا ويعبدونه ويتقربون إليه لا يستطيعون أن ينكروا هذه الحقيقة الناصعة التي لا تدل على إلحاد بوذا فقط؛ بل تدل بعد ذلك على حمق أتباعه الآن وعلى مدى غباثهم، حين يؤلّهون رجلاً رفض الألوهية، ورفض الدين، وأنكر بكل إصرار وغباء وجود الإله.

### الأسباب الحقيقية وراء إنكار بوذا للإله:

يأتي بعد ذلك السؤال عن التعصّب الشديد، والإصرار الأشدّ على نفي وجود الإله لدى بوذا، وهو في بلد وبين شعب متدينّ بطبعه، ولم يُعرَف بالهند، ولا بين شعوب الهند نزعة الإلحاد؛ بل عُرف عنهم الإغراق في اختراع الآلهة من الأوثان والأصنام والكواكب وظواهر الطبيعة، ولقد أولع الشعب الهندي بالتدين واختراع الآلهة، حتى إنه ليعبُدُ آلهة ما سمع بها البشر قبلاً؛ مثل: البقرة والأشجار القديمة الكبيرة وبعض الحيوانات، ومثل: نهر الجانج المقدّس الذي يستعملونه مقبرة لموتاهم ينثرون في مياهه رماد موتاهم بعد حرقهم، شعب مثل هذا يخرج من بينه رجل مثل بوذا ملحد ينكر وجود الآلهة، ويدعو إلى مذهبٍ إلحاديّ، ويسخر ممن يدين بالآلهة - أيًا كان ذلك الإله؟! أليس هذا شيئاً عجيباً يدعو إلى التساؤل ويشير التعجب؟!!

ولكن ذلك التعجب يذهب، وذلك التساؤل يجد الإجابة إذا عرفنا أنّ البوذية التي دعا إليها بوذا إنما قامت في الأساس حركة معادية للبرهمية، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنّ البوذية جاءت ثورة على البرهمية -الهندوسية- وعلى رجال الدّين البرهمي -أو الهندوسي- الذين يطلق عليهم البرهمن؛ وذلك بسبب غرورهم وتكبرهم على الشعب الهندي كله، وتحديدًا سوء المعاملة التي يتعاملون بها مع الطبقة التالية لهم؛ أعني: طبقة الكاشتريا التي هي طبقة الأمراء والحكام وقوّاد الجيش.

ومن المعلوم: أن التنافس والتناحر والعداء كان مُستحكماً بين الطبقتين الأولى -البرهمن- والثانية -الكاشتريا- لأنهما أعلى الطبقات في المجتمع، وتستقلان بالرئاسة والكبرياء، فالأولى تستقل بالرئاسة الدينية، والثانية تستقل بالرئاسة الدنيوية، والتنافس بينهما قائم ومعلن، حتى إنه انتقل من السريّة والمجاملة إلى التناحر العلني، وقد سجّلت الكتب المقدّسة عندهم هذا العداء السافر بين الطبقتين، وكيف أن الغلبة دائماً هي للبراهمن -رجل الدّين- على الكاشتريا -رجل الحُكم- وهناك أسطورة في كتبهم الدينية تُبين هذه الحقيقة، وقد سُطّرت في كتبهم المقدّسة حتى يظل الهندوسي على ذِكْرٍ منها دائماً، وقد مرت بنا الأسطورة فلا داعي لذكرها ثانية.

من أجل هذا قامت البوذية ثورةً على البرهمية، وعلى تسلُّط وتجرُّب وطغيان رجال الدّين البراهمي على الشعب، وتحديدًا على الطبقة المنافسة لهم وهي طبقة الكاشتريا -الحكام والجيش-.

وقد بينّا قبل ذلك أن التنافس كان بين الكاشتريا وبين رجال الدين؛ لأنهما الطبقتان المميزتان، واللذان استقطبتا السلطتين الدنيوية والدينية، فالبرهمن استولوا على السلطة الدينية وهي السلطة الأقوى، والكاشتريا استولت على السلطة الدنيوية، أما الطبقتان الأخيرتان اللتان هما: الويشيا والشودرا؛ فهما في القاع ولا علاقة لهما بما فوقهما، سوى أن الظلم الواقع على الكاشتريا من رجال الدين يتضاعف كيفاً وكماً بالنسبة للطبقتين الدنياويين.

نخلص من ذلك: أن الطبقات الثلاث تشعر بغبنٍ وظلم كبيرين من الطبقة الأعلى، والطبقة الأعلى ترى الكراهية والمقت الشديدين في تصرفات الطبقات الأخرى فتزداد حرصاً على مكاسبها وامتيازاتها، ويزداد خوفها من أن تنتفض الطبقات الأخرى ضدها، فيزداد ضغطها وحرصها، وتكون النتيجة ما رأينا في البوذية، ومن قبلها بقليل في الديانة الجينية، التي سنتكلم عنها -بحول الله تعالى- بعد الانتهاء من البوذية.

قلنا: إن البوذية، ومن قبلها الجينية؛ قامت كلٌّ منهما ثورة على البرهمية، وعلى طغيان البرهمن رجال الدين في البرهمية؛ ولذلك كان أول قرار يتخذه «جينا» مؤسس الجينية، و«بوذا» مؤسس البوذية هو إخلاء مذهب كلٍّ منهما من وجود الإله، وجعل كل مذهب جاء به كلٌّ منهما مذهباً إلهادياً كافرًا بوجود الإله، ورفضاً وجود الإله رفضاً كاملاً.

والسبب معروف معلوم واضح؛ حيث جاء كلٌّ منهما بمذهبه ثورة على رجال الدين البرهمن، وكان طبعياً أن يبعد كلٌّ منهما مذهبه عن الإله؛ لأنه لو جعل في

مذهبه إلهًا، فطبعيٌّ أن المذهب سيكون دينًا، وإذا كان في المذهب إلهٌ، وكان دينًا؛ فسيكون فيه رجال دينٍ، ويقع بوذا وجينا فيما هربوا منه، ويكرران مأساة وجود رجال الدين التي فرَّا منها؛ لذلك حرص كلُّ منهما على أن يجعل مذهبه مذهبًا إلهاديًّا خاليًّا من الإله، ليكون بعيدًا عن الدين، وليكون بالتالي خاليًّا من رجال الدين، وليس فيه ما يشبه طبقة البرهمن لا من قريب ولا من بعيد.

### عقيدة البوذيين - بعد بوذا - في الألوهية:

ورغم كل الذي ذكرناه عن المراحل التي مرَّ بها بوذا وهو يرفض الاعتراف بوجود إله في البوذية -وعبارة «في البوذية» جرت مجرى العادة- لكن بوذا رفض الاعتراف بوجود ما يسمَّى بالإله، سواء في البوذية أو في غيرها، لكننا ذكرنا البوذية باعتباره واضعها وواضع مبادئها وتعاليمها وهو مؤسسها، وهو قبل أن يؤسس البوذية رفض براهما إله الهندوس، وكذا رفض جميع آلهتهم الأخرى مثل «سيفا» و«وشنو»، ورفض مع ذلك جميع مقدساتهم، ورفض نظام الطبقات المعترف به بينهم، المهم هنا: أن البوذيين رغم موقف العداء المعلن من بوذا لوجود الإله، ورغم عباراته التي لا تحتتمل تأويلًا؛ فإن البوذيين يخترعون أمرين عجيبين ليثبتا بهما أن بوذا يقرُّ بوجود الإله، ويعترف به، ومن هنا فإنهم يزعمون أن ما جاء به بوذا ليس مذهبًا إلهاديًّا، وإنما هو دين، وأن الإله الذي هو الركن الركين في الدين موجود لدى بوذا، وله مكانه الممتين في البوذية، ويحاولون تبرير رفضه بمحاولاتٍ وعللٍ توصلهم إلى ما يريدونه.

تبرير البوذيين لإنكار بوذا للإله:

قلنا: إن البوذيين يخترعون تعليلين لإثبات أن بوذا لم يرفض الإله بإطلاق، بل كانت له وجهة نظر تثبت وجود الإله؛ وهذان الأمران هما:

الأمر الأول: أن بوذا لم يرفض الإله الذي يسألون عنه إلا لأنه هو نفسه الإله؛ يعنون أن بوذا نفسه هو الإله، وهو كان يعاني من أمرين حين يسألونه:

أ- كيف يسألونه عن الإله وهو نفسه الإله، وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقول لهم؟! إن الطريق الوحيد الذي يستطيع أن يشير انتباههم لتلك الحقيقة به إنما هو نفيه أن يكون هناك إله، وما دام وجود الإله بدهياً وضرورياً، لكن بوذا ينفي وجوده في الوقت الذي يكون هو موجوداً بينهم، فهذا يعني -وبدهياً أيضاً- أن بوذا هو الإله، ويكون معنى كلام بوذا: إنه لا يوجد إله سواي، فأنا الإله بينكم الآن، ثم سأرحل عنكم كما يرحل البشر، لكنني سأظل الإله الدائم لكم.

ب- إن بوذا بعد أن رفض وجود الإله، وصرَّح بذلك في مناظراته مع البراهمة، التي ضربنا لها مثالين، وأنكر وجود براهما الذي يؤمن به الهندوس -أو البراهميون- وهذا الذي فعله جعل أتباعه يقطعون بعدم وجود الإله بإطلاق، فأصبحت المشكلة لدى بوذا: كيف يقنع أتباعه بأن الإله موجود، وأن هذا الإله هو بوذا نفسه، وأنه أراد بنفي الإله؛ نفي أن يكون هناك إله سواه، وأنه هو نفسه الإله الذي يبحثون عنه!! هذه هي الصعوبة التي قابلت بوذا -فيما يظنه البوذيون أو بعضهم-.

الأمر الثاني: أن بوذا لم ينكر الإله بإطلاق، ولم ينكر وجوده؛ ولكنه أنكر فهم الناس للإله، فالذي أنكره بوذا هو الإله كما يفهمه البراهمة أو الهندوس، فمفهومهم للإله كان فهمًا خاطئًا، وهذا هو الذي أنكره بوذا، لكنه لم ينكر وجود الإله كحقيقة واقعة.

ولأن الأمر كذلك؛ فقد كان بوذا يسخر من كلامهم عن الإله، ومراده: الإله كما يفهمونه، أما الإله في ذاته فلم ينكره بوذا؛ لأن وجود الإله أمرٌ بدهيٌّ.

وخلاصة الموضوع: أن بوذا أنكر فهمهم عن الإله، من كونه ثابتًا في ذاته، لا تجري عليه قوانين الوجود، موجود من ذاته ولذاته.. فهذا كله أنكره بوذا.

أما الإله نفسه فلم ينكر بوذا وجوده؛ بدليل أنه كان يؤمن ببراهما، ليس هذا فحسب؛ بل كان يؤمن بالآلهة الأخرى سوى براهما، كان يؤمن بسيفا، ويؤمن بوشنو - أو فشنو - الذي يطلق عليه الهنود «كريشنا» - في غالب الأحيان - وكان يجمع مع هؤلاء آلهة ومقدسات أخرى.

عقيدة بوذا في الإله من وجهة نظر البوذيين:

يقول البوذيون: بأن بوذا لم يكن يتعرض للإله بنفي أو إثبات؛ بل كان يعترف بوجود براهما والآلهة الأخرى، لكنه كان يؤمن ببراهما على طريقتة؛ وطريقتة في فهم براهما أنه:

أ- عرضة للتغير والتبدل، وتطراً عليه أعراض الشيخوخة والمرض ثم الفناء؛ مثله في ذلك مثل جميع الكائنات.

ب- أن وجوده مثل وجود الكائنات الأخرى مستمدٌ من غيره، وليس مستمدًا من ذاته.

ج- أنه ليس كائنًا روحياً خالصاً مجرداً عن شوائب المادة؛ بل هو كائن ماديٌّ، وإن كانت نسبة المادة فيه قليلة نسبياً -أي: بالنسبة للموجودات الأخرى- وأثرها فيه ضعيف، والأثر الأقوى فيه للجوانب الروحية.

د- أنه ليس وحده مصدر المعرفة والفهم والإلهام؛ بل هناك مصادر أخرى هي مبادئ للمعرفة والوحي والإلهام، والأدل على ذلك: أن الإلهام الذي وقع لبوذا عند شجرة العرفان في هذه الواقعة المشهورة التي تكلمنا عنها، والتي ألهم فيها بوذا بالحقائق الأربع الشهيرة، والتي كانت بداية الطريق لبوذا؛ هذه الحقائق والإلهامات المصاحبة لها لم يكن مصدرها براهما الإله الذي يؤمن به بوذا، ويؤمن به البراهمة<sup>(١)</sup>.

وإنما كان لها مصادر أخرى، عاش بوذا ومات ولم يفصح عن هذه المصادر لأحد، لكن المفهوم هنا، والذي نأخذه من هذه الواقعة وغيرها: أن بوذا يعتقد أن براهما ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة والإلهامات، وليس هو الوحيد في الوجود الذي تُستمدُّ منه المعارف وتؤخذ عنه الحقائق.

### مناقشة وتعقيب:

ويظل السؤال: مَنْ غير براهما أو الآلهة الآخرين الذين هم بمثابة المساعدين

(١) «بوذا الأكبر» لحامد عبد القادر ص ٧٦.

له -مثل سيفا وفشنو- يكون هو مصدر الإدراك والإلهام والوحي بالحقائق، ومنها الحقائق الأربع التي أُلهمها بوذا عند الشجرة المقدسة، من غير براهما ومساعدته يكونون مصدر الإلهام والمعرفة؟

ولعل الإجابة هنا، والتي قد تكون بعيدة عن أذهاننا، وقد تكون كذلك مرفوضة منا، قد تكون هذه الإجابة أوضح الأمور بالنسبة للبوذيين، الذين يرون أن براهما كان مصدر الإلهام قبل مجيء بوذا، وقد يكون براهما مصدرًا للإلهام محدودًا، وقد يصدّق في إلهاماته ومعارفه، وقد يخطئ، وذلك مثلما خلق الإله سيفا لكي يعمل على تقليل أعداد الناس في الأرض حتى تسعهم، فإذا سيفا يعمل بكل قوته وإمكاناته في إهلاك الناس، ولم تكن القضية عنده أنه يعمل على تقليل الأعداد حتى تستوعب الأرض جميع من فيها؛ بل فهم أنّ عليه أن يقضي على الناس جميعًا ويخلي الأرض منهم تمامًا، ولم يكن الخطأ من سيفا بقدر ما هو من براهما؛ لأنه عندما خلق سيفا لهذه المهمة لم يُعده لها الإعداد الصحيح.

ونقول مرة ثانية: من غير براهما والإلهين الآخرين يكون مصدر الإدراك والإلهام والمعرفة إذا لم يكن هؤلاء؟

والإجابة عند البوذيين سهلة ويسيرة -كما قلنا قبلاً-: إن مصدر الإلهام والمعرفة عندهم هو بوذا نفسه؛ لأنه هو الإله، وليس براهما، ولأنه الأكثر معرفة وإدراكًا وفهماً ووعياً من براهما، وقد تولّى الأمر بعد الإشراق التي جاءته تحت الشجرة المقدسة، لقد تولّى الأمر برمته بعد أن جاءته الإشراق.

أما من أين جاءت الإشراق، وما مصدرها؟

هذه لم يُجِبْ عليها بوذا بوضوح، وإن كان من الواضح أنه كان لديه خلفية عن مصدر هذه الإشراق، وعمّن ستأتي، وإلا لما انتظرها، وإلا لم يكن عنده ذلك الإصرار الشديد في انتظارها، وكذلك لم يكن قد صدر عنه ذلك التّحدّي الصارخ الواضح من أمثال قوله: قلت لنفسي وعقلي: اسمعا، لن تبرحا هذا المكان حتى أصل إلى الحق الذي أريده.. ليَجفَّ الجلد، لتتقطّع العروق، لتنفصل العظام، ليتوقف جريان الدّم، لكنني لن أقوم من مكاني حتى أصل إلى الحق الذي أنشده.

ليس هذا فحسب؛ بل إن مؤرخي البوذية - ومنهم البوذيون المتعصبون - يقولون: إن بوذا سمع صوتاً من داخله يقول له بكل وضوح: نعم أيها الراهب، هناك في الكون حق، وعليك أن تجاهد نفسك وما حولك حتى تدرّكه، وبغير الجهاد لن تصل إلى شيء منه.

والسؤال هنا: ما مصدر هذا الصوت؟ ومن المصوّت، أو من القائل؟ لن نقول: إن بوذا كان يتخيل أو إنه وقع أسير حلم من أحلام اليقظة؛ ولو قلنا ذلك ما صدّقنا البوذيون ولغضبوا، ولن نقول: إن المتكلم هو ملك من ملائكة الإله -تعالى- الحق؛ فالبوذية -كما نعرف- مذهب إلحاديّ تحوّل إلى ديانة ضالّة وضعيّة كافرة، كذلك نحن لا نتكلم الآن في نقد البوذية؛ ولكن نتكلم عن اعتقاد البوذيين، أما انتقادنا البوذية فلّه موضعه، بعد بيان عقيدتهم في بوذا -بحول الله تعالى-.

إن عقيدة البوذيين أن بوذا الأكبر هو سليل جماعة مُميّزة من الرهبان الذين

كُشِفَ لهم عن سرِّ الوجود، وأن كلاً منهم يمثّل الإله في وقته، ويظل هو الإله طالما هو على الساحة بدعوته لم يأت من ينقضها من البوداوات، حتى يأتي بوذا جديداً فيحلّ محلّ القديم، وينتهي عهد القديم ليبدأ عهد الجديد، وظل البوداوات كذلك، حتى أتى بوذا الأكبر -سَدَّارثا- فعندما جاء هذا البوذا اعتقد أتباعه أنه ختم البوداوات، وأنه آخرهم وأفضلهم، وإليه تنتهي مسيرتهم؛ لذلك سمّوه: «بوذا الأكبر»، بينما ظهر بعد ذلك أن عهد البوداوات لم ينته وسيأتي آخر.

أما عن الأسئلة التي أثارناها فهي ذات شقّين:

**الأول:** ما كان قبل ظهور بوذا -والمراد بظهوره: هو الإشراق- أي: ما قبل الإشراق، وهذا تمثّل في أن البوداوات السابقين كانوا هم الذين يتولّون بوذا الأكبر بالرعاية، وهم الذين كانوا يوجّهون إليه الكلام والإلهامات التي سمعها قبل الإشراق، كذلك كانوا هم الذين يصنعون حوارق العادات التي يحكيها البوذيون عن بوذا بدءاً من حمل أمّه به حملاً خفيفاً لا ألم فيه ولا تعب، ثم عندما ولدته في الغابة، وساعدتها جماعات من الملائكة، وحتى الأشجار صنعت لها شبكة ظلّيلة ظلّلتها حين الولادة، فهذا وغيره يعتقد البوذيون أن البوداوات السابقين كانوا هم الذين يقومون به؛ عوناً ومساعدة لرئيسهم وكبيرهم بوذا الأكبر -سَدَّارثا- فالشقّ الأول إذاً قائم على أن البوداوات السابقين على بوذا هم الذين تولّوا بوذا جوتاما في بداية أمره قبل أن يتحوّل إلى بوذا الأكبر، وكانوا يقومون برعايته والعناية به؛ بل وإعداده لهذه المهمة الخطيرة التي هي إعداد له لكي يكون بوذا الأكبر، وهو ما وقع بعد ذلك فعلاً.

الثاني: أمّا الشُّقُّ الثاني فكان بعد ظهور بوذا وأخذِه زمام الأمور، حيث تولّى بنفسه جميع شؤونه وشؤون الدَّعوة البوذية، تلك الدعوة التي أُطلق عليها اسم «النظام» باعتبارها قواعد وأسسًا ثابتة، وقد أطلق على دعوته كذلك اسم «عجلة الشريعة» باعتبارها دعوة يسعى إلى نشرها بين الناس.

فمنذ جلس بوذا يستريح تحت الشجرة المقدسة، وهناك كُشفت له الحقائق الأربع التي بدأ بها دعوته، منذ ذلك الحين، وبوذا -سدّارثا- هو الذي يتولّى جميع شؤون البوذية، وجميع ما نراه من أمور عادية، أو أمور خارقة.

وإن كان الحق الواضح: أن البوذية التي أتى بها بوذا لم نرَ فيها أمورًا خارقة بالمعنى الذي أُلْفناه عندما ندرس الأديان الأخرى، وذلك واضح حين تعرف أن البوذية التي جاء بها بوذا لم تكن دينًا تبشّر بوجود إله يُدبّر الوجود ويُصرّف أمره؛ بل كانت تدعو إلى مذهبٍ إلحاديٍّ لا يوجد به إله، وقد مرّ بنا الحديث طويلًا عن هذا.

نعم قد نجد بعض الأمور الخارقة مثلما رأينا من كلامهم عن رئيس الشياطين «مارا» الذي جمع جنوده وحاول صرف سدّارثا عن دعوته، وحاول هو وجنوده أن يصرفوا بوذا عن عمله الذي انتدب نفسه له، لكن بوذا بإصراره واقتناعه، وثباته على أداء الرسالة البوذية التي اختير لها؛ أفسد جميع الخطط التي قام بها رئيس الشياطين وجنوده، من ثمّ انصرف «مارا» وجنوده إلى غير رجعة.

إن هذه أمور لا يقول بها إلا من يؤمنون بوجود الإله أو الآلهة، وتحديدًا من يؤمنون بعالم الغيب، وإذا نحن فتحنا هذا المجال وتكلّمنا فيه فسنجد فيه أمورًا

كثيرة لدى بوذا ولدى البوذية متضاربة ومتناقضة!!

فالمُسلّم به أن بوذا أنكر الآلهة، وجحد وجود الإله، وسخر من هؤلاء الذين كانوا يسألونه عن الإله، وسخر كذلك من البراهمي الذي كان يكلمه عن براهما، وسأله أسئلة لا تصدر إلا عن ملحد خالص كافر بوجود الإله، وقد ثبت عن بوذا أنه أنكر وجود الإله، وكفر بالهة الهندوس، وبشكل قاطع وحاسم.

ولكن من جانب آخر نجد كلام البوذيين عن بوذا يتناول قصصًا وحكاياتٍ عن عالم الغيب وعالم الجن والشياطين، ورئيس الشياطين «مارا» وعن محاولاته صرف بوذا عما فيه خير الناس، وإبعاده عن البوذية، يضاف إلى ذلك كلامهم عن الملائكة الذين ساعدوا أمه في الولادة، ثم احتفلوا بميلاده.. إلى غير ذلك من أمور لا يقول بها إلا من يؤمن بعالم الغيب وبموجودات لا وجود لها إلا في عالم الغيب والذي لا يؤمن به الملاحدة الذين ذكرنا أن سداً رثا - بوذا - منهم.

ويأتي السؤال مرة بعد مرة: كيف نوفق بين بوذية بوذا التي جاء يدعو إليها، والتي تقوم على الإلحاد؛ وبين ما ورد في ثنايا البوذية ولدى مؤرخيها البوذيين من أمورٍ لا تكون إلا في نظام يقوم على الإيمان بالغيب الذي هو رأس الإيمان بالأديان؟!!



# الفصل الثاني

## أصول البوذية

### ١- الإشراقَة - أو الحقائق الأربع:

والحقائق الأربع يمكن أن نعبر عنها بعبارة «الإشراقَة».

والحقائق -أو الإشراقَة- هي بداية الطريق الذي سلكه بوذا ليصل إلى بُؤذيتته، وهي بمثابة الخطوة الأولى في البوذية، أو الحجر الأول في بناء البوذية، الذي قام عليه بناؤها من الألف إلى الياء.

وقد شرحنا أمورًا قطعنا بها أشواطًا في البوذية، ووصلنا في كلامنا عن بوذا والبوذية حتى وفاة بوذا وحرق جثمانه، وتوزيع تراب جسده إلى جهات أربع -وقيل: ثمان وقيل: أكثر بكثير- وليس من شك في أن الحديث عن بوذا وكذا عن مراحل حياته التي تمثل التاريخ الأهم بالنسبة للبوذية، نقول: لا جدال في أن هذا أمرٌ مهمٌ، ولكن المهم كذلك -بل الأهم- إنما هو الكلام عن العقائد التي تركها بوذا، وأمر أصحابه وأتباعه باعتمادها والحرص عليها، والعيش -بل والموت- في إطارها وعلى هديٍّ منها.

وقد تكلمنا في هذا الإطار عن قضية عقدية خطيرة، نعني بها: «الألوهية» عند بوذا، وتركنا الموضوع مفتوحًا أو معلقًا؛ لأننا سنرجع إليه -بحول الله تعالى-؛

لأن له فروعاً كثيرة، وقد انقسمت البوذية بسببه إلى فرق وطوائف، نأمل في وجه الله خيراً أن يعيننا على الوفاء بحقها والكلام عنها تفصيلاً.

وسوف يكون كلامنا هنا عن الحقائق الأربع، أو الحقائق النبيلة - كما يحلو للبعض أن يسميها - والحقائق الأربع هي الباب الوحيد الذي يدخل منه المؤرّخ، وقد عرفنا من شرحنا هذا أن بوذا - سدّارثا - كان يمشي في الغابة شأن جميع المتسوّلين أمثاله، وكان يمشي تعباً مرهقاً جائعاً لا يستر جسده إلا ثوب خشن مليء بالرقع والثقوب، فيبدي من جسده النحيل أكثر مما يخفي.

وكانت حالته النفسيّة لا تقل سوءاً عن حالته الجسدية، وحين وصل به التعب منتهاه أخذ يجول فيما حوله يبحث شجرة من أشجار الغابة يلجأ إليها ليستريح من تعب، وإذا عينه تقع على إحدى الأشجار الضخمة القديمة المعمّرة، وإذا هو يجد في جذعها ما يصلح أن يكون مخدعاً يأوي إليه ليستريح من متاعبه، فاتّجه مباشرة إلى هذا المكان المريح من جذور هذه الشجرة وجلس يستريح.

أحسّ أولاً أن هذا المكان كأنه أُعِدَّ خِصِيصاً ليجلس هو فيه، وكأنه حين كان يبحث عن مكان صالح ليستريح فيه؛ كان المكان نفسه يبحث عنه ليسعد بجلوسه فيه؛ لذلك حين جلس يستريح في هذا المكان إذا هو يحسّ من داخله براحة نفسية كبيرة، ويحس كذلك بأن جسده المتعب قد استردّ عافيته وقواه المختلفة التي كان يحسّ أنه فقدتها قبل أن يجلس.

لكنه بمجرد جلوسه وشعوره بالراحة، سرعان ما عاوده التفكير الذي كان لا يتركه، ذلك التفكير في آلام الناس وشقائهم، وأحزانهم وأتراحهم: ما السبب فيها،

وما سبيل القضاء عليها والخروج منها، وما كيفية القضاء عليها، وهل تلك الآلام والمصائب وأنواع الشقاء في الدنيا حقيقية، أم أنها خيال وأوهام؟

وعند هذه الوقفة يقول المؤرخون البوذيون: إن بوذا -سِدَّارثا- سمع صوتاً كأنه يصدر من داخله يقول له:

نعم أيها الراهب المخلص؛ هناك حقائق، وهذه الحقائق واضحة تماماً، وهذه الحقائق لا يدركها إلا من جاهد وبذل في سبيل الوصول إليها، وأنت أيها الراهب قادر على إدراكها.

وعند هذه اللحظة، وبعد أن سمع الصوت الداخلي يذكر له مؤكداً شكوكه وتساؤلاته؛ أن هناك حقيقة لهذه الأفكار التي تراوده عن آلام الناس وشقائهم، عند ذلك ذهب جانب كبير من الحيرة والشكوك عند سِدَّارثا، وقال لنفسه: لن أغادر هذا المكان، ولن أقوم عن ظل هذه الشجرة المباركة حتى تنكشف لي الحقيقة التي سمعت الصوت يتكلم عنها.. يقول المؤرخون للبوذية: إن بوذا قال لنفسه وهو جالس تحت هذه الشجرة:

«قلت لنفسي ولعقلي: اسمع! لن تبرح هذا المكان حتى أصل إلى الحق الذي أريده.. ليجفَّ الجلد، لتتقطع العروق، لتنفصل العظام، ليتوقف جريان الدَّم، لكنني لن أقوم من مكاني حتى أعرف الحق الذي أنشده».

وظل سِدَّارثا جالساً مستريحاً تحت تلك الشجرة العتيقة من شجر الغابة، حتى مرَّ وقت طويل -يقدره البعض ببضعة أيام- ولكن سِدَّارثا كان يزداد إصراراً

على عدم القيام من هنا حتى يدرك تلك الحقيقة التي سمع ذلك الصوت يَعِدُّ بها، وبعد ذلك الوقت جاءت الإشراق، أو جاءت الحقائق الأربع العظيمة - أو النبيلة - التي كانت البداية الأولى لمذهبه الذي دعا إليه، لم يكن قبل هذه الحقائق شيئاً يُذَكَّر، لم يكن سوى راهب أو درفيش من المتسولين في الغابة، وما أكثرهم! لكنه لمجرد أن نزلت عليه هذه الحقائق تحوّل من «سِدَّارثا» إلى «بوذا»، كما تحوّل من مجرد متسول فقير متجوّل في الغابة؛ إلى صاحب مذهب، وصاحب طريقة في الحياة، يدعو الناس إليها، ويرغبهم فيها على أنها سبيل النجاة من الشقاء والآلام في هذه الحياة، وهي كذلك سبيل النجاة من تكرار المولد.

هذه الحقائق الأربع النبيلة - أو العظيمة - التي كانت بداية الطريق لسدّارثا، والتي حوّلت من مجرد رجل هنديّ اسمه سدّارثا إلى «بوذا» أي: الرجل المستنير الحكيم، بل إنه أضحى أكبر البوداوات، ذلك الفريق الذي ارتبط به مصير البشرية في مجتمعه الهندي، وغير الهندي بعد ذلك، والذي جاهد كل واحد منهم ليرفع عن كاهل البشرية شقاءها وتعاستها، لقد كان سدّارثا واحداً من هؤلاء، لكنه لم يقف عند هذه الدرجة، ولم يقنع بهذه المنزلة؛ بل تخطّى ذلك كله ليكون خاتماً للبوداوات في رأي البعض، وكبيراً لهم في رأي الآخرين، وليختص من دون السابقين عليه جميعاً بلقب «بوذا الأكبر». .. إن سدّارثا تحوّل إلى بوذا الأكبر، وحاز ذلك اللقب المتفرد منذ هبطت عليه هذه الحقائق عندما كان يجلس مستريحاً في ظل شجرة العرفان، أو الشجرة المقدسة التي نالت هي الأخرى تلك الألقاب العديدة العظيمة منذ كان سدّارثا مستظلاً بظلّها.

## بوذا يفضّل الخير للناس:

تقول الروايات البوذية: إن بوذا عندما هبطت عليه هذه الحقائق العظيمة في ظلّ الشجرة المقدسة؛ أخذ يفكر فيما يفعل بهذه الحقائق والمعارف التي هبطت عليه من أعلى، وقد كان أمامه خيارات كثيرة، أهمها خياران اثنان:

الأول: أن يحتفظ بهذه الحقائق لنفسه، ولا يُطْلِعَ عليها أحدًا أبدًا من الذين يحيطون به، حتى أقرب المقرّبين إليه، وبذلك يكون قد فضّل نفسه على الآخرين، وكان هو العارف المستنير من دونهم جميعًا، وبذلك يحوز الخير والفضل والمعارف، وفي نفس الوقت يريح نفسه من عناء المواقف المعاندة والمعارضة لدعواه وإصلاحاته.

الثاني: أن يُطْلِعَ الناس حوله على الخير الذي هبط عليه، وأن يبيّن للناس هذه الحقائق التي جاءت، ثم يبدأ طريق الإصلاح بهذه الحقائق ويبيّن عليها، وبذلك يرفع عن كاهل الناس جميع المتاعب والآلام التي يعانون منها، ويدلّهم على علاج الآلام، ويأخذ بأيديهم إلى النّرفانا، وباختصار يدلّهم على «النظام» الذي يمثّل جميع عناصر دعوته، وهو بذلك لن يسمح للأناية أن تسيطر عليه وتجعله يحتفظ لنفسه بهذه الحقائق، ولن يخفي عن الناس ما ألهمه من الأمور التي تجعلهم سعداء، وتنفي عنهم الشقاء والتعاسة التي تملأ حياتهم.

وعند هذه اللحظة حسم بوذا موقفه، وجعل التضحية أساس مسيرته، واختار

أن يُكاشِفَ الناسَ بهذه الحقائق، ويدعو الناسَ إليها، ولم يَخْفَ عليه ما سوف يعانیه من متاعبَ ومشاقِّ، فهناك البراهمة وأتباعهم من أصحاب الطبقات الأربع، وهناك الأمراء والكبار الذين لن يسلموا قيادهم لمتسوّلٍ فقيرٍ يوجههم كيف يشاء، وهناك غير هؤلاء كثير، لكن سِدَّارثا - بوذا - حسم أمره، وأعلن أنه سوف يواجه الناسَ بما جاءه من حقائق تحت شجر العرفان - أو الشجرة المقدسة - وسوف يجاهد نفسه والآخرين كي يعالج جميع آلام وأوجاع الناس، وهذا الذي وصل إليه بوذا - أو سِدَّارثا - لم يكن منشؤه شهوة طارئة، ولا رغبة وقتية جامحة؛ ولكن كان نتيجة لتفكير عميق تولّدت عنه رغبة صادقة وقرار حاسم قاطع لا رجعة عنه، وهذا الذي جعل من سِدَّارثا بوذا الكبير.

### شرح الحقائق الأربع:

بعد هذه الرحلة القصيرة نصل إلى أهم الحقائق التي جاءت بها الإشراقَة إلى سِدَّارثا، والإشراقَة هي الحقائق الأربع التي هبطت على بوذا وهو جالس تحت الشجرة المقدسة التي تكلمنا عنها كثيرًا.

قلنا: إنَّ سِدَّارثا كان متعبًا، فبحث عن شجرة يستريح تحتها، فوجد شجرة قديمة كبيرة قد أعدَّ تحتها مكان مريح، هناك جلس سِدَّارثا ليستريح، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يجلس فيها هذا الرجل ليستريح؛ بل فعل ذلك عشرات المرات لنفس الغرض، لكنه في هذه المرة أحسَّ حين جلس تحت الشجرة براحة كبيرة لم يشعر بها من قبل، وهذا جعله يطيل الجلوس، رغم أن إطالة الجلوس

كَيْسَتْ من شأن أمثاله، ولا هي في صالحه؛ لأن عليه واجباً تجاه نفسه، ذلك هو السَّعي على الآخرين والمرور بهم طلباً للصدقات والمنح التي يعطونه إياها، وإلا فَمِنْ أين يأكل وَيَطْعَم؟! ثم أخذته ما تشبه الغفوة، فسمع صوتاً يناجيه -أو يناديه- ويقول له: نعم أيها الراهب؛ هناك حقيقة ويجب عليك أن تتجاهد لكي تصل إليها وتعرفها قبل أن تقوم من مقامك.

هناك أصرَّ سَدَّارثا على جلستِهِ تلك، وقد عزم على ألا يقوم من مقامه حتى يحصل على هذه الحقيقة، وأمام إصراره ذلك جاءت الحقائق التي انتظرها طويلاً، تلك الحقائق التي جاءت عن طريق هاتف هتف به، أو صوت داخلي صات به، أو خيال تخيَّله، أو وهم تَوَهَّمه؛ ليس لنا أن نقطع في ذلك برأي، فكل الخيارات مفتوحة، إلا خياراً واحداً، وهو أن نعتبر ذلك الذي جاء إلى سَدَّارثا وحيًا من قِبَلِ الله -سبحانه وتعالى-، فَبِالْقَطْعِ واليقين أن سَدَّارثا لم يكن نبياً ولا رسولاً، ولا هو من هذا القبيل في قليل ولا كثير.

ومن الأمور القطعية: أن سَدَّارثا -بوذا- قد جاء بدعوة أو مذهب إلهاديٍّ كافر بوجود إله لهذا الوجود، وكان يؤكد على هذا المعنى الإلهادي الكافر القائم على أنه لا إله لهذا الوجود.. نقول: كان يؤكد على هذا المعنى بضرب الأمثلة من جانب، ومن جانب آخر كان يسخر ويتهكَّم من هؤلاء الذين يتكلمون عن وجود إله، وكان يقول: «إن الذين ماتوا لم يرجع إلينا أحد منهم ليخبرنا أن هناك إلهًا أو ليس هناك، كما أنه لم يخبرنا أحد من الذين ذهبوا بأن هناك شيئاً يجري»؛ فالفيصل في الموضوع: أن بوذا الأكبر -أو سدرارثا- إنما جاء بمذهب إلهاديٍّ يزعم فيه أنه

لا يوجد لديه في مذهبه إله، وأما براهما إله الهندوس؛ فبوذا لا يعترف به ولا بواحد من مساعديّه: سيفا، وفشنو؛ من هنا حين يحدثنا بوذا أو أحد المؤرخين لهذا المذهب أن بوذا - أو سدّارثا - قد سمع هاتفاً يهتف به، أو سمع صوتاً يقول له؛ فنحن يقيناً لا يذهب خيالنا إلى أن هذا الصوت أو الهاتف قد يكون وحيّاً إلهيّاً؛ لأن الوحي الإلهي لا يكون إلا لرسول أو نبي، وهذا - سيدهارثا - كان ملحدّاً حتى النُّخاع.

لا مفرّ لدينا من أن نعتبر هذا الصوت الذي زعمه - سدّارثا - إنما هو خيالٌ تخيّل، أو وهمٌ توهمه، وليس ببعيد أن يكون نوعاً من الخداع أو الكذب المُموّه زعمه صاحبه، ولأن البيئة التي بدأ بها دعوته كانت بيئة المتسوّلين الفقراء الجهال الذين عَشَّس الجهل والوهم على حياتهم؛ فقد كان لهذا كله تأثيره في أن صدّقوه وآمنوا به واتبَعوه، رغم ما في دعوته من سذاجة تصل إلى حد البلاهة؛ والدليل على ذلك: تلك الحقائق التي أقام عليها دعوته وزعم أنّها هي الأساس الذي جاءه إلهاماً.

والشيء الذي له وزنه في هذه القضية التي معنا: أن سدّاراتا - أو بوذا - لم يزعم أن شيئاً ما في بوذيّته أو دعوته قد جاءه - إلهاماً أو وحيّاً سوى هذه الحقائق فقط، فهو في حياته كلها - وعلى مدى أربعين سنة لم يزعم أن صوتاً ما جاءه بشيء من شؤون دعوته؛ إلا هذه الحقائق الأربع التي ادّعاها.

بعد كل هذه المقدمات نأتي إلى ذكر الحقائق الأربع المهمّة جدّاً.

## الحقيقة الأولى:

هناك ألم، فالألم موجود وله حقيقة، والمراد بالألم هنا: هو كل ما يسبب للإنسان الشقاء والآلام، وكل ما يسبب له الهموم والأحزان.

## الحقيقة الثانية:

الألم له سبب، فالآلام والأحزان موجودة، ويعاني منها كل إنسان لها سبب أو أسباب، وأسباب الآلام في جملتها تتمثل في أنواع الشهوات، ومئات الرغبات والأطماع، فكل إنسان - مهما كان مستواه أو موقعه - لديه ظمأ إلى الشهوات، ولديه رغبة في التلذذ، ولديه كذلك رغبة وطمع في إشباع شهواته وملذاته.

هذه الرغبات والشهوات ليست وليدة الأمس القريب؛ بل هي تحيا مع صاحبها سنين وأحقابًا، وهي تنتقل مع الإنسان عبر ولادات كثيرة، من ولادة إلى ولادة، ومن حياة إلى حياة، وكلما وجدت الشهوة وُجد التخصيص، والتخصيص يؤدي إلى الجهل والجهل يؤدي إلى الخطأ، والخطأ يؤدي إلى الأحزان والآلام، وهذه تؤدي إلى الشهوات.

## الحقيقة الثالثة:

والحقيقة الثالثة تثبت عن يقين أن جميع هذه الأسباب قابلة للعلاج الحاسم، وأن العلاج القاطع للألم يتمثل في القضاء على أسبابه، وفي الآمنا، فإن علاجها يتمثل في إعدام الشهوة، والقضاء على الطمع والظمأ والرغبة في الشهوة قضاء تامًا.

## الحقيقة الرابعة:

وهذه الحقيقة هي خاتمة الحقائق الأربع، وفيها بيان لكيفية القضاء على الألم والشقاء الذي يعاني منه الإنسان، وذلك بالقضاء على الشهوة قضاء تاماً، وإنما يتم علاج الألم بالقضاء عليه وعلى أسبابه، وإنما يتم ذلك بسلوك الطريق ذي الشُعَبِ الثماني.

والطريقُ ذو الثماني شُعَبٍ، وسلوكُ الإنسان إيَّاه هو السبيل الوحيد لعلاج الألم، والقضاء على أسبابه.

وهنا يأتي الكلام عن الطريق ذي الشُعَبِ الثماني، هذا الطريق الذي به يكون إعدام الشهوة، والقضاء على الجهل الذي ينشأ عنه الخطأ، وعن الخطأ ينشأ الألم والحزن.

هذه هي الحقائق الأربع التي جاء بها الهاتف -أو الصوت الخفي- إلى سدارثا -بوذا- وهو مستريح بجوار شجرة «Bo» أو الشجرة المقدسة، والتي أطلق عليها بعد ذلك البوذيون «شجرة المعرفة» أو شجرة «Bo».

ولعل القارئ قد وقع له مثل ما وقع لي، وجرى له ما جرى علي حين كنت أقرأ عن البوذية لأول مرة، وكان ذلك منذ أربعين عاماً تقريباً، وذلك حين قرأت -ضمن الموضوعات التي قرأتها عن البوذية- موضوع الإشراق التي حدثت لبوذا حين جلس يستريح تحت شجرة المعرفة، ثم جاءه صوت يقول له: «نعم أيها الراهب؛ هناك حقيقة فجاهد حتى تعرفها الآن»؛ حين قرأت هذا ثم قرأت

بعد ذلك عن الحقائق الأربع التي وصفها الكاتب بالخطيرة، ثم قرأت بعد ذلك أن بوذا أخذ يوازن: هل يحتفظ بهذا الكنز - أو هذه الحقائق - لنفسه، أو ينقلها إلى الناس ولا يكون من الأنانيين فيحتفظ بهذه الحقائق لنفسه ويحرم العالم من السعادة التي تترتب على معرفتهم هذه الحقائق. أقول: لعل القارئ لا يُصدم كما صُدمت عندما قرأت بعد ذلك عن تلك الحقائق، حيث أعددت نفسي لأسمع أخطر الحقائق وأكثرها أهمية، وإذا أنا أقرأ كلامًا هو إلى السذاجة والجهالة أقرب، وأمامك - أخي القارئ - تلك الحقائق الأربع، انظر إليها، وتبصّر فيها، وسترى أنها أمور عادية يعرفها العالم والجاهل، ويراها رأي العين كل من خبر الحياة، بل يكفي أن تذكرها لتعرف مدى سذاجتها وضحالتها، وها هي:

**الأولى:** هناك ألم.. هذه هي الحقيقة الأولى!! وهل هناك من البشر - بل ومن غير البشر - من يجهل هذا أو يعارضه، أو من يشعر حينما تُلقى إليه هذا الكلام؛ أنك ألقيت إليه شيء ذي قيمة أو عرفته شيئًا يجهله!!؟

**الثانية:** أن الألم له سبب.. وهذه الحقيقة الثانية!! هل هناك من يجهلها، ثم هل هناك مسببٌ بغير سبب!!؟ وكذلك الألم إذا كان موجودًا فله سبب.

**الثالثة:** سبب الألم له علاج.. وهذه أكثر سذاجة من الثانية؛ لأن البدهة تقول: إن كل شيء له علاج، ورسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا جَعَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا جَعَلَ لَهُ دَوَاءً؛ إِلَّا الْهَرَمَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الرابعة: وهذه الحقيقة تبين كيفية علاج الأسباب التي تسبب الآلام والشقاء في حياة الناس.

وأَسباب الشقاء في حياة الناس إنما تعالجها وتذهب بها فلسفة بوذا التي وضعها علاجًا لأسباب الآلام، وهذا إنما يتم باتباع ثمانى وصفات حكيمة قد وضعها بوذا، من أتبعها وصار على هداها، واتخذها منهج حياة له؛ فقد يقضى على أسباب الآلام والشقاء، فلا يكون في حياته ألم ولا شقاء، وإنما يتم ذلك عندما يتبع الطريقَ ذا الشُّعْبِ الثمانى - كما ذكرنا - وأتباع الشُّعْبِ الثمانى يقضى تلقائياً على الشهوات والأطماع والكبر والغرور، كما يقضى على فساد القيم، وانعدام الأخلاق السيئة، وبذلك يعيش الإنسان في سلام دائم.

هذه هي الحقائق الأربع التي جاء بها الهاتف، وألقى بها إلى بوذا، ولعل التفصيل فيها والإطالة في شرحها يعطيها أكثر من حقها، ولعلنا إذا أردنا أن نبينها على حقيقتها وجب علينا أن نذكرها كما يدعى سدارثا؛ أنها أُلقيت إليه، وهكذا كانت:

«نعم أيها الراهب؛ هناك ألم - الألم له سبب - السبب قابل للعلاج - علاج السبب باتِّباع الشُّعْبِ الثمانى».

وليس من شك في أن تصوير الحقائق الأربع بهذه الصورة التي ذكرناها يعتبر أمراً صادماً، فهذه الأمور الأربعة من السذاجة والبساطة والتلقائية، كذلك هي من البدهة والبساطة بحيث حين قلنا - ونحن ندرسها -: إن هذه هي الحقائق

التي تكلم عنها بوذا، والتي جلس يفكر طويلاً: هل يذكرها للناس أو يحتفظ بها لنفسه؟ ثم تغلب على أنانيته واختار أن يكشفها للناس، ويدعو الناس إلى الأخذ بها، والسلوك على مقتضاها.. حين قيل لنا هذا؛ فإننا قد صدمنا بشدة، فإننا انتظرنا أن تكون هذه الحقائق أموراً فلسفية أو عقديّة خطيرة، ولكنها كانت هكذا ساذجة بديهية ليس فيها ما يلفت النظر، ولا ما يشغل الفكر، ولا ما يجعل المرء يقيم لها كبير وزن بحيث يُبنى عليها مذهبٌ عاديٌّ ماديٌّ أو معنويٌّ، ولعل الذي أقام منها أساساً للمذهب البوذي، أو الديانة البوذية ليست هي تلك الحقائق التي ذكرناها؛ بل ما أحاط بها من أسس ومبادئ وأفكار، وإن كانت كلها على نفس المستوى من السذاجة والبداهة والمستوى الفكري المتدنيّ.

ولكننا لا نريد أن تلقّي آراؤنا على هذه الحقائق - المهمة جدّاً بالنسبة للبوذية ولجميع الطوائف البوذية على اختلاف مذاهبهم - لا نريد أن تلقّي آراؤنا ظلماً على هذه الحقائق، فتجرّدنا من أهميتها وخطورتها؛ لأننا نكتب عنهم، ونكتب عمّا لديهم؛ فليكن كلامنا عنهم ونقولنا ما لديهم كلاماً أميناً ونقلاً صادقاً، لا يخالطه شيء من آرائنا إلا فيما ننبّه إليه؛ فلتكن إذاً هذه الحقائق الأربع هي أخطر ما في هذه البوذية، ولتكن كذلك هي أخطر ما وقع لبوذا، ولتكن هي الطريق الحقيقي لبداية المسيرة البوذية لبوذا، ولنتقل إلى نقاط أخرى من بوذية بوذا.

## ٢- الشُّعْبُ الثَّمَانِي:

والشُّعْبُ الثَّمَانِي هي التي أشرنا إليها في أواخر المبحث السابق، وذكرنا عنها

ما ذكره سيدهارثا -بوذا- من صلة وثيقة تربطها بالحقائق الأربع النبيلة -أو المهمة- أو التي جعلها بوذا أصلاً للبوذية ودعوته.

والصلة الوثيقة التي تربط الشُّعَبَ الثَّمَانِيَّ بالأمر الأربعة -أو الحقائق الأربع- أن هذه الحقائق الأربع أشبه بتشخيص الداء، أو تحديد العلة التي ينشأ عنها شقاء الإنسان في هذه الحياة، وقد حدّدتها تلك الحقائق الأربع بأنها تَعَلُّقُ الإنسان بهذه الحياة، ورغبته في إشباع شهواته في جمع المال والغنى، كذلك في إشباع شهواته الجسمانية، وكذلك في تحقيق جميع ما يريده في هذه الحياة ومراداته ورغباته في هذه الحياة لا تنتهي.

وقد بيّن سدارثا في حقائقه الأربع أن سبيل القضاء على الآلام وأسبابها لا يكون إلا باتِّباع الطريق ذي الشُّعَبِ الثَّمَانِي، التي هي وحدها الكفيلة بالقضاء على الرغبات والشهوات التي بيّنت الحقائق الأربع أنها هي السبب في هذه الآلام وذلك الشقاء.

والمتبصّر في هذه الشُّعَبِ الثَّمَانِي يتضح له أنها هي الكفيلة فعلاً بالقضاء على أسباب الشقاء والآلام، وذلك بالنظر إلى هذه الشُّعَبِ الثَّمَانِي وتأثيرها في مسيرة الإنسان، واستقامة سلوكه، إن هو التزمها وعمل بمقتضاها.

والشُّعَبِ الثَّمَانِي هي:

- ١- الاعتقاد الصحيح.
- ٢- العزم الصحيح.
- ٣- القول الصحيح.
- ٤- العمل الصحيح.

٥- العيش الصحيح.

٦- الجهد الصحيح.

٧- الفكر الصحيح.

٨- التأمل الصحيح.

وهذه الشُّعَب نقلناها كما هي عند المؤرخين للبوذية، والذين أَلْفَنَّا منهم أنهم يكتبون عقائد البوذية كما هي عند البوذيين دون تصرُّف، حتى ولو كان التصرُّف يفيد فهمًا أو معرفة بهذه العقائد.

لكنَّ كثيرين ممن يكتبون عن البوذية يتصرَّفون في هذه الفقرات الثماني، وذلك بأن يكتبوها بألفاظ أخرى لها دلالات مختلفة نوعًا ما، لكن معانيها قريبة من هذه التي توجد في كتب البوذية، وكتابتها بألفاظ أخرى أفضل كثيرًا؛ لأنها تدل على معانٍ لها قيمة ووزن لا يوجد في الألفاظ الأصلية.

ونحن نجد الألفاظ الأصلية في الشُّعَب الثماني متداخلة، ومكررة إلى حد التطابق، ولا يحتاج الأمر إلى أن نكرر ألفاظها أو نشرحها، فهي بيّنة وواضحة، لكننا - من أجل ذلك - نكتبها نفسها بصيغة أخرى يفضِّل بعض المؤرخين للأديان كتابتها بها، وقد تكون أكثر وضوحًا ودلالة على ما قيلت من أجله، فالشُّعَب الثماني بتلك الصيغة المختلفة هي:

١- الرأي السليم.

٢- الشعور الصائب.

٣- القول الحق.

٤- السلوك الحسن.

٥- السعي الفاضل.

٦- الذكرى الصالحة.

٧- الحياة الفُضلى.

٨- الفكر الصحيح.

أما كيف تقضي هذه الشُّعْبُ الثَّمَانِي على الشقاء والآلام التي تملأ حياة الناس؛ فذلك ما يحاول الكثيرون من الذين يكتبون عن البوذية أن يوضِّحوه ويبيِّنوه، وتحديدًا فيما أسموه «إنجيل بوذا»، وهذه التسمية تدلُّ على أمرين مهمَّين: الأول: أن الكُتَّاب الذين ينقلون عن هذا الإنجيل جميعهم نصارى؛ ولذلك جمعوا ما استطاعوا جمعه من سيرة ومسيرة سَدَّارثا - بوذا - وسمَّوها «إنجيلًا»؛ تشبيهاً بالأنجيل المفتراة التي وضعوها ذاكرين فيها القصص والأساطير التي يحكونها عن المسيح عيسى ابن مريم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

الثاني: أن كل ما أوردوه عن بوذا قائم على الأساطير والروايات الكاذبة، فعلوا ذلك مع سَدَّارثا - بوذا - كما فعلوه مع المسيح - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وهذا الإنجيل الذي جمعوا فيه أخبار بوذا جُمِعَ فيه من الأفكار المتضاربة، والآراء المتناقضة الشيء الكثير، وجماع ما فعله بوذا ينحصر في الوصايا الطيبة، والسيرة الحسنة، والأعمال التي يقتدي بها الهنود المُسَالِمون، وقد مرَّ بنا نوعان من وصاياه: مرَّ بنا الحقائق الأربع، ومرَّ بنا الطريق السليم بِشُعبِ الثمانِي.

والشُّعْبُ الثَّمَانِي التي ذكرناها والتي تقضي على الألم وأسبابه، إذا تبصَّرنا فيها وجدنا كل واحدة من هذه الشُّعْبِ تقضي على جانب مهمٍّ من أنواع الشقاء وأسباب الألم، وطبعيُّ أن يكون ذلك من وجهة النظر البوذية، فبوذا كان ينفي وجود الإله، ويعاتب - بل يعنَّف - تلاميذه إذا فكَّروا في الإله، أو فكَّروا في الذات، أو فكَّروا في النَّفْس؛ وذلك كلُّه لأنه هو كان ينفي وجود الإله، وينفي وجود الذات ووجود النفس.

لذلك حين يبدأ الأمور الثمانية من شُعبه فيقول: «الاعتقاد الصحيح»؛ فنعرف مباشرة أنه يعني: أن يعتقد الإنسان بأنه لا يوجد إله، ولا توجد نفس ولا توجد ذات؛ ومن هنا يجب أن نعرف ابتداءً أن كلمة «الصحيح» التي توضع قيداً على الشُّعب الثماني - الاعتقاد، والعزم، والقول، والعمل، والفكر، والتأمل، والعيش، والجهد - هذه الشُّعب الثماني حين توصف بكلمة «الصحيح» ندرك مباشرة أنها لا يمكن أن تكون صحيحة إلا إذا كانت مطابقة لما في ذهن سدارثا - بوذا - فالاعتقاد ينبغي لكي يكون صحيحاً أن يكون معبراً عما يعتقده بوذا - كما بيّنا في المثال السابق - ومثل ذلك يقال في الشُّعب الباقية، فالعيش لكي يكون صحيحاً لا بدّ أن يكون بقدر الإمكان قائماً على التَّسَوُّل، وأن يعيش المرء لا يؤدي أحداً، وأن يكون حريصاً على ألا يؤدي بعضاً أو شيئاً من الهوام والحشرات؛ لذلك وجدنا من البوذيين من يضع على فمه «كمامة» حتى لا يخطئ وهو يستنشق الهواء أن يستنشق بعوضة أو «هاموشة» من الهواميش التي تسبح في الهواء؛ ويترتب على هذا أن كلمة «صحيح» إنما يراد بها: ما كان حسب اعتقاد بوذا الذي ألزم أتباعه به.

فالاعتقاد الصحيح عرفناه، والعيش الصحيح عرفناه، وكذلك القول الصحيح هو ما يوافق أقوال بوذا، سواء كانت هي صحيحة في نفسها أو لم تكن، والعزم لكي يكون صحيحاً لا بد أن يُقصد به: الالتزام بأقوال بوذا وأفكاره، وكذلك الفكر الصحيح، وكذلك العمل الصحيح، وجميع الشُّعب الثماني لكي تكون صحيحة يلزم أن تكون على معتقد وأفكار وآراء بوذا التي ضربنا لها أكثر من مثال، وقد عرفنا من الأمثلة أن أفكاره تختلف جذرياً عن أفكارنا وعن عقائدنا، وأن كلمة

«الصحيح أو الصحيحة» التي يطلقونها قيِّداً على كل شعبة من الشُّعَبِ الثَّماني لا تعني: الصواب الذي هو ضد الخطأ؛ لكنها تعني: أن آراء بوذا وعقيدته التي يراها هو صحيحة، وأن غيرها هو الخطأ؛ وإن خالف العالمين.

وكيفية قضاء هذه الشُّعَبِ على الشقاء والآلام؛ فذلك يقوم على تقمُّص البوذيين شخصية بوذا، والالتزام بمبادئه التي تكلمنا عنها، ورفض عقيدة الإيمان، أو رفض الإيمان بوجود إله، ورفض الإيمان بوجود النفس أو الذات، والعيش بسلبية كاملة.

وهذه الحياة بهذا الوضع الذي صوَّرنَاهُ؛ أهمُّ ما فيه: أنه يقضي على الأمل في حياة أخرى أفضل، ويقضي على الشهوة، ويقضي على الرغبة، ويجعل الإنسان يعيش كأنه ميِّت، لا أمل، لا طمع، لا رغبة، لا شهوة.. إلى آخر هذه الأشياء التي لا يحيا الناس إلا بها ومن أجلها، فيأتي بوذا ويجعلها نقيض الحياة، بل ويجعلها سبباً للشقاء والتعاسة، ويجعل سعادة الإنسان في حياته أن يعيش بلا أمل ولا رغبة ولا شهوة ولا طمع في شيء على الإطلاق، وهذا -لعمري- من أعجب الأمور، وكم في بوذية بوذا من أمور عجيبة!!

### ٣- القِيُودُ العَشْرَةُ المَعْوَقَةُ:

كان سَدَّارثا -بوذا- كثير التوجيهات، مغرماً بالتوصيات، قد ملأ مذهبه بالأوامر والنواهي، وكان ذلك بالنسبة إليه أمراً طبعياً؛ لأنه لم يكن يملك سيرة عملية يقتدي بها أتباعه، أو يسيرون على هَدْيِ أعماله؛ إذ كُلُّ ما كان يتَّسم به من

سيرة عملية إنما كان منحصراً في كونه راهباً درويشاً متسوِّلاً يحمل في يده صحيفة من خشب يتسوَّل فيها طعامه، وكان إذا انشغل بالتعليم أو التوجيه يتحمل تلامذته إطعامه ممَّا يتسوَّلونه أو يأتيهم صدقات من الآخرين.

قلنا: إن بوذا لم يكن يملك سوى التوجيهات، وإلقاء التعليمات، وكان الكثير من توجيهاته وتعاليمه جديداً بالنسبة إلى ما علِّمُوهُ قبلاً؛ لذلك كان بوذا يكرِّر تعاليمه، ويلقيها على أتباعه مراراً.

وكان المؤرخون للبوذية يطلقون على تعاليمه أسماء أو صفات يظنون أنها تعبّر عن الحقيقة بالنسبة لهذه المقولات، بينما واقع الأمر غير ذلك؛ لأن هذه المقولات لا تعبّر عن الحقيقة المطلقة التي نتعارف عليها جميعاً؛ وإنما تعبّر عن الحقيقة كما هي في عقيدة بوذا.

ويرجع الأمر إلى معتقد بوذا في هذه الجمل وهذه الكلمات عنده هو، وكما أقنع بها أتباعه، ولقد ضربنا أنفاً بمعتقدِه في عبارة «الاعتقاد الصحيح».

فهذه جملة لا ينبغي أن تؤخذ كما هي عندنا؛ لأن عقيدة بوذا الصحيحة أنه لا يوجد إله، فهو ملحد بإطلاق، وينفي وجود الإله، وينفي وجود النفس، وينفي وجود الذات؛ وهذه الثلاثة هي ما يعنّيه بأن الاعتقاد صحيح.

وهذا يعني: أن جميع البشر الذين يؤمنون بوجود إله، أو بأن لهم نفوساً، أو بأن كلاً منهم له ذات مستقلة عن ذوات الآخرين، هؤلاء جميعاً اعتقاداتهم غير صحيحة عند بوذا، أو في البوذية.

ومثل ذلك يقال عن «الفكر الصحيح»؛ إنه عند بوذا الفكر الذي يقوم على الإلحاد المطلق، فلا يكون فكرًا صحيحًا عند ذلك الذي يكون لديه إلهٌ يصلي له ويتعبَّد له، ولا يكون ذا عمل صحيح من يدخل المسجد أو الكنيسة أو المعبد، ثم إن «العيش الصحيح» - الذي هو أحد الشُّعب الثماني-: هو العيش الذي لا يعرف الإسلام، ولا يعرف حلالًا ولا حرامًا، ولا يزرع ولا يحصد؛ وإنما هو عند بوذا والبوذيين هو عيش التسوُّل في الغابات، والدَّوران على أبواب البيوت ومعهم آيتهم الخشبية يتسولون طعامهم، ثم هو الذي يقوم على أنك لا تؤذي شيئًا حيًّا أبدًا، حتى لو كان هو يسعى إلى إيذائك أو القضاء عليك، فإذا لقيت ثعبانًا أو لقيك ثعبان وأراد أن يلدغك ليقتلك؛ وجب عليك -عند بوذا- أن تفرَّ منه ولا تمسَّه بسوء.

وينطبق هذا على الذباب، ثم البراغيث، وجميع الهوام المؤذية، فيحرم عليك إيذاؤها فضلًا عن قتلها، وهذا هو المعنىُّ بالعيش الصحيح.. وهكذا جميع التعليمات التي وردت عن بوذا ينبغي أن تؤخذ بمفهومها عند بوذا.

وبذلك نكون قد فهمنا المراد من تعاليمه؛ سواء كانت قيودًا أو محرّمات ممنوعات، وبعد هذا ننتقل إلى بيان هذه بنصوصها فيما يلي -بحول الله تعالى-  
نعني: بيان القيود العشرة المعوّقة عن الانطلاق في الدّعوة.

فهنالك إلى جانب الشُّعب الثمان التي يجب على البوذي أن يؤمن بها، وأن يتَّخذها سبيلًا لحياته، والتي هي الأصل الصحيح، والطريق المستقيم لفهم الحقائق الأربع، نقول: هناك قيود عشرة نصَّ عليها بوذا، وألزم أتباعه بها،

وأوجب على كلّ منهم أن يعيها جيداً، وألا ينسى أو يتناسى واحدة منها؛ ذلك أن الواحدة التي قد ينساها تفسد عليه الأمر كله، حتى لو كان ملتزماً بالأمر الباقيات وواعياً لها.

وهذه القيود العشرة سمّاها جوتاما -بوذا- قيوداً؛ لأنها تقيّد الإنسان، بل تمنعه من الإفادة من الحقائق الأربع، ومن الشعب الثماني؛ وهذه القيود هي:

### ١ - الشك في وجود النفس، أو الوهم الخادع في وجودها:

وقد يسبق إلى الوهم أن الكلام عن الشك في وجود النفس قد يعني: أن وجود النفس أمر مؤكد لا يشك في ذلك أحد، أو لا ينبغي أن يشك في ذلك أحد.

لكن الأمر على النقيض تماماً؛ فبوذا ينفي وجود النفس، وينفي وجود الذات، وكلامه هنا أن عدم وجود النفس أمر لا ينبغي أن يشك أحد فيه، والواجب على كل إنسان أن ينفي وجود النفس، وأن يوقن بأنها غير موجودة، وأن يقطع بذلك، وأما هؤلاء الذين يشكّون في وجودها، ويتوهّمون بأنها موجودة؛ فهؤلاء لديهم قيد من القيود العشرة، ولن يصل أحدهم أبداً إلى فهم حقيقة من الحقائق الأربع؛ لأنه يشكّ في وجود النفس، أي: يظن أنها قد تكون موجودة، وهذا وهم من الأوهام، وعائق من العوائق التي تمنع الإنسان من فهم الحقائق الأربع النبيلة.

### ٢ - الشك في بوذا وتعاليمه:

وبوذا بهذا القيد يضمن لنفسه أن يتقبّل الناس تعاليمه ووصاياه الكثيرة التي لا تكاد تنتهي بالتسليم الخالص، والتصديق الذي لا يداخله شك ولا ريب، بل

دون تردّد، وإذا كان الهنديّ له طبيعة خاصة دون العالمين، تلك الطبيعة السلبية والهدوء القاتل، وتقبّل ما لا يُقبّل دون مقاومة؛ لذلك فإن بوذا يؤكد على هذا المعنى بحيث يقبل أتباعه وصاياه وتعاليمه بالاستسلام الكامل، والرضا التام، وذلك واضح من قبولهم نفيه للإله، وللنفس وللذات.

### ٣- الاعتقاد في تأثير الطقوس والتعاليم الدينية:

وهذا القيد عجيب وغريب؛ لأن البوذية لها طقوس، وهي الآن دينٌ، لكن بوذا لا يُقرُّ بأنه أتى بدينٍ، ولا يعترف بالإله ولا بالنفس أو بالذات.

ولذلك نفى عن نفسه تهمة أن يكون جاء بدينٍ، أو جاء بنظام له طقوس وأحكام، ثم هو لم يُرد بهذا النفي إلا الأديان المختلفة كالهندوسية أو البرهمية ثم الجينية، ثم عبّاد الأوثان من طائفة المنبوذين في الهند.

وهذا القيد يؤكد ما كرّرناه وقرّرناه من أن بوذا ينكر الألوهية، وينكر الأديان جميعها ولا يُقرُّ بدينٍ منها ولا يعترف به.

### ٤- الشهوة:

والشهوة: أن يشتهي الإنسان ويتمنى ما ليس له، وما هو من ملك غيره، مُتمنياً أن يكون ذلك من ملكه هو، دون وجه حق؛ والشهوة أعمُّ من أن تكون مادية، وذلك مثل: أن يرى عند أحد من الناس مالا، أو عقارا، أو مركبا فارها، أو دارا واسعة جميلة فيتمناها ويشتهيها لنفسه، فهذه شهوة مادية. أو معنوية مثل: السُلطة، ومثل: المنزلة العلمية والجاه، وحب الناس... إلى آخر هذه الشهوات

التي تدفع المرء إلى التعدي على الآخرين أو تمنّي أن يفعل ذلك.

#### ٥- الكراهية والحقد:

وتلك - أيضًا - من آثار التّعدي على الآخرين؛ لأن من يكره ويحقد لن يفعل ذلك في فراغ؛ بل سوف يكره إنسانًا مثله ويحقد عليه.

#### ٦- الغرور:

وذلك سببٌ من أسباب الكراهية والحقد الذي مرّ علينا قبلاً؛ فالمرء يغترُّ ويتعالى على إخوانه بسبب ظنّه أنه أفضل منهم، وأولى منهم بما هم فيه، وتلك من أهم أسباب الخلاف بين الإخوان.

#### ٧- الجهل:

وذلك أصل كل بلاء، والجهل نوعان: جهل الإنسان بنفسه، وذلك أخطر النوعين، ثم جهل الإنسان بالآخرين والظروف المحيطة، والجهل المهم عند بوذا هو الجهل بالحقائق الأربع التي عرفها تحت الشجرة.

#### ٨- الكبرياء:

والكبرياء تعني: احتقار الآخرين والتّعالي عليهم، وذلك ممقوتٌ في كلّ مذهب ودين، فالكبرياء أو التكبر يعني: تحقير الآخر وازدراءه.

#### ٩- الرغبة في البقاء المادي:

وهذا يعني: حب هذه الحياة والرغبة فيها، ويعني بالتالي: احتقار الانطلاق،

واحتقار العقيدة الأساسية لدى الناس جميعاً - الهنود - القائمة على أن الحياة شرٌّ وآلامٌ، وأنَّ سبب ذلك كله منحصر في تكرار المولد، والبقاء في هذه الحياة.

#### ١٠ - الاعتداد بالبرِّ الذاتيِّ:

وهذا يعني: قمة الغرور والكبرياء والجهل؛ إلى أمور ممقوتة أخرى كثيرة تقوم على أساس أن الإنسان بمفرده قادر على أن يَعْبُرَ هذه الحياة بما فيها من شقاء وألم وتعاسة بمفرده، بعيداً عن تعاليم بوذا، وأنَّ الإنسان ليس بحاجة إلى بوذا أو تعاليمه، وبخاصة الحقائق الأربع الكبرى التي هي أساس تعاليم بوذا.

هذه هي القيود العشرة التي نَبَّهَ إليها بوذا، وهي التي تمنع الإفادة من تعاليمه التي يظن هو أن الحياة بدونها مستحيلة، وأنه قد حلَّ لها مشكلات الحياة.

وقد عرفنا أنَّ بوذا كان على اعتماد كامل في مذهبه الإلحاديِّ الذي جاء به على النصائح والتوجيهات والتعليمات بحيث يصعب ملاحظته، وتصعب إحصاءات هذه التعاليم، التي تنتقل بعد التعليمات التي أطلقنا عليها قيوداً إلى التعليمات الأخرى التي يطلقون عليها «مُحَرَّمات».

#### ٤ - الوصايا العشر المحرَّمات:

قلنا آنفاً، ونذكّر دائماً بأنَّ بوذا كان دائماً يُلقِي تعاليمه التي لم يكن لديه سواها، وهو قد ملأ بوذيّته بقواعد وتعاليم لم يكتبها؛ وإنما كتبها تلامذته الذين اقتنعوا بهذه التعاليم، حتى ما كان منها مناقضاً للطبيعة والفترة الإنسانية، وذلك

مثل: إنكاره وجود النفس والذات، ومن قبلها أنكر وجود الإله، ولكن أتباعه لم يجادلوه في شيء؛ بل كانوا يأخذون تعاليمه قواعد مُسَلِّمة؛ مما جعله يُغرق في هذه الأوامر والنواهي.

ونحن هنا نذكر ما اشتهر في تاريخ البوذية بالمحرّمات العشر؛ وهي عشرة أمور حرّمها بوذا على أتباعه، وهي:

### ١- يجب ألا تقضي على حياة:

وهذه أول الأمور المحرّمة، وبوذا لم يخترعها من عنده؛ بل هي موجودة عند الكثيرين من الرهبان الذين يمشون في الأدغال ويتعيّشون على التّسوّل، فليست خاصة بالبوذيين؛ بل إن بعض الدراويش أو الرهبان يفعلون ما لا يكاد يصدّق تطبيقاً لهذه التوصية التي لم يأخذوها عن بوذا، لكن ذلك طبعٌ فيهم.

فمنهم من يضع على فمه وأنفه كمامة خوفاً من أن يتلع شيئاً من الحشرات التي لا تُرى - ناموسة أو أصغر - فإذا ابتلعها وهو يتنفس فإنها تموت، وهذا ما يحاول أن يتلافاه؛ وذلك طبعٌ فيهم وليس لأن بوذا أوصى به أو حرّمه.

ومنهم من يمسك بمكنسة يكس أمامه الأرض قبل أن يخطو عليها، وهكذا خطوة خطوة يكس؛ خشية أن يطأ برجله حشرة ليست مرئية منه، فيكون سبباً في موتها.

المهم أن هذه التوصية طبعٌ فيهم - في الهنود - حتى ولو لم يكن بوذاً.

## ٢- يجب ألا تأخذ جميع ما يُعطى لك:

وهذه توصية تكاد تكون خاصة بالرهبان؛ لأنهم هم الذين يتعيّشون على ما يُعطى لهم، ولأنّ كلّ واحد منهم يحمل معه صحيفة -صحناً- من خشب يُمُدُّه في وجوه الذين يقابلونه طالباً الطعام، ولكن بوذا يوصي هؤلاء بالألا يأخذوا جميع ما يُعطى لهم، فتكاد هذه الوصية أن تكون وصية بالقناعة، فمن لم يكن جائعاً لا يأخذ شيئاً، وإذا قدّم له فوق ما يكفيه فليقنع بالقليل، ويعتذر عما زاد على حاجته.

## ٣- يجب ألا نقول ما هو غير صحيح:

وهذه وصية بالصدق وتحريم الكذب، شريطة أن تكون عارفاً بالصحيح، لكنك تتعمّد الكذب.

## ٤- يجب ألا تستعمل شراباً مسكراً:

وهذه وصية بالبعد عن الخمر، وعن كل شراب مسكر، وذلك صعب جداً بالنسبة للهنود؛ الذين تدرّبوا وتعودوا شرب المسكرات بأنواعها، الأثرياء لهم الشراب مرتفع الثمن، أما الفقراء فلا يعدمون شراباً رخيصاً يحتفظون به حتى يتخمّر ويقذف بالزبد، ثم يشربونه.

## ٥- يجب ألا تزني، أو: يجب ألا تباشر علاقة جنسية محرّمة:

وهذا نهى عن الزنى أو إتيان العلاقات الجنسية المحرّمة، وكأن العبارة الثانية شرح وتوضيح لكلمة «الزنى»، وكأن واحداً سأل: ما المراد بالزنى؟ فقيل: العلاقات الجنسية المحرّمة.

لكن يأتي هنا الكلام عن التحليل والتحريم، حيث البوذية - كما تكلمنا عنها كثيراً - هي مذهب إلحاديٍّ وليست ديناً، وحيث إن بوذا كان ينكر وجود الإله، بل ويعتف من يسأله عن الإله؛ لذلك يأتي السؤال حين يُذكر في الكلام الحلال والحرام، مثل هذه التي معنا الآن، فيكون السؤال: من الذي يُحل ومن الذي يُحرّم؟! إن الحلال والحرام أمور خاصة بالأديان؛ حيث إن الإله في كل دين - حقاً كان أو باطلاً - هو الذي يحرم وهو الذي يُحل، لكن إذا كانت البوذية بلا إله، لا يوجد بها إله، ولا تعترف به؛ فكيف يقال فيها: هذا حلال وهذا حرام؟! لم يبقَ إلا أن يقال: إن بوذا نفسه هو الذي يقرر ما هو الحلال وما هو الحرام، لكن هذا مقبول في الأمور المادّية؛ كالخمر، والكذب لكن الزنى وغيره لا يفهم حلّه وحرمة إلا من خلال الدّين، أما في المذهب الإلحاديّ كالبوذية فأمرٌ لا يفهم.

٦- يجب ألا تأكل في الليل طعاماً نضج في غير أوانه:

وهذه - كما يبدو - تجربة شخصية؛ لعل بوذا مرَّ بها، فأكل بالليل طعاماً غير ناضج فأحدث له ألم، فنصح أتباعه أن يتعدوا عن الطعام الذي نضج في غير أوانه.

٧- يجب ألا تكلّل رأسك بالزهر، أو تستعمل العطور:

وهذه نصيحة بتحريم التّباهي والتّفاخر، وأن يعيش المرء عيشة متواضعة.

٨- يجب ألا تقتني المقاعد والمساند الفخمة والأثاث المزركش:

٩- يجب ألا تقتني ذهباً ولا فضة:

وهذان الأمران - الثامن والتاسع - يرجعان إلى ما ذكره بوذا قبل ذلك من

القيود العشرة، وتحديدًا إلى رقم سبعة ورقم ستة، وهما: الغرور، والكبرياء؛ فنَّبَه بوذا هناك في القيود العشرة على الغرور والكبر، باعتبارهما قيدين يمنعان من السكينة والهدوء، ويمنعان من الوصول إلى حالة النِّرفانا التي سنشرحها بعد ذلك - بحول الله تعالى -.

### ١٠ - يجب ألا تحضر حفلة رقص أو غناء:

ذلك لأن حضور مثل هذه الحفلات مدعاة للوقوع في الكثير من الأمور التي حرَّمها بوذا، فحاضرُ هذه الحفلات لا يسلم من الوقوع في الشراب المسكر، ولا يسلم من البحث عن اللباس الفاخر، وعن لبس الذهب والفضة، وعن أكل جميع ما يقدِّم له، ثم لا يسلم من الوقوع في الزنى، فيكون حضور هذه الحفلات بابًا يدخل على صاحبه جميع المحرِّمات أو الكثير منها.

وعلى كلِّ حالٍ فهذه هي المحرِّمات، أو هي الأمور التي اعتبرها مؤرخو البوذية أمورًا حرَّمها بوذا على أتباعه، وقبلها كانت القيود العشرة التي يُعتبر كل منها قيدًا على أفعال البوذي.

وقبل القيود كانت الشُّعب الثماني، وقبل الشُّعب كانت الحقائق الأربع النبيلة، ولكن بعد ذلك يأتي الكلام - بحول الله تعالى - عن النِّرفانا التي تعتبر مكافأة لمن التزم بهذه الأمور كلها.

### ٥ - النِّرفانا:

على خُطى اللامعقول، واللابدهي، واللافتري؛ أي: على خُطى الفكر

البوذي الذي يخالف العقل، ويخالف البدهاة، ويخالف الأمور الفطرية؛ جاء كلام بوذا عن شيء أطلق عليه «النرفانا».

والنرفانا معروفة في الفكر الهندي، بأنها حالة من السكون المطلق، والهدوء المطلق، وهي حالة من السكينة والنور والهدوء يعيشها الهندي في كنف الآلهة، وهذه الحالة إنما يصل إليها الهندي حين يصل إلى التوازن النفسي، بحيث لا تتكرر ولادته، ولا يكون ثمة عليه سلطان للكارما، وحال كهذه هي أقصى ما يتمناه الهندي حتى ولو لم يكن هندوسياً، أو كان ملحدًا لا يدين بدين، كل هؤلاء يعرفون النرفانا ويتمنونها لأنفسهم، ويتمنون الحصول عليها.

لكن بوذا -كشأنه في كل أو جُل قضايا البوذية- مذهبه الذي جاء به يخالف جميع ما تعرّف عليه الناس من جانب، ومن جانب آخر يأتي بأمور تناقض البدهاة والفطرة، بل وتناقض العقل بكل وضوح، ويُلزم أتباعه بالتسليم بكل ما يأتي به، وهكذا كان شأنه فيما أطلق عليه «النرفانا»، فهو يُعرّف النرفانا التي يقصدها ويعنيها بأنها:

«طَوْرٌ لا أرض فيها ولا ماء، لا نور ولا هواء، ليس فيها مكان غير مُتَنَاهٍ، ولا عقل غير مُتَنَاهٍ، ليس فيه خلاء مطلق، ليس فيه ارتفاع الإدراك واللا إدراك معًا، ليس هو هذا العالم أو ذاك العالم، ليس فيها شمس ولا قمر، ليس فيها مجيء ولا ذهاب ولا وقوف، ليس فيها ولادة ولا موت.. النرفانا هي من غير أساس، من غير مرور، من غير انقطاع، هي طَوْرٌ لا حزن فيه ولا فرح، لا علو فيه ولا

انحطاط.. إن النرفانا نهاية الأحزان، نهاية الطلب، نهاية الطمع والحاجة»<sup>(١)</sup>.  
 هذه هي النرفانا، كلُّها معانٍ متضاربة، متناقضة، الرجل الذي تكلم عنها  
 واضح أنه مضطرب الفكر لا يدرك ما يقول، وإن كان قد قال شيئاً فالذي قاله  
 كلام لا يفهم ولا يعقل، وواضح أنه تعمّد أن يقول كلاماً لا يعقل؛ إما أنه لا يعقل  
 ما يقول، وإما أنه يفهم جيداً ما يقول ولكنه تعمّد أن يورّي ويخلط بحيث لا يعقل  
 الناس ما يقول.

ومن المعلوم: أن كلمة «النرفانا» ليست من اختراع بوذا أو من وضعه؛  
 ولكنها معروفة قبل بوذا بزمان، ولكن لها في كل مرحلة مرت بها معنى قد يختلف  
 عن معانيها السابقة أو اللاحقة، بل إن هناك من الفلاسفة من زعم أن معانيها  
 كاملة فيها لا تدرك، وأن بوذا هو الذي فهم معناها بمفرده، ولكنه لسبب ما رفض  
 -عامداً- أن يشرح معناها؛ لذلك إذا كان بوذا نفسه لم يشرح النرفانا ولم يبين  
 معناها فإننا لن نفهمها.

وينبغي علينا ألا نتعب أنفسنا بمحاولة فهمها؛ لأنها لا تفهم، بل إن كل اللغات  
 البشرية ليست قادرة على شرح معنى النرفانا، يؤول الأمر إذاً إلى أنها لا يمكن أن  
 تفهم، وأنها كلمة كانت وسوف تظل مبهمة، ولا سبيل إلى فهم ما تعني.. ليس  
 هذا كلامنا؛ لكن الذي يجعل له ثقلاً، ويجعله حقيقة من الحقائق التي لا يجادل  
 فيها أحد؛ أنه كلام عالم وباحث هندي يدرك حقيقة ما يقول، يقول ذلك العالم:  
 «إن بوذا رفض عامداً أن يشرح النرفانا.

(١) العالم رادا كرشنن في بحث له بمجلة «ثقافة الهند» ديسمبر ١٩٥٢م.

ولهذا فلا يجدي نفعاً أن نبذل الجهد في محاولة فهمها؛ لأن سبيل فهمها متوقف على أن يشرحها هو، وإذ لم يشرحها هو فإن لغات العالم ربما لن تستطيع شرح معنى الترفانا<sup>(١)</sup>.

ولقد سبق وبيننا أن نفس الكلمة «الترفانا» كلمة قديمة في التراث الهندي، ولكنها مرت بمراحل عديدة، وفي كل مرحلة كان لها معنى خاص بها، ويمكن أن نقول: إن الكلمة لها نوعان من المعاني:

**الأول:** معنى عام يعطي انطباعاً مُبهماً بالسعادة والراحة النفسية؛ وهذا المعنى العام إنما يتحقق في الثقافة الهندية حين يتخلص الإنسان من تكرار المولد، الذي هو أسمى ما يأمل فيه الهندي، وقد يتحقق هذا في ثقافة الهند بمنزلة أسمى من التخلص من تكرار المولد، تلك المنزلة هي الاتحاد ببراهما في الهندوسية، أو الاتحاد بالآلهة أيًا كانت؛ وبصورة عامة فإن الكلمة -الترفانا- تعطي انطباعاً -كما ذكرنا قبلاً- بالسكينة والسعادة النهائية.

**الثاني:** معنى خاص، وهذا المعنى الخاص يتغير ويتحور تبعاً لأمر كثيرة؛ أهمها عقيدة القائل ودينه أو مذهبه الذي يعتنق، وكذلك ظروف البيئة التي يعيش فيها، ونوع الثقافة التي يتبناها. كل ذلك له تأثير في معاني الكلمات، وبخاصة تلك التي تتصل بالمصطلحات الدينية أو المذهبية.

لذلك قلنا: إن الكلمة -الترفانا- مرت بمراحل كثيرة، وكانت في مراحلها

(١) العالم رادا كرشنن في بحث له بمجلة ثقافة الهند ديسمبر ١٩٥٢ م.

التي مرت بها؛ لها صداها الطيب في نفوس الهنود، حتى بوذا نفسه مرت هذه الكلمة بعدة مراحل عنده وفي حياته المتطورة وعقائده غير الناضجة، لكنها كانت دائماً ذات مردود طيب عنده.

ففي بداية الأمر كانت النّرفانا عند بوذا تعني: التخلص من تكرار المولد، ثم الاندماج والاتحاد بالإله - أيًا كان ذلك الإله - فكانت النّرفانا تعني عند بوذا - في بداية أمره - الاندماج في الإله والفناء فيه، ولكن بوذا بعد أن أصبح له أتباع، واتّسع مدى أفكاره، واعتنق الكثيرون مذهبه؛ تغيرت أفكاره جذرياً، ثم أنكر وجود الإله، وأخذ يسخر من الذين يقولون بالله، ويعتقدون في وجوده، ولقد مرّ بنا آنفاً القول بأن بوذا جاء بمذهب إلحاديّ ينكر وجود الله، ويبقى السؤال حول معنى «النّرفانا» بعد أن كفر بوذا بالإله، ولم يعد مؤمناً به.

إن بوذا بعد أن نضح مذهبه الإلحاديّ، واستقر الأمر عنده على أنه لا إله، فأنكر وجود الإله. يأتي السؤال هنا عن معنى النّرفانا وماذا يراد بها عند بوذا.

إن النّرفانا عند بوذا بعد أن أنكر وجود الإله، أضحت تعني واحداً من أمور كثيرة، وقد تعني أكثر من أمرٍ في الوقت ذاته؛ هذه الأمور هي:

أولاً: أن يعمل الفرد على الوصول إلى أعلى درجات التجرد من الشهوات، ومن الرغبة في استمرار الحياة أو الوجود الدنيوي، وأن يفقد الرغبة المادية في الأغراض الحياتية التي يرغب فيها الأفراد، وأن يفقد الحاجة إلى إشباع الشهوات الدنيوية لنفسه، كما يفقد الرغبة في فعل الخير أو الشر، وبصورة موجزة أن يحيا

كأنه ميت، لا رغبة له ولا شهوة، ولا يرجو الخير أو الشر. هنا يكون الإنسان قد حصل النِّرفانا ووصل إليها.

ثانياً: أن يكون الإنسان قد نجا من تكرار المولد، وتخلَّص من الحياة نهائياً، وضمن أنه لن يعود إلى الحياة مرة أخرى، وبذلك لا يكون للكارما سلطان عليه، ولا مقدرة لها على أن تعيده إلى الحياة مرة أخرى، بذلك يكون الإنسان قد وصل إلى النِّرفانا؛ وذلك بتخلُّصه من الحياة، ومن تكرار المولد، ومن الكارما، ونجاته من هذا الثلاثيِّ يجعله في قمة الصفاء والهدوء والنقاء.

ثالثاً: أن يصل الإنسان البوذي إلى المرحلة التي سبق ووصفنا فيها النِّرفانا، على الهيئة التي وصفها بها بوذا في كلامه عنها، ذلك الكلام الذي يتنافى مع العقل والبدية، والذي يُبْتَّ فيه الضَّدَّان، ويُتَفَى فيه النقيضان، ولا يقول به عاقل، والذي بسببه ذهب الكثيرون إلى أن النِّرفانا أمر صعب الفهم، صعب الإدراك، إلى الحدِّ الذي نادوا فيه بعدم محاولة فهمها، حيث إنها خفيةٌ إلى الحد الذي يجعل كل جهد مبذول لمحاولة فهمها جهداً ضائعاً لا طائل وراءه، والمثال على ذلك: رأيُّ العالم «رادا كرشنن» الذي أشرنا إليه آنفاً.

لكننا نستطيع بعد هذه الرحلة التي نشعر بأنها رحلة لا فائدة تُرجى منها؛ نقول بأننا نستطيع أن نختصر الكلام عن النِّرفانا في أمرين اثنين، مع استطاعتنا كذلك أن نرجح ما يراود بها لدى القوم الذي يدينون بالبوذية، وليس لدينا لأننا - ببساطة شديدة - لا نعترف بالبوذية إلا أنها مذهب إلهاديٌّ كما هو أصله عند أقوام، ودينٌ وضعيٌّ لدى أقوامٍ وشعوبٍ آخرين.

وأهم ما تعنيه الترفانا عند البوذيين بعد هذه الرحلة التي بيننا فيها مواقف الأقسام منها، وبيننا كذلك أن هذه الكلمة بما تعنيه مرت بمراحل عديدة قبل بوذا في الثقافة الهندية، ثم مرت بمراحل لدى بوذا نفسه قبل أن يستقر به الأمر على الإلحاد وإنكار وجود الله.

نقول: أهم ما تعنيه هذه الكلمة لدى البوذيين أمران:

١- أمرٌ يحدث للفرد في هذه الحياة -أي: وهو حيٌّ- وذلك بأن يتسم بالصفاء النفسي، والهدوء والسكينة، وذلك يتم له عن طريق إماتة شهواته، والقضاء على رغباته، والتخلُّص من جميع أهوائه وآماله وأغراضه، ولا يكون له هدف في الحياة يسعى إلى تحقيقه، وليست له رغبة في فعل الخير أو الشر، وبإيجاز شديد: يحيا كأنه ميت، هنا يكون قد وصل إلى الترفانا، وتكون الترفانا هنا هي والسكينة والهدوء وانعدام الشعور العام شيئاً واحداً.

٢- أن الترفانا -على عكس الأمر الأول- لا تحدث في هذه الحياة؛ ولكنها تحدث بعد الموت، فهي إذاً التخلُّص من تكرار المولد، والتخلص بالتالي من الكارما، وذلك أمر قريب جداً من كل ما ذكرناه في الهندوسية من النجاة، فالنجاة في الهندوسية هي نفسها الترفانا في البوذية، ولا تختلف البوذية عن الهندوسية هنا إلا في شيء واحد، لكنه على جانب كبير من الأهمية؛ ذلكم هو «الاتحاد بالإله».

فالهندوسية تعني النجاة فيها ثلاثة أمور:

أ- التخلُّص من تكرار المولد.

ب- بالتالي تتخلص من سيطرة الكارما.

ج- ثالث الأمور هو الاتحاد بالإله براهما؛ فهو عندهم الأصل الذي انفصلت عنه النفوس، وهو المصير الذي تعود إليه عند النجاة.

أما البوذية فالترُفانا عندها تشبه النجاة في كل شيء سوى الاتحاد براهما؛ لأن البوذية ليس فيها إله؛ بل هي مذهب إلهادي؛ ولذلك فهي تتفق مع الهندوسية في أمرين من ثلاثة:

الأول: أنها تتخلص من تكرار المولد.

الثاني: أنها تتخلص من سلطان الكارما.

وليس فيها اتحاد بالإله - لا براهما ولا غيره- لأن البوذية تنكر الإله؛ لذلك قلنا: إن البوذية تتفق مع الهندوسية في أمرين من ثلاثة.

## ٦- ناموس الطبيعة:

سبق في المبحث السابق وبيّنا المراد بالترُفانا، وبيّنا اختلاف الباحثين حول المراد بها، واختلافهم كذلك حول وقوعها أو حدوثها، هل تحدث في هذه الحياة أو تحدث بعد مفارقة هذه الحياة؛ كذلك اختلافهم حول أقوال بوذا في ناموس الطبيعة، وزعم جماعة من الباحثين أن فهم المراد من الترُفانا أمرٌ مستحيلٌ ما دام بوذا لم يفسرها وبيّن معناها.

ومثل ذلك يقال في جميع أقوال بوذا؛ حيث كان بوذا يختلف عن الدعاة أمثاله

-سواء من سبقوه أو من جاءوا بعده- بأمرٍ:

الأول: كثرة أقواله وحكاياته، وتجديدًا المصطلحات التي يخترعها ويبتدعها دون أن يكون لها سابقة عند غيره، ورغبته الشديدة في أن يكون مميزًا عن الآخرين ومختلفًا عنهم، وبخاصة فيما اشتهر عند العامة منهم.

الثاني: غموض المعاني التي يريد لها من مصطلحاته، أو العقائد التي يريد لها وينشرها بين الناس من أتباعه، إلى الحد الذي يجعل الكثير من معاني عقائده مغلقة بعيدة عن الفهم.

الثالث: رغبته الشديدة في مصادمة أفكار الآخرين التي هي من المسلّمات عندهم، وذلك كمثل إنكاره وجود الإله، وإنكاره وجود النفس، وإنكاره وجود الذات الإنسانية، رغم أن الكثير من العقائد الأخرى في مذهبه إنما تُبنى وتقوم على هذا الذي ينكره، وذلك كمثل عقيدته في التناسخ، حيث يؤمن بالتناسخ، وأن المرء يولد مرات عديدة، كلّما فني جسده دخل جسدًا جديدًا، وهذه العقيدة تقوم أساسًا على وجود النفس، فالنفس خالدة، والأجساد فانية، وكلما فني جسد؛ خرجت منه النفس ودخلت جسدًا آخر في بطن امرأة حامل، ويولد الجسد الجديد لكن فيه النفس القديمة... وهكذا.

نقول: إن هذه العقيدة التي يؤمن بها بوذا لا تقوم إلا على أساس من وجود النفس، لكن بوذا يجبر الناس ويجبر أتباعه على إنكار النفس، وإنكار الذات، ويتكلف تكاليف غريبة وعجيبة ليثبت التناسخ، وينكر النفس في ذات الوقت، وقد سبق وبيننا ذلك في موضعه من البحث.

من هذه العقائد التي تكلم عنها بوذا، وألزم أتباعه بها، وهي في نفس الوقت لم يتضح معناها في أذهان أتباعه: عقيدته التي نتكلم عنها هنا، نعني:

عقيدته في: «ناموس الطبيعة»، ومعنى ناموس الطبيعة يلخصه قوله:

«إنَّ ناموس الطبيعة هو كل شيء، وغيره لا شيء، ومن سنته -أي: من طبيعته- أنه لا شيء في الوجود يدوم على وضعه، أو يبقى على حاله؛ بل من طبيعة ناموس الطبيعة: أنه لا يدوم العذاب عند من يعاينه ولا يدوم النعيم عند من يتمتع فيه، فلا يدوم نعيم، ولا يدوم عذاب؛ بل ينتقل الإنسان من النعيم إلى الشقاء، ومن الشقاء إلى النعيم، ووسيلة الانتقال هي التناسخ، فالإنسان ينتقل عبر التناسخ من حال إلى حال.

والمهم أنه ما من حال تدوم أبداً، فالشقاء والنعيم زائلان أخيراً، فلا شيء يدوم، لا شقاء ولا نعيم، والدائم هو السكون المطلق الذي يؤول إليه كل شيء، والذي هو عاقبة كل شيء.

ثم إن ناموس الطبيعة يتولى الجزاء على الأعمال، فهو يعاقب المسيئين إلى الآخرين، وبالمثل يجازي المحسنين إحساناً.

ثم إن ناموس الطبيعة لكونه يحاسب الناس على أعمالهم، فيجازي المسيء على إساءاته، والمحسنين على إحسانهم؛ لا ينبغي أن نفهم من هذا: أنه يخضع لقوة عليا تُسيطر عليه وتُسَيِّرُه، وتدفعه إلى مجازاة كل بما يستحق، لا ينبغي أن نفهم هذا؛ فليست هناك قوى عليا تسيطر على ناموس الطبيعة؛ وإنما هو المُسيطر

على كل شيء؛ لذلك ينبغي أن نفهم أن ناموس الطبيعة لا يخضع لقوة عليا، ولا تسيطر عليه ذات مقدّسة، إنه لا يتأثر بمؤثر بشريّ، ولا يتأثر بمؤثر إلهيّ، وقد سبق أن عرفنا أن البوذية لا تعترف بوجود إله، فالإله الذي يدين له الناس، ويزعمون أنه موجود هو خرافة لا حقيقة له عند البوذيين.

وإذا كان النعيم والشقاء لا يدومان إلى ما لا نهاية؛ فينبغي أن نعرف أن دوامهما أو انتهاءهما يتوقف علينا نحن؛ على الناس، وعلى تصرّفاتهم وسلوكياتهم، فالذي يستطيع أن يقهر شهواته، ويسيّطرها عليها، ويقضي على أهوائه ورغباته الدنيئة؛ هذا قادر على أن يعجّل بزوال عذابه وشقائه، وقادر في الوقت نفسه على القضاء على ناموس الطبيعة، وعلى سيطرته عليه.

إن عناية الإنسان بالآخرين، وبذلك الاهتمام بهم، والانشغال بشؤونهم، وبذلك الجهد في خدمتهم ورعايتهم على قدر المستطاع يعجّل بانتهاء شقائه، وسيطرة ناموس الطبيعة عليه... أمّا الذين لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يلقون بالآ إلى الآخرين الذين يعانون شقاء الحياة، ومشقات المعيشة؛ زاعمين لأنفسهم أنهم لا شأن لهم بالآخرين، وأن النعيم الذي يعيشون فيه إنما هم الذين صنعوه باجتهدهم، وهؤلاء الآخرون قد استحقوا الشقاء والآلام في هذه الحياة نتيجة سوء تصرفاتهم، وأن ذلك يوقعهم تحت سيطرة ناموس الطبيعة، ومجازاته لهم بالشقاء والتعاسة؛ نتيجة عدم اهتمامهم ورعايتهم بالآخرين، وبذلهم الرحمة والعطف والمرحمة لهم».

هذا ناموس الطبيعة كما تصوّره خطب ومواعظ وأقوال بوذا.

وقد ذكرنا أنّ بوذا كان كثير المواعظ والأقوال، يساعده على ذلك طبيعة الهنديّ التي تُؤثّر السّلامة والسليّنة وأتباع الآخر دون أن يكلف نفسه عناء المناقشة أو البحث عن الحقيقة.

### ٧- التناسخ:

أشرنا قبل ذلك إلى أن بوذا -وأتباعه من بعده- قد عانى من تناقضات خطيرة في مذهبه، وكان بوذا -فيما يبدو- مُصاباً بنوع من تضخّم الذات، أو الثقة المرّضية التي تجعله دائماً على حال يرغب في مخالفة ما أليف الناس وتعودوا، بل يخالف ما آمنوا به واعتقدوا، بل ما فطروا عليه وطبعوا، وانطلاقاً من هذا الشذوذ في الطبع، والجنوح إلى المخالفة بشكل مرّضيّ؛ أخذ في بناء مذهبه الإلحاديّ الذي جاء به، على هذا الذي ذكرنا من مخالفة الناس.

ونحن لا نقصد بالمخالفات التي أقام بوذا مذهبه عليها تلك المخالفة الدينية بيننا وبينه، فذلك أمرٌ بدهيّ أن يكون ما جاء به مخالفاً لما عليه دين الله الحق الذي ندين به، لكننا نقصد -كما قلنا آنفاً- أنه يخالف فيما أليفه الناس وطبعوا عليه، حتى لو كانت أديانهم باطلة، وذلك يتّضح مما يلي:

#### أ- أنكر وجود الإله:

وقد جاء إنكاره على مراحل، ففي البداية كان يسكت ويصمت حين يسأله أحد عن الإله، ولكن حين قويّت شوكته، وكثر أتباعه؛ بدأ يُصرّح بعدم وجوده، ثم

انتقل إلى السخرية بمن يسأله عن الإله، بل ويضع له تشبيهات عجيبة ومضحكة؛ سخريته به واستهتاراً، وقد تكلمنا عن هذا بإفاضة في أمكنة أخرى من البحث.

### ب- أنكر وجود النفس:

إنسانيةً، أو غير إنسانية - كما في بعض المذاهب والأديان التي تثبت النفس لكل الموجودات - ورغم إنكاره وجود النفس إلا أنه آمن بالتناسخ وألزم به أتباعه، ومع الوضوح الشديد والعلاقة القوية بين وجود النفس وبين التناسخ، وأنه لا تناسخ إلا بوجود النفس، وأن التناسخ يقوم أساساً على وجود النفس وانتقالها من جسم إلى جسم.. نقول: رغم ذلك كله فقد ركب بوذا رأسه وأنكر وجود النفس، مع قوله واعتقاده بعقيدة التناسخ، وله في ذلك مخاريق عجيبة صدق بها أو سلم بها أتباعه في وجوده، ثم ما لبثوا بعد رحيله أن انقلبوا على جميع ما خالف فيه وأثبتوه وآمنوا به، فأثبتوا وجود الإله، وجمهرتهم جعله هو الإله - كما سبق وبيننا - ويأتي له تعليق يزيد في توضيح ما عليه أتباعه من بعده عند الكلام على الفرق البوذية - بحول الله تعالى -.

### ج- أنكر وجود الذات:

وكان يمكن أن نتهاون - هوناً ما - في إنكاره النفس لو أنه أثبت وجود الذات الإنسانية؛ فإن الذات لو ثبتت وسلم بوجودها قد تغني نوعاً عن إنكار النفس، لكن بوذا أنكر الاثنتين: النفس، والذات؛ ومع ذلك أثبت التناسخ، والتناسخ أمر لا يفهم عند من يجيزه أو يعتقده إلا بوجود النفس، وقد حررنا هذا - نوعاً ما - في غير هذا العنوان.

كل هذه الأمور يخففُ منها، ويهونُ من شأنها: أنها أمور تعاطاها وتكلم في شأنها بوذا انطلاقاً من اجتهاده الشخصي، ولم يزعم أبداً أنه وحيٌّ أو إلهام أو شيء من ذلك.

لأن أمثال بوذا من الذين يأتون إلى الناس بما لا يألون، دائماً ما يفجأون الناس بأنهم يوحى إليهم أو يلهمون من قوَى عليا وما هو من هذا القبيل.

ولقد سبق أن فعلها بوذا نفسه حين جلس تحت شجرة -أطلق عليها بعد ذلك اسم «الشجرة المقدسة»- يستريح من التعب، ثم ادعى أن الإلهام هبط عليه تحت هذه الشجرة وأوحى إليه أو حدّثه بالحقائق الأربع التي كانت أصلاً لبوذيته أو دعوته، ولقد ركز عليها بوذا تركيزاً شديداً في بداياته الأولى، لكنه بعد أن انتشرت دعوته، وصار له أتباع كثر، تناسى تماماً هذه الشجرة وما جرى له تحتها، وصار وهو في الغابة مع بعض أتباعه لا يقيم لها وزناً؛ مما يجعلنا نشك كثيراً في دعوى الإلهام التي ادّعاها، وفي زعمه الصوت الذي سمعه، وليس شكنا فيما ادعاه وقاله -يعني: أنه لم يحدث- لكنه يعني أنه لا حقيقة له، وأنه لم يكن؛ ولكنه قد يكون قد حدث بالفعل؛ والفارق هنا: هو أن الإنسان قد تلح عليه فكرة ما، ويعيش فيها ولها، حتى يصبح أسيراً لها؛ ومن ثم قد يسمع ما لا حقيقة له، وقد يرى من الخيالات والأصوات ما لا وجود له ولا صوت، ولكنه توهم وتخيل ما حسب أنه حقيقة بسبب استغراقه واقتناعه بهذا الذي لا حقيقة له، وهو في هذه الحال مريض عليل يسمع ما لا يسمع، ويرى ما لا يرى.

نصل بعد ذلك إلى السؤال الأهم؛ وهو:

ما موقف بوذا من التناسخ، وهل يعتقدُه؟

ونفجاً بما لا نعقل؛ حيث تكون الإجابة بالإيجاب.. نعم، إن بوذا يؤمن بالتناسخ، ولكن القول بالتناسخ لدى المؤمنين بوجود النفس، حيث تفنى الأجساد، وتنتقل النفوس إلى أجساد أخرى، فالنفس أساس في قضية التناسخ؛ لأن الانتقال من الجسد الفاني إلى الجسد الجديد إنما يكون بالنفس التي هي خالدة أو باقية بعد أن يفنى الجسد.

أمّا أن يأتي بوذا فينكر وجود النفس، ثم يقول بالتناسخ؛ فذلك أمر لا نملك تجاهه إلا أن نذكره أو نردده كما ذكره هو، والباقي لدى القارئ إما أن يلتمس له العذر بجهله أوّلاً، ثم بصفاته التي أشرنا إلى بعضها ثانياً؛ وإما أن يقف منه مثل موقف الكثيرين من الدارسين الذين لا يشغلهم سوى معرفة المذاهب وإدراك ما لدى الآخرين.

وإذا وصلنا إلى هذا، فيأتي السؤال عما لدى بوذا في قضية التناسخ.

إن بوذا يرى أن الإنسان قد احتوى أنواعاً من القوى وصوراً كثيرة وعديدة من الإمكانيات، فهو مرّكب من قوى وآلات بعضها يُحسُّ به، وبعضها يلمس، وبعضها يبصر ما حوله، أو يسمع، أو يشم، وبجميعها تتكون لديه معرفة كاملة بما حوله، وهو بهذه الآلات والقوى يتصل بما حوله، وبهذه الحواسِّ والمشاعر يكون اتصاله بالعوالم الخارجية.

هذا عن الآلات والأعضاء التي يدرك بها الإنسان ما حوله، والتي هي مشتركة لدى الناس جميعاً وربما على مساق واحد، وقدر مشترك، لكن هناك إضافة إلى ذلك طبائع الناس، فللناس طبائع مختلفة، ونزعات متعددة، ونزعات متضاربة، وهذه الطبائع والغرائز والنزعات هي جماع ما كان عليه في الولادة السابقة، وفي الوجود الذي انتهى بموت الجسد السابق، فالجسد السابق قبل أن يفنى خُلف خبرات كثيرة، وعادات عديدة، ونزعات متناقضة.

وهذه الرغبات والنزعات والميول، وكل هذه الخبرات التي اكتسبها، وزاولها في حياته السابقة أو حيواته السابقة؛ هي التي تُعِدُّ وتطبع شخصيته الجديدة في حياته الجديدة التي يولد بها، ويتناسخ إليها.

### والفارق هنا واضح بين البوذية وبين الهندوسية في قضية التناسخ:

فالهندوسية تثبت ما يثبت الناس المتدينون جميعاً - يعني: النفس أو الذات - وهم في قضية التناسخ واضحون، حيث يموت الجسد لكن النفس تنتقل من الجسد السابق الذي فنى وهلك، إلى الجسد الجديد الذي يتناسب مع جميع لواحق الجسد القديم، فتكون النفس الجديدة سالحة أو عاصية، شريرة أو خيرة حسب ما اكتسب من خبرات في الجسد السابق.

أما البوذية التي تنفي وجود النفس؛ فيكون التناسخ مرتبطاً بطبيعة كل إنسان - رجلاً أو امرأة - وتكون خبراته الحياتية السابقة في حياته - أو حيواته - الماضية هي الأساس الذي تقوم عليه حياته الجديدة حين يموت الجسد، ثم يعود صاحبه

في حياة جديدة متناسخًا عن الجسد السابق؛ يعود في حياة أخرى وفي جسد جديد ليزاول حياة جديدة متأثرًا بالحياة السابقة في أمرين:

**الأول:** في الخير والشر؛ فإن كانت حياته السابقة قائمة على الخير فيكون في حياته اللاحقة كذلك خيرًا سعيدًا، وإن كانت حياته السابقة شريرة أو كانت قائمة على الشر فهو في حياته الجديدة كذلك.

**الثاني:** تكرار المولد؛ فإن بوذا من مذهبه: أن الإنسان يظل يتكرر ميلاده ويتناسخ طالما هو متعلق بهذه الحياة؛ سواء كان تعلُّقه بهذه الحياة متمثلًا في أن له رغبات أو أغراضًا لم يستوفها، أو كانت عليه ديونٌ أو حقوقٌ للآخرين لم يستوفها منه، أو كان ناقمًا على شيء أو من شيء؛ كل هذا وغيره يجعل ميلاده يتكرر، ويظل كذلك حتى تنتهي كل رغبة له أو شهوة، وينتهي من الديون التي له أو عليه، ولا يكون له هدف أو غاية في هذه الحياة، فإذا وصل إلى هذا المستوى أو الدرجة في حياته؛ فإنه لا يبقى له إلا شيء واحد وينطلق إلى النُرفانا - في أشهر القولين - أو إلى موت هادئ لا يولد فيه من جديد؛ لأنَّ الميلاد هو أساس الآلام والشقاء - كما جاء في الحقيقة الأولى من الحقائق الأربع النبيلة التي تلقاها بوذا تحت الشجرة المقدَّسة - والأمل الذي يعيش له الهندي - أيًّا كانت ديانته، حتى لو كان ملحدًا لا دين له - هو ألا يولد مرة أخرى.

وهذا الشيء الأخير الذي أشرنا إليه؛ أخذناه من بوذا نفسه، حين ذهب لزيارة زوجته التي لم يرها منذ غادر قصر الملك إلى حياة الرهبنة.

تقول الرواية: إنه ذهب ومعه صديقه وخادمه «آناندا»، وقال آناندا للسيد -بوذا-: «ألا يرى السيد أن يتكلم معها؟» أي: يقترح آناندا على بوذا أن يزور زوجته، فأوماً السيد بالإيجاب دون أن ينطق، وذهبا إلى الكوخ الذي تقبع فيه زوجة بوذا، تقول الرواية: «وفي الكوخ وجدا عجوزاً شمطاء حليقة الرأس ذابلة... وحين رأت زوجها هتفت قائلة: قد أطاعت الأمة سيدها ودخلت النظام منذ أذن لها، والحمل الثقيل الذي حملته قد آن لي أن أضعه على الأرض»، فقال آناندا: إنها لن تنجو من تكرار المولد؛ لم يكن لها أن تتكلم بما تكلمت به من وصفها حملها بأنه ثقيل!! فسكت السيد -بوذا- موافقاً دون أن يتكلم».

وهذا يعني: أن النجاة من تكرار المولد، والانطلاق إلى الترفانا تتطلب أموراً من البوذي:

أولها: أن لا يكون له رغبات وأهواء وآمال في هذه الحياة يريد أن يحققها.

ثانيها: ألا يكون له ديون عند الآخرين يريد أن يستوفيها؛ كأن يكون له مال عند آخر، أو يكون عند آخر ثأر يريد أن ينتقم منه ويأخذ بثأره منه.

ثالثها: ألا يكون للآخرين عنده دينٌ يريدون أن يستوفوه منه، أو يكون ضرباً أحداً لم يسامحه هذا الأحد ويريد أن يأخذ بحقه منه؛ هنا لا يجوز أن ينجو من تكرار المولد.

رابعها: وآخرها ألا تكون له شكاية من الحياة التي يحيها في أي أمر من الأمور الحياتية.

إذا توفرت هذه الأمور جميعها فإن الإنسان ينجو من تكرار المولد، وينجو إلى النِّرفانا.

خلاصة القول في المذهب الذي جاء به بوذا: أن بوذا يؤمن بالتناسخ، ولأنه ينكر وجود النفس والذات؛ فإن التناسخ عنده يقوم على الخبرات الحياتية السابقة للشخص الذي يتناسخ، والشخص عبارة عن مشاعر ووجدانات وخبرات حياتية، وتاريخ طويل من السلوكيات التي تتسم بالخير أو الشر، وعندما يموت الإنسان فإن تلك الخبرات والرغبات والعواطف والأهواء التي مرت به في الحياة السابقة؛ تعود مرة أخرى مؤثرة في حياته الجديدة التي تَقَمَّصَتها، وتتأثر حياته الجديدة بكل تلك الأهواء والعواطف والخبرات، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.



## الفصل الثالث

### البوذية القديمة والبوذية الحديثة



وهذا العنوان يمكن صياغته بعبارات مختلفة، لكن المعنى واحد لا يختلف. ويمكن أن يكون المعنى مباشرًا ومعبرًا، فنقول: المذهب القديم والدين الجديد.

وهذا واضح تمامًا من كلامنا السابق، حيث أسهبنا في الحديث عن بوذية بوذا، وماذا كانت، ثم عن بوذية البوذيين أتباع بوذا الذين خالفوه في أهم شيء في بوذيته؛ ذلكم أنه جاء ببوذية هي ثورة على الإله الهندوسي أو آلهة الهندوس -البراهمة- من ثمَّ رفض الاعتراف بآلهة البراهمة: براهما - سيفا - فشنو، ورفض كذلك الاعتراف بمقدساتهم.

ولكن أتباعه البوذيين جاءوا فجعلوه إلهًا، وجعلوا مذهبه دينًا، وتعاليمه وحيًا مقدسًا، وصاروا هم عبيدًا له يعبدونه ويدينون له، ولكي يغطُّوا على عقولهم -إن كانت لهم عقول- فإنهم صاروا يعيرون على أصحاب الدين الحق، ويعذبونهم ويقتلونهم -في كثير من بقاع البوذية؛ في أفريقيا الوسطى مثلاً- زاعمين أن البوذية هي الحق، وأن المسلمين هناك على باطل، وقد صدَّقوا أنفسهم، بينما لو رجعوا إلى البوذية -كما جاء بها بوذا- لعرفوا أنه ملحد كافر بجميع الأديان، رافض

جميع الآلهة أيًا كانت؛ هذه حقيقة بوذا، وليقل فيه أتباعه ما يقولون!!

### مناقشة العقائد البوذية:

سنناقش أهم العقائد البوذية - بحول الله تعالى - في الفقرات الآتية:

١- مذهب بوذا الإلحادي: أتضح من حديثنا السابق عن بوذا والبوذية: أن بوذا جاء يدعو إلى مذهب إلحادي واضح، وكان الإلحاد في مذهبه غاية في الوضوح والبيان، بل إننا لنزعم أن شيئاً من مذهبه لم يكن من الوضوح مثل وضوح الإلحاد والكفر بكل أساس يقوم عليه الدين، وبخاصة وجود الإله، فلم يكن بوذا حاسماً وصارماً في نفي شيءٍ مثل حسمه وإصراره على إنكار وجود الإله، ونفي ذلك الوجود، بل زاد على ذلك أنه كان يسخر بشكل لاذع ممن يتكلمون عن الإله، أو يسألونه عن رأيه مجرد سؤال، فكان السائل لا يسلم من لسان بوذا، وكان بوذا مشهوراً بهدوئه، وأدبه، وسعة صدره في محاوراة الآخرين، لكن ذلك الهدوء والأدب وسعة الصدر؛ كل ذلك يختفي عندما يكون الكلام عن الإله، فإن بوذا ينقلب إلى سليط قاسٍ عنيف.

٢- إنكار الغيبيات: بل إن بوذا - كراهيةً للإله الذي لا يعترف به، وإغراقاً منه في الكفر والإلحاد - أنكر جميع الأمور الغيبية، والمراد بها: جميع ما ليس أمراً مادياً يُدرَك بالوسائل المادية، فكل ما لا يُحَسُّ أو يُلمَس أو يُرى، كل ما لا يُحَسُّ بالحواس المعروفة أو بإحداها، كل هذا أنكره بوذا ووقف منه موقف الجحد، بل موقف الغداء، وتحت هذه القاعدة أنكر أموراً كثيرة؛ أهمُّها:

٣- إنكار بوذا وجود شيء اسمه النفس أو الروح؛ هو ناشئ عن المبدأ العام عنده، والقاعدة الأساسية لديه، ونعني بذلك: أنه ينكر جميع الأمور الغيبية التي لا تُحَسُّ أو تُدْرَك بإحدى الحواس الخمس المعروفة.

إنَّ بوذا ينكر وجود شيء اسمه: النفس، أو الذات، فأنت عندما تقول: «أنا نفسي» أو «أنا ذاتي» أو تقول: «هذا يخصني»، أو عندما تستعمل الكلمة السَّنسكريتية «أتمان» أي: النفس الخالدة؛ فهذا يعني: أنك تعتقد أن الإنسان يوجد به جوهر خالد ومطلق ودائم، وهو في نفس الوقت بسيط وثابت ولا يتغير، ثم هو العنصر الثابت فيك الذي لا يغادر، ولا يبتعد عنك، وهو الأمر الثابت فيك الذي هو مصدر الحقائق والديمومة، والذي يحتفظ بكل الحقائق عنك، حتى لو خفيت في الظاهر.

كل الديانات، وحتى المذاهب التي تفرعت عن الديانات؛ كلها حتى المذاهب التي تقوم على أديان وضعية وتفرّع عنها تؤمن بوجود شيء ثانٍ ثابت في خلق الإنسان هو النَّفس، فالنفس من الأشياء التي لا يخلو دينٌ من الأديان -مهما كان باطلاً- من الإيمان بأنها الأصل في وجود الإنسان؛ أي: أن الأديان لا تؤمن فقط بوجود النفس؛ بل تضعها بمرتبة أعلى من مرتبة الجسم.

والأصل في ذلك: أن جميع الأديان تجعل النفس هي العنصر الباقي بعد فناء الجسم، فالجسم فانٍ، والنفس هي الباقية؛ وإنما كان ذلك لأن النفوس هي التي يقع عليها الحساب، ويقع بها الجزاء على الأعمال مثوبة إن كانت أعمالها في الجسم صالحة.

لكن هناك ديانات وضعيّة تجعل الجزاء على الأعمال في هذه الحياة الدنيا، وليس في حياة بعد هذه الحياة، وأشهر هذه الديانات هي التي تؤمن بالتناسخ، ووسيلة الجزاء عند هذه الديانات إنما تكون عن طريق التناسخ، فالإنسان الذي تكون أعماله في جسدٍ صالحه، فإنه بعد أن يفنى جسده الذي هو فيه تخرج نفسه فتلبس جسداً آخر في طبقة أو منزلة ومرتبة أعلى من مثيلاتها في الجسد السابق، وإنما كان ذلك الفارق بين الجسد السابق والجسد اللاحق مراعاة لأعماله في الجسد السابق، وجزاء له على هذه الأعمال الطيبة، ولو كانت أعماله في الجسد السابق على نقيض ذلك؛ لكان جزاؤه في الجسد الجديد على نقيض ذلك -أيضاً- فالجزاء من جنس العمل.

هناك استثناء واحد -فيما أعلم- حول هذه الجزئية، وذلك عند فرقة «الصدّوقيين» من فرق اليهود، فهذه الفرقة ترى أن الجزاء على الأعمال هو في هذه الحياة الدنيا، ولا تؤمن بحياة أخرى ولا جزاء بعد هذه الحياة، وكذلك لا تؤمن بالتناسخ، ولكنها تؤمن بأن الجزاء على الأعمال جزاء فوري وناجز لصاحبه في هذه الحياة، ويقوم على هيئات ثلاث؛ فإن كان المرء صالح العمل والاعتقاد؛ فإنّ الرّب يجزيه في هذه الحياة: صحة في بدنه، وكثرة في ماله وأملاكه، وسلطة ومركزاً عالياً في دولته؛ فالجزاء - إذًا - في هذه الأمور الثلاثة: في الصحة، والثراء، والسلطة. ويكون هذا الجزاء في هذه الحياة، هذه عقيدة طائفة «الصدّوقيين» من طوائف اليهود.

يهمّنا هنا أن كل من قال بالجزاء على الأعمال؛ سواء آمن بالتناسخ، أو لم

يؤمن به، أو اعتقد في الجزاء في هذه الدار الدنيا مثل التناسخية - ومنهم بوذا- ومثل الصدُّوقيين بين اليهود، أو اعتقدوا أن الجزاء على الأعمال في الدار الآخرة، دار تأتي بعد الدار الدنيا التي نحن فيها.

ويهمُّنا هنا أن نقرر حقيقة لا مفر من الإقرار بها عند كل من يؤمن بالجزاء على الأعمال، أيًا كانت عقيدته في كيفية ذلك الجزاء وهيئته، يستوي في ذلك التناسخية من أصحاب الأديان الوضعية: هندوسية - برهمية - أو جينية، أو بوذية أو غير ذلك، ومن قبل هؤلاء أصحاب الأديان الكتابية من اليهود والنصارى.

هذه الحقيقة التي يجب على جميع هؤلاء الإقرار بها؛ هي: وجود النفس الإنسانية، وكونها أمرًا حقيقيًّا لا سبيل إلى إنكاره؛ وهذا يعني: كون الإنسان اثنيَّ التركيب، وليس أحاديَّ التركيب، فالإنسان في حقيقته مركَّبٌ من جسم ونفس، وليس من جسم فقط، والقول بأن الإنسان ثنائي التركيب من جسم ونفس هو قول وعقيدة المتدينين جميعًا، حتى أصحاب الأديان الوضعية مثل الهندوسية والجينية.

والإقرار بوجود النفس أمرٌ حتميٌّ بدهي لجميع المتدينين، وبخاصة من يقول بالتناسخ؛ لأن القائلين به تقوم عقيدتهم فيه على أن الجسم للنفس كالثوب أو القميص الذي يلبسه الإنسان، وكلما بلى الثوب وفسد؛ لبس الإنسان ثوبًا آخر.

فكذلك النفس بالنسبة للجسم، النفس خالدة، والجسم يفنى، فتنتلق النفس لِتَتَلَبَّسَ جسدًا آخر ببطن امرأة حامل، وتولد النفس مع الجسم الجديد، وتظل فيه

تُسخره حتى يشيخ ويفنى فتلبس جسداً جديداً، من هنا شبَّهوا الجسم بالثوب، أو بالقميص، حتى إن بعض المذاهب أطلقت على عملية التناسخ مصطلح: «التَّقْمُص» من كلمة «قميص».

من هنا كان كلُّ من اعتقد التناسخ لا بد له من الإقرار بوجود النفس؛ لأنها الرابطة بين الجسم السابق والجسم أو الأجسام اللاحقة بعد ذلك، ولأن الجسم إذا فني ومات، ثم لم تكن هناك نفس أو رُوح باقية؛ فما الذي يربط الجسم اللاحق بالجسم السابق.

وكيف يكون الجسم السابق أصلاً لِمَا عليه الجسم اللاحق؟! إنه بدون النفس أو الرُوح لا يكون هناك أدنى علاقة بين الجسم السابق والجسم اللاحق، وبالتالي لا يكون هنا جزء في الجسم اللاحق على الأعمال في الجسم السابق، وتبطل بناء على إنكار النفس أو الروح أمور كثيرة هي من الأسس التي تقوم عليها البوذية، فتبطل عقيدة «الكارما»، ولا يكون لوجود الكارما أو للاعتقاد فيها أي مُسَوِّغ أو حاجة؛ لأن مهمة الكارما هي وضع الجسم الجديد في المكان اللائق به حسب أعماله في الجسم السابق عليه، وما دام قد انقطعت علاقة الجسم الجديد بالسابق عليه فالقضية كلها باطلة ولا معنى لها.

كما تبطل كذلك الحكمة من تكرار المولد - أو تعدُّد الولادة، أو «تجوال الروح» كما يطلقون عليه - لأن تكرار المولد يترتب عليه الجزء المتعلق بالنفس أو الروح التي تتكرر ولادتها لكي تأخذ جزءها في الجسم الجديد على ما فعلت

في القديم، وما دام الارتباط بين القديم والجديد قد انقطع، فالعلاقة بين الجديد والقديم مقطوعة، ولا صلة بين الاثنين، فهذا يعني: أن القول بتكرار المولد عبث، والاعتقاد فيه عبث، وكل ما يرتبط بهذا، أو يتصل به مثل قول «آناندا» للمغبوط عندما قالت زوجة المغبوط: «الآن أن الأوان لأضع عن كاهلي حملي الثقيل»؛ عند ذلك قال آناندا للمغبوط: «إنها ستولد من جديد؛ لقد قالت: إن حملها ثقيل، ومن قال هذا فسيولد من جديد؛ لأنها لم تكن راضية عن وضعها، بل كانت متدمرة متألمة».

هذه الحقيقة الواضحة التي لا ينكرها عاقل، والتي ذكرنا في البداية أنها بدئية، والإقرار بها أمرٌ حتميٌّ، قرّر بوذا إنكارها، وأنّ القول بوجود شيء اسمه النفس أو الرُّوح إنما هو من جهالة الإنسان وحمقه.. إن الكثيرين يفكرون في النتيجة دون أن يعرفوا أو يتحققوا من الأسباب، إن بوذا وحده هو الذي يوضح لنا تلك الأسباب التي يتولد عنها نتيجتها وهي الألم، ومن بعد الألم يكون الفناء، ومن بعد الفناء يكون الميلاد الجديد، تتلوه ولادات متعددة كلها آلام، يقول بوذا:

«إن الكثيرين من الحكماء يفكرون في معنى الرجعة، أو تكرار الولادة، أو العودة إلى الحياة، دون أن يعرف أحد منهم السبب في الفناء.

إن الجسم يتركب من خمسة عناصر، وإن وجوده مستمدٌّ وقائمٌ على هذه العناصر، وإنه خالٍ من الروح تمامًا، أو ما يُسمّى بالنفس، أو ما يُطلق عليه كلمة الذات؛ إن هذه الثلاثة التي معناها واحدٌ، وينوب واحد منها عن الآخرين لا

وجود لها في الواقع؛ وإنما يوجد الإنسان بتأثير أسباب الوجود، التي هي بمثابة سلسلة من الأسباب ذات حلقات تتصل كلُّ منها بما تليها، وسلسلة الأسباب هذه هي علة الوجود، وهي نفسها علة الفناء».

٤- وإنكار الذات «الأنا» هو نوع من إنكار النفس؛ لأن النفس أو الرُّوح هي أساس الذاتية عند الإنسان، فإذا أنكر بوذا النفس أو الرُّوح فقد أنكر الأساس الذي تقوم عليه ذاتية الإنسان وإنَّيَّته، وكذلك هُوِيَّتَه؛ لأن هذه جميعها تقع تحت النفس، فالنفس توجد فتوجد الذات وتوجد الرُّوح والإيَّية والهويَّة، أما إذا أُنْكَرَت النفس وجُحِدَ وجودها؛ فقد ذهبَتْ هذه كلُّها مع ذهاب النفس.

وقد ذُكِرَتِ النفس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك الروح، وقد قامت الأديان الكتابية على أساس الثنائية في تركيب الإنسان؛ أي: أن الإنسان مُكوَّن من جسد ونفس - أو رُوح - فالله - سبحانه - خلق آدم من تراب، قال - تعالى -:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

ثم أضاف الله تعالى الماء إلى التراب، فصَحَّ أن الله - تعالى - خلق الإنسان من ماء، قال - ﷻ -:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

ثم أضاف الله - تعالى - الماء إلى التراب فكان الطين، قال - سبحانه -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

ثم ترك الطين حتى تخمَّر و صار شديد الالتصاق ببعضه وبغيره، قال - تعالى -:

﴿ فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصفات: ١١].

ثم ترك الطين في حرارة الشمس حتى جفَّ وصار كالفخار إذا ضربته كان له صوت وصلصلة، قال -تعالى-:

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤].

ولقد صور الله - سبحانه - آدم فأحسن تصويره، ثم قال الله -تعالى- لملائكته - كما ذكره كتابه الكريم -:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١-٧٢].

فالله -تعالى- خلق آدم من شيئين: التراب - أو الطين - ثم نفخ فيه من رُوحه، وتلك هي النفس، فالملائكة أمرُوا بالسجود لآدم الذي كونه الله من الطين، ثم نفخ فيه من رُوحه، فهما أمران إذا خلق الله الإنسان منها؛ ولذلك جاء الخطاب القرآني للنفس مُستقلًا عن الجسد، قال -تعالى-:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَّهَا نُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وخاطب الله -تعالى- النفس مستقلة عن الجسد في حال الموت، حيث يعود الجسد إلى الأرض والتراب والطين، وتعود النفس إلى مصدرها الأعلى، يقول ﷻ:

﴿ يَتَابَعُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

فالثنائية في تركيب الإنسان من جسم ونفس، هذه حقيقة لدينا نحن المؤمنين بدين الله الحق، ومثل ذلك هناك الأديان الكتابية - اليهودية والنصرانية - تؤمن بهذه الثنائية، وتقيم عليها قضية الجزاء الأخروي، ومثل ذلك كثير من الأديان الوضعية التي تدين بأن الإنسان مكون من جسم ونفس؛ أما الجسم فهو الجانب المادي من الإنسان، وأما النفس فهي نفخة الله - تعالى - في أبينا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد علق الله - تعالى - سجود الملائكة لآدم على نفخة الروح، فلم يقل - سبحانه -: فإذا سويته فقعو له ساجدين؛ بل قال - سبحانه -:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩].

فإيماننا قائم على أساس متين من أن الإنسان - أي: إنسان - مكون من جسم ومن نفس، أما الملاحدة الذين ينكرون وجود الله تعالى، ويجحدون الإله الخالق، ثم يكفرون بكل الأمور الغيبية، فهؤلاء - مثل بوذا - ينكرون الغيبات، ولا يعترفون إلا بالأمور المادية التي يحسونها ويلمسونها، أما ما غاب عن حسهم فلا يؤمنون به؛ وإنما هم آمنوا بأن الإنسان جسم؛ لأن الجسم ماديٌّ يحسُّ ويرى. ولم يؤمنوا بأن في هذا الجسم نفساً تدبره وتسيره؛ لأن النفس خفيةٌ وغيب لا ترى ولا تحس بالحواس، التي لا يعترف بوذا والماديون إلا بها وبما يقع تحتها، وبنفس القدر أنكر بوذا والماديون أن يكون للإنسان «ذات» خاصةً به، وإنيةً أو هويةً. وإنما أخذت لفظة «إنية» من كلمة «أنا» التي يعبر بها الإنسان عن نفسه، وأخذت لفظة: «هوية» من كلمة «هو»، وكلمة «أنا» تعبر عن الذات، وكلمة «هو» تعبر عن الآخر.

وكلا الكلمتين تُعبّران عن حقيقة غيبية ليست هي هذا الكم من الشحم واللحم والعظم؛ لكنّها تعبّر عن الحقيقة العاقلة الفاهمة التي تكمن وراء هذا الجسم المرئي المحسوس.

ومن هنا أنكرها بوذا وأنكرها كل هؤلاء الماديين الذين هم أمثال بوذا في القديم وفي الحديث.

أمّا في القديم فهناك بوذا وأمثاله، وأمّا في الحديث فقد قال الفلاسفة الماديون، أو قال أحدهم معبراً عن عقيدتهم هذه في إنكار كل ما هو خارج نطاق المادة المحسوسة: «إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر في المرأة، فذلك الشبح الذي ينعكس على صفحتها هو أنت ولا شيء سوى ذلك، أنت هو ذلك الكمّ من اللحم والشحم المنعكس على صفحة المرأة، وليس ثمة شيء آخر، وحاذر أن يلعب أحد برأسك فيقنعك بأنّ هناك شيئاً سوى ما تراه على صفحة المرأة، فهذا تفكير المخرّفين، وأنت آنذاك توشك أن تكون واحداً منهم».

٥- بيّن أنّ بوذا ينكر النّفس أو الروح، وينكر كل ما غاب عن حسّه أو حواسّه، ومن ذلك الذي ينكره: الذات، الأنا، الإنيّة، الهويّة، وهذا الإنكار لا بأس به، فإنّ الفلاسفة الماديين ينكرون جميع هذه الأمور، لكن المشكلة في مذهب بوذا الإلحاديّ أنه يؤمن بالتناسخ.

بمعنى أن الجسم يولد مرة بعد مرة، وأنه في كل مرة يولد فيها الجسم إنما يولد على هيئة وفي بيئة ومكانة اجتماعية تتناسب مع الجسد السابق.

والأمر البدهيُّ هنا أن يكون هناك رابطٌ بين الجسد السابق والجسد اللاحق؛ لكي يقرر بوذا ومن على مذهبه الإلحاديُّ أن الجسد اللاحق يتناسب في وضعه مع ما كان عليه الجسد السابق من صلاح أو فساد، من خير أو شرٍّ. والسؤال هنا: أين ذلك الرابط بين السابق واللاحق، وبأي شيء تكون العلاقة بين الاثنين، وعلى أي أساس يكون الجزاء على ما ارتكب الجسم السابق واقعاً على الجسم اللاحق إذا لم يكن بين الاثنين أية علاقة؟!

لقد قطع بوذا كل علاقة بين الجسم السابق واللاحق حين أنكر وجود النفس أو الروح، وكذلك أنكر وجود الإنيَّة والهويَّة، بل إنه نص بشكل هو مقصودٌ ومُتَعَيَّنٌ على نفي وجود الذاتية للإنسان، وكذلك الإنيَّة والهويَّة، فقال: «خلال ولادات عديدة فَتَّشْتُ بجدِّ عن الذي بنى هذا البيت من الألم - يقصد جسم الإنسان وما يعاني من الألم - رأيتك الآن بوضوح أيها الباني - يقصد الأنا أو الاعتقاد في الذاتية - هذا آخر مأوى له - يقصد أنه سوف يقضي على الأنا والنفس - ذهب السقف والعوارض، وتحطَّم النير، وأصبح قلبي في سلام - أي: بعد أن قضى على الاعتقاد في النفس والذات، والأنا - وقد ماتت عندي كل شهوة، وما دامت قد ماتت فقد مات كلُّ سبب لها».

ثم يقول بوذا: «هناك الأنا وهناك الحقيقة»<sup>(١)</sup>، وحيث تكون الأنا لا تكون الحقيقة، وحيث تكون الحقيقة لا تكون الأنا، إن الحقيقة هي ما نبحت عنه ونحاول

(١) يقصد بالحقيقة: النرفانا، أو الحياة الخالية من الألم.. وسنبين معناها - بحول الله تعالى -.

الوصول إليه، لكن الأنا تقضي على الحقيقة؛ إنَّ الأنا هي الضلال والوهم الذي يولّد الزوال السريع للحياة الهادئة - السَّمْسَاكارا-<sup>(١)</sup>، إنَّ الأنا هي الذاتية التي تسبب العزلة عن الآخرين، إنَّ الأنا هي الذاتية التي تولد الشهوة والكراهية، هي العمى عن الحقيقة؛ إنَّ الأنا أو «الآتمان» هي التي تسبب السباق المجنون نحو اللذة وحب الذات والانتصارات الباطلة للإنسان على حساب الغير، أما الحقيقة فهي الفهم الصحيح للأشياء، هي الإدراك الصحيح للواقع، هي الدوام والخلود، هي غبطة العمل الموصل للصراف المستقيم<sup>(٢)</sup>..

ثم يقول: «وجود الأنا هو وهمٌ - ويتبع ذلك وجود النفس والذاتية - لا يوجد في العالم أي خطأ أو عيب أو خطيئة أو رذيلة أو عداوة بين اثنين أو قبيلتين إلا وهي نابعة من الأنا.

لن نستطيع الوصول إلى الحقيقة إلا بالإقرار بأن الأنا هي وهمٌ، لا نستطيع أن نسلك الطريق المستقيم إلا حين نتحرّر من الأنانية والشهوات، الأنا هي باطل، ولا يمكن أن يتوطّد السلام في المجتمع إلا عند اختفاء كل باطل»<sup>(٣)</sup>.

يؤكد هذا بعض أتباع بوذا، فيقرّر بالنسبة للذاتية بأن بوذا لم ينكر الذاتية، وأن البوذية لم تُلغ الذاتية، لماذا؟ لأمر بسيط؛ هو أنه لا توجد في الحقيقة ذاتية كي تلغيها البوذية، وإن كان هناك إلغاء فإنما هو إلغاء الوهم المتعلق بالذاتية، حيث

(١) كلمة سَنَسْكَرَيْتِيَة قديمة تعني: الحياة الهادئة، الحياة النبيلة، الوصول إلى حقائق الأشياء.

(٢) يقصد العمل بالشعب الثماني التي نص عليها.. وسنيناها - بحول الله تعالى -.

(٣) البوذية، لصاح أبي السعود (ص ٨٤-٨٥) بتصرف/ بوذا، للراهب البوذي والبولاراهولا (ص ٨٤).

يعتقد الناس بوجود ما يسمّى بالذات، ويبنون على ذلك حياتهم، بينما الحقيقة أنه لا توجد ذات، ولا ما يتعلق بها من أوهام الإنيّة والهويّة، ومن قبل ذلك كله ما يسمّى بالذات أو الرُّوح، كل ذلك وهمٌ وخرافة لا حقيقة لشيءٍ منه.

٦- لم يَغِبْ عن بوذا تلك المشكلة الكبيرة التي أحدثها حين أنكر الأمور الضرورية التي هي عند الآخرين بمثابة بدّهيات لا تقبل الإنكار، وعلى سبيل المثال لا يوجد إنسان عنده مُسكّة من عقل ينكر وجود النفس، أو ينكر أن الإنسان له ذاتية مستقلة عن الآخرين بها يتميز عنهم ويتميزون عنه، وحول هذه الذاتية الخاصة بكل إنسان تتمحور مجموعة السمات الشخصية التي بها يتميز إنسان عن آخر؛ فإنسان صعبٌ وآخر سهلٌ، إنسان قاسٍ غليظٌ، وآخر سهلٌ رحيمٌ، إنسانٌ صاحب دينٍ وخلقٍ والتزامٍ، وآخر على نقيض ذلك، وأخلاق الناس في ذلك مثل بصمات أصابعهم، يصعب أن تجد اثنين متماثلين تمام التماثل، حتى ولو كانا أخوين شقيقين، بل لو كانا توأمين، وهذه أمور تكاد - لشهرتها - أن تكون من بدّهيات الحياة.

وبوذا كان رجلاً ذكيّاً، ولست أزيد في وصفه على ذلك، فلو كان واسع الأفق، عميق الفهم، فسيح الثقافة؛ لَمَا أوقع نفسه في مخالفات تصل إلى حدّ إنكار البدّهيات، ومخالفة جميع العقلاء من كل مذهب ودين.

ولأن بوذا كان يتمتع بذكاء فوق أمثاله، ولأنه بهذا الذكاء أدرك أن إنكاره وجود النفس، وما يلي ذلك من إنكار الذاتيّة، وإنكار الأنا - أو الإنيّة - وإنكار

الآخر أو الهوية؛ سوف يسبّب له إشكالية عند الآخرين، وبخاصة وأنه في ذلك بدع في القول، وضلال في الفكر، وإلحاد كامل في التوجّه؛ لذلك فكر ثم قدر -قتله الله كيف فكر وقدر- فكر بوذا كيف يعالج هذه المشكلة التي أوجدها هو بإنكاره النفس والذاتية الإنسانية، لقد فكر بوذا، وتوصل من خلال تفكيره إلى ما ظنّه حلًّا لمشكلة إنكاره النفس، والأمر في حقيقته ازدياد في الإشكالات، وليس حلًّا لمشكلة قائمة فعلاً؛ بل هو إضافة إلى المشكلة مشكلات.

٧- ولكي نتصوّر المشكلة على حقيقتها يجب علينا أن نفرّق بين اتجاهين ينتشران في المجتمعات الإنسانية، ولا يخلو مجتمع إنسانيّ من واحدٍ منهما:

أ- الاتجاه الأول: اتجاه ماديّ إلهاديّ لا يؤمن إلا بالحسّ، ولا يعتقد في شيء غاب عن الحسّ، فالحسّ هو الشاهد الصادق عنده على أي شيء موجود، وهو كذلك الشاهد الصادق على أن شيئاً ما غير موجود، فإذا كان الشيء مُدرَكًا بالحسّ، ملموسًا أو مسموعًا أو مرئيًا أو مذوقًا أو مشمومًا فهو موجود، وإذا لم يكن محسوسًا بأيّة حاسّة من هذه فهو مفقود؛ أي: غير موجود، وهذا الاتجاه سُمّي بالاتجاه الماديّ؛ لأنه لا يقَرُّ ولا يؤمن بوجود شيء غير ماديّ، فهو كافر بالغيبيات، كافر بكل شيء لا تثبته الحواس، ولذلك فهذا الاتجاه لا يعترف بشيء اسمه «النفس» أو «الذات» أو الإله أو الملائكة أو الشياطين.

ب- الاتجاه الثاني: اتجاه المتديّنين، وأصحاب هذا الاتجاه يؤمنون

بالمادة كما يؤمن بها أصحاب الاتجاه الأول، لكنهم لا يقصرون الوجود على ما هو ماديٌّ محسوسٌ.

ولكنهم يؤمنون بأن وراء الحسِّ موجودات حقيقية لا تُحسُّ ولا تدرك بإحدى هذه الحواس، وهي موجودة وإن لم تكن محسوسة بل إن وجودها أقوى وأصدق وأحق من وجود المحسوسات المادية.

وهذا الاتجاه هو اتجاه المتدينين الذين يؤمنون عن يقين جازم قاطع بوجود الإله -أيًا كان ذلك الإله الذي يؤمنون به- والإله عندهم غيب، أو هو غيب الغيوب؛ أي: أدخل في الغيبية والتجرُّد من غيره، وكلهم كذلك، حتى هؤلاء الذين يجسِّدون الإله في صنم أو وثن -أيًا كان ذلك الصنم، أو الوثن- فإنهم يتخذون الصنم أو الوثن رمزًا للإله، وليس هو الإله.

والعربي القديم الذي كان ينصب الصنم في بيته أو عند الكعبة؛ كان يعتقد أن الصنم محل يهبط فيه الإله أو يسكنه، لكنه أبدًا ما اعتقد أن الصنم هو الإله؛ والدليل على ذلك: أن الصنم حين كان يحدث له حادث فينكسر أو يتحطم؛ ما كان المشرك يعتقد أن الإله الذي يعبده قد مات؛ بل كان يبحث عن حجرٍ آخر يصلح -من وجهة نظره- أن يكون إلهًا، أي: محلاً يهبط فيه أو يسكنه الإله.

بل إن العربي المشرك كان إذا مرَّ في طريقه بحجر أملس جميل؛ حدَّث نفسه بأن هذا الحجر يصلح أن يكون صنمًا لهبل أو ليلات أو للعزى؛ من ثمَّ

يأخذ الحجر الأملس الصلب الجميل فينحته صنمًا وينصبه في المكان اللائق به في بيته ثم يخرُّ له ساجدًا!!

فإذا ما سألت نفسك: هل المشرك يعتقد أن الحجر هو عَيْن الإله الذي يُعبد، أو هو محلُّ للإله يحلُّ فيه بعد أن يُعدَّ هو له ذلك الحجر لكي يكون لائقًا به؟ إن الفيصل في الموضوع: أن الحجر إذا انكسر، أو تحطَّم فإن الإله لا يتحطم ولا يموت؛ بل يأتي بحجر آخر ليحلَّ فيه نفس الإله.

وقبل أن تأخذ العبرة من هذا، وتحرك يديك عجبًا من هؤلاء الحمقى، ارفع يديك إلى أعلى شاكرًا حامدًا ربك الذي رفعك من وهدة الشرك إلى دين التوحيد، ثم صلِّ على البشير النذير الذي هدى الله به أمة الإسلام.

ورغم أن المتدينين بالأديان الباطلة هم أفضل كثيرًا من الماديين الملاحدة، إلا أن الماديين -على أنهم كالأنعام بل هم أضل- إلا أنهم أفضل كثيرًا من بوذا والبوذيين؛ لأنهم رغم ضلالهم وأنهم يصادمون الكثير من البدهيات، إلا أنهم يقفون عند حدٍّ معين، بينما البوذيون يصادمون البدهيات بصورة غبية حمقاء. هكذا كان بوذا، وهكذا كان أتباعه، أما كيف كان ذلك؟ ففي الفقرة التالية توضيح وتبيين.

٨- رأينا في الفقرة السابقة أن هناك ماديين ملاحدة، وأن هؤلاء الماديين لا يؤمنون بالغيب ولا يعتقدون إلا فيما يحسون ويلمسون، وليس هؤلاء بدعًا في خلق الله؛ فكثيرون هم هؤلاء في كثير من البلدان، كالماركسيين والدهريين والطَّبَعِيِّين، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير عنهم، من ذلك قوله -تعالى-:

﴿أَبْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيْكَلُنَا الَّذِي نَأْمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٥-٣٧].

لكن بوذا وأتباعه البوذيين فاقوا هؤلاء جميعاً في الحمق والغباء، حيث زعم بوذا أن النفس والروح والذات والإنيّة؛ كل ذلك وهم وخرافة ولا حقيقة لها، وهو في ذلك مثل الماديين، لكنه في نفس الوقت ناقص نفسه وآمن بالتناسخ، وتلك قاصمة الظهر بالنسبة لبوذا وأتباعه، فالتناسخ - كما أفصنا في بيانه آنفاً - يقتضي الإقرار بوجود النفس، ونفي النفس نفياً للتناسخ، بل إن بوذا لم ينفِ النفس فقط؛ بل نفى كل شيء يمكن أن يصلح رابطة الجسد بين السابق واللاحق، فنفي الذاتية، والإنيّة، وكل شيء.

وقد أدرك ذلك بوذا، وأدرك التناقض الواضح في اعتقاده بالتناسخ، ثم في نفس المذهب ينفي وجود النفس.

وإذا ما سألته عن العلاقة بين الجسد السابق والجسد اللاحق حتى يصح القول بالتناسخ ولو في حده الأدنى، فإنه يذكر أموراً أشبه شيء بالتحريف، وذلك يدلُّ في صورة أوضح أن الرجل كان يصدر آراءه متأثراً بأمرين مُتَجَدِّرين في نفسه:

الأول: حقدٌ ومقتٌ شديداً للبراهمية، ثم للأديان بصورة عامة:

ولعل حقه على الأديان كان ناشئاً من حقه ومقته للبراهمية ورجال دينها البراهمن، ويغلب على الظن أن الأصل في ذلك إنما هو ما بين الكاشتيريا -الذين منهم بوذا- وبين البراهمن -رجال الدين- من أحقاد وأضغان متوارثة، وبخاصة

وأن البون شاسع جداً بين البراهمن الذين يتربعون فوق القمة من هرم الطبقات في الهندوسية، وبين الدراویش الفقراء المتسولين الذين كان منهم بوذا - سِدَّارثا - بضع سنين، وهذا وحده كفيل بأن يزرع الحقد في قلب المتسول الدراویش .

والذي لا ينبغي أن يذهب عن وعينا: أن الدراویش المتسولين منهم من تسول لفقره وحاجته وطبيعة وضعه الاجتماعي؛ وهؤلاء هم الفئة الغالبة من المتسولين الهنود، وهؤلاء يبدؤون حياتهم هكذا ويستمرّون هكذا، ومنهم بضعة أفراد لم ينشؤوا متسولين ولا دراویش فقراء؛ ولكن دفعهم إلى ذلك دوافع متعددة؛ منها: النفسي، والاجتماعي، ومنها الديني .

ولفظه «الديني» هنا لا تعني بالضرورة: التدين والرغبة في الدين، والتمسك به والالتزام بأحكامه؛ ولكنها قد تعني عكس ذلك، كما هو الحال في شأن بوذا ومواقفه المتعددة المتقلبة، والتي توجّها بإعلانه الواضح عن إلحاده وكفره بالإله، وتكراره تلك التفاهات التي كرّرها من بعده العديد من الملاحدة في كل عصر، وفي العصر الحديث صرخ بها الملحد الشهير «ديفيد هيوم»، فمن قبل هيوم قال بوذا: «فإذا كان إيشفارا - الإله الموجد للكون كلّه - قد خلق كل الأشياء؛ فينبغي أن تخضع له هذه الأشياء كلّها؛ لأنه خالقها، وينبغي أن يكون هو الموجود المطلق؛ أي: الذي يتصرف في كل شيء كما يريد... نقول أيضاً: إن المطلق خلقنا، لكن الذي يكون مطلقاً لا يمكن أن يكون بدون سبب، لا بد أن يكون هناك سبب أوجده؛ لأن كل الأشياء المحيطة بنا تأتي من سبب؛ أي: لها سبب أوجدها، وذلك مثل النبتة التي تأتي من البذرة، فالبذرة سببها، وهي - من

قبل ذلك - سبب للبذرة؛ لأن البذرة التي هي سبب في النَّبْتِ، هي كذلك أُخِذَتْ من النبتة، فالنَّبتة سببٌ فيها؛ ولذلك قلنا: إن الأسباب والمسببات، وكذلك العلل والمعلولات ينبغي أن تؤخذ بشكل دوري<sup>(١)</sup>، وليس بشكل مستقيم..

هكذا قال، مع أن الدورَ العِلِّيَّ الذي يتكلم بوذا عنه باطل ومحال عقلاً، محال أن تكون البذرة سبباً في النَّبْتِ والنَّبتة في نفس الوقت سبباً في البذرة، محال أن يكون ذلك على سبيل الدور العِلِّيِّ؛ أي: يكون كلُّ منها علة في وجود الأخرى على الدور، وهذا الدور باطل يقيناً؛ لأنَّ البذرة من حيث كونها علة في النَّبْتِ تقتضي أن تكون سابقة عليها في الوجود والمرتبة، وباعتبار كونها معلولة لها؛ يجب أن تكون متأخرة عنها، ومحال أن يكون الشيء متقدماً على الآخر ومتأخراً عنه في ذات الوقت، ولذلك كان الدور العِلِّيُّ الذي يقول به بوذا في ترتيب الأسباب والمسببات، أو العلل والمعلولات؛ دوراً محالاً باطلاً.

### الثاني: الجهل والحمق:

أمَّا الجهل فقد اتضح لنا منذ بداية نشأته، حين كان يرى بعض المظاهر

#### (١) الدور نوعان:

الأول: دور عِلِّيٌّ، بحيث يكون الشيء علة في وجود ما هو علة في وجوده. وذلك الدور مستحيل؛ لأن الشيء لا يكون علة للشيء الذي هو علة له؛ فإن الشيء باعتباره علة لشيء ينبغي أن يكون سابقاً في الوجود عنه، وباعتباره معلولاً له ينبغي أن يكون متأخراً عنه، وذلك محال عقلاً.

الثاني: وهو الدور التَّضَائِفي؛ وهو توقُّف الشيء على ما توقَّف هو عليه؛ مثل الأب والابن، فالأب لا يكون أباً إلا إذا كان له ابن، والابن لا يكون ابناً إلا إذا كان له أب؛ ومثل ذلك الأستاذ والتلميذ، فالتلميذ لا يكون إلا إذا كان له أستاذ، ولا يكون الأستاذ إلا إذا كان له تلميذ؛ وذلك الدور جائز واقع كما ترى.

الضرورية التي لا تخلو منها الحياة والتي يدركها ويعرفها الأطفال، بل أقل الناس ذكاء، ومع ذلك يقف منها موقف الجاهل الذي لا يعرف عن الحياة ومظهرها شيئاً، ثم يسأل خادمه عن المريض الذي يتألم: ما شأن هذا؟ أو يرى العجوز الذي انحنى ظهره من الكبر فيسأل عنه، أو يرى الميت الذي يبكيه أهله فيسأل خادمه عن ذلك، وكأنه يعيش في عالم غير عالمنا!!

هذا الجهل جعله مادياً إلى أقصى حدود المادية، من هنا أنكر كل ما لا يدركه بحسّه، أنكر وجود النفس أو الروح، وأنكر الذات والأنا، وكل ما لا يرى أو يُحسّ، يقول عنه أحد تلامذته الفاهمين طبيعته: «لقد رفض بوذا أن يكون المطلق -الإله- هو الخالق الأول، فبوذا يقول: الذي يكون مطلقاً لا يمكن أن يكون بلا سبب»<sup>(١)</sup>.

وهذه العبارة نفسها هي التي ردّدها فلاسفة الإلحاد ممثلين في ديفيد هيوم، حيث قال بالنص: «إذا كان الله خلق العالم؛ فمَن خلق الله؟»، وقال في معرضٍ آخر: «لقد قلنا: إنَّ الساعة لها صانعٌ؛ لأننا رأينا الساعة في المصنع، والصانع يقوم بصنعها، لكننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن العالم؛ لأننا لم نر العالم في المصنع والإله يقوم بصنعه، ولورأيناه يصنعه لقلنا وأقررنا بذلك، لكننا لم نره، لم نر العالم في المصنع والإله مشمراً يقوم بصنعه؛ لذلك لا يمكننا الرّجم بالغيب، وعلى الذين يقولون ذلك، أو يقطعون به؛ عليهم أن يُعلّمونا: كيف، وبناء على ماذا؟ قالوا هذه المقولة التي انتشرت بين الناس؟!

(١) «عن البوذية» لوالبولاراهولا (ص ٤٩).

بل إن الكثيرين يقولونها دون وعيٍ أو فهمٍ، يقولون: إنَّ الإله هو الذي خلق العالم كله، علويّه وسفليّه؛ دون أن يروا الإله وهو يقوم بصنع العالم، كذلك لم يذكروا لنا الإجابة على ذلك السؤال المهم جدًّا؛ وهو: إذا كان الإله هو الذي خلق العالم؛ فمن الذي خلق الله؟

إنهم يقفون عند هذه صامتين، ظانِّين أننا سنسكُت عنها، لكن سؤالنا يظل قائمًا، ونحن نطالبهم بالإجابة...

ويقول الفيلسوف الكافر: لماذا نبحث للمادة عن صانع مفارق، ولماذا لا نمد المادة إلى لا نهاية، ثم نجعلها هي الله؛ وبذلك يكون الإله أمامنا، ومن بيننا؟! .. ثم يكرر الفيلسوف الملحد: إذا كنا سوف نتمسك بقانون السببية، وأن كل موجود لا بدَّ له من سبب؛ فسوف نجد أنفسنا مطالبين بالسَّير مع القانون إلى نهايته، فنبحث عن سبب لوجود الله نفسه، وسوف نكرر: إذا كان الإله أوجد العالم؛ فمن أوجد الله؟<sup>(١)</sup>.

٩- بذلك يتضح أن قضية الإلحاد واحدة، وأن الملاحظة يصدر عن تفكير متشابه تمامًا، وأنهم مهما بلغ بهم الذكاء والبراعة في العلوم والثقافة فإن أقل القضايا بدهاة يقفون منها موقف الغباء والحمق، وأن بوذا واحدٌ من هؤلاء، لكن بوذا حين تبعه الكثيرون من الهنود لم يكن ذلك لذكائه في اختراع مذهبه الإلحاديّ، أو لعبقريته في معالجة قضايا مذهبه الشائكة.

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، د: محمود مزروعة (ص ١٦٥).

## العوامل التي أدت إلى انتشار البوذية:

كان بوذا قد اتخذ له مستشارين يشيرون عليه، بالإضافة إلى أمور كثيرة ساعدت على نشر البوذية باعتبارها مذهباً إلهادياً.

ونحن نوجز هنا أهم الأمور التي ساعدت على انتشار البوذية رغم ما فيها من أسس ومبادئ تصادم البدهي من حياة الناس:

الأول: من الأمور التي ساعدت على انتشار البوذية: طبيعة الشعب - أو الشعوب الهندية - المسالمة، فهذه الطبيعة المسالمة والسلبية تجعل الهندي يتغاضى عن أمور كثيرة توجب عليه التوقف والتفكير.

ولذلك قبل البوذية كثير من الهنود، ليس لأنها توافقتهم، أو لأنهم مقتنعون بها؛ بل لأن أمراً أو بعض الأمور توافق هواهم، فيتغاضون عن كثير من الأمور المعارضة، لوجود أمرٍ أو أمرين يوافقونهما.

وعلى سبيل المثال نجد من الأمور التي لا تجدها إلا في الهند ولدى الهنود: أن كثيرين اعتنقوا البوذية وصاروا من أتباع بوذا بسبب تدني طبقتهم في سلم الطبقات في الهندوسية، فكثير من البوذيين كانوا من طبقة الخدم والعبيد المسماة عندهم «الشودرا»، وهذه الطبقة هي أدنى الطبقات الأربعة، ومحظورٌ على أحد من أفراد هذه الطبقة أن يتطلع إلى الطبقات الثلاث التي هي فوقه؛ بل يظل داخل طبقته - الشودرا أو الخدم والعبيد - طوال حياته.

فهذا الأمر دفع بالكثيرين من أفراد هذه الطبقة إلى الدخول في مذهب بوذا،

وهم حين دخلوا مذهب بوذا يعرفون جيداً أن بوذا ملحد، وأنه لا يؤمن بوجود الإله، بل يسخر بشدة ممن يتكلم عن الإله أو يسأله عنه، لكنهم دخلوا مذهب بوذا وهم يحتفظون داخلهم بإيمان عميق ببراهما، بل إن بوذا نفسه كان يحتفظ بقدرٍ من التبجيل والاحترام لبراهما إله البراهميين الأكبر، ولكن ليس لأنه إله كما يعتقد البراهمة؛ بل على أنه أحد الرجال العظام الذين ذهبوا في الدهر.

الثاني: من الأمور التي ساعدت على اعتناق الهنود مذهب بوذا: أنه ألغى الطبقات الأربع التي يقوم عليها النظام الديني والاجتماعي الهندوسي -البراهمية. ومعلوم أن نظام الطبقات في الهندوسية -البراهمية- كان يقسم المجتمع الهندي إلى خمسة أنواع، أو خمس طوائف: الطوائف الأربع الذين تتكون منهم الديانة البرهمية أو الهندوسية؛ وهم بالترتيب من الأعلى إلى الأدنى: «البراهمن - الكاشتريا - الويشيا - الشودرا»، أما الطبقة الخامسة فتلك هي التي يتكون منها أصحاب البلد الأصليون؛ وهم الهنود عبّاد الأوثان الكثيرة التي يبلغ عددها الآلاف، وهؤلاء رفض الهندوس أصحاب الديانة الهندوسية أن يقبلوهم في آية طبقة من الطبقات الأربع، ورفضوا كذلك أن يسمحوا لهم بأن يدينوا بالهندوسية، وصنّفوهم طائفة وحدهم، أطلقوا عليهم اسم «المنبوذين»، واعتقدوا أنهم أنجاس خبيثون، وحرّموا عليهم أن يقتربوا من أحد الهندوسيين من آية طبقة من الأربع طبقات أقل من أربعة أمتار؛ لأن اقترابه من الهندوسي أقل من هذه المسافة تجعل الهندوسي نجسًا، ويحتاج إلى طقوس دينية معينة حتى يطهر.

لقد بيَّنا أن الهند كان يسكنها أهلها الهنود الأصليون، ثم دخلها حول منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد أقوام من الطورانين من أواسط آسيا، ثم حول منتصف الألف الثانية قبل الميلاد دخلها أقوام من الآريين يختلف المؤرخون في أصولهم ومن أين قدموا؛ واتفق الغزاة فيما بينهم، ووضعوا الطبقات الأربع من أنفسهم؛ فالطبقة الأولى والثانية -البراهمن والكاشتريا- من الآريين، والثالثة والرابعة -الويشيا والشودرا- من الطورانين، وكما قسموا الطبقات الأربع على أنفسهم، كذلك قسم الغزاة الإله الأكبر -براهما- على أنفسهم، فالبراهمن -رجال الدين- خلقهم براهما من فمه، والكاشتريا -رجال الحرب والحكم- خلقهم من ذراعيه، أما الطبقتان الثالثة والرابعة فهما من نصيب الطورانين.

وهذا يعني: أن الهندوس -أو الذين يدينون بالبراهمية- قد قسموا أنفسهم أربع طوائف: البراهمن والكاشتريا - رجال الدين والحكام - وهما أعلى الطوائف، خلقهما براهما من فمه وذراعيه... وحكمة ذلك واضحة؛ فإن رجال الدين عملهم قائم على الوعظ والإرشاد، وتلك وظيفة تعتمد على الفم؛ والكاشتريا يعتمدون على القوة الباطشة، وهذه يناسبها الذراعان.

أما الطائفتان الثالثة والرابعة فقد خلقهما براهما من فخذيه وقدميه؛ فالويشيا - الزُّراع والتُّجار - من الفخذين، والشودرا - الخدم والعييد - من القدمين؛ وهذان يناسبهما الفخذ والقدم.

ويلاحظ أن الطوائف الأربع هم من الغزاة، أما أصحاب البلاد الأصليون فقد طردهم الغزاة ليعيشوا في الغابات والأحراش، وقد أنشأوا لأنفسهم قُرى

متواضعة تتناسب مع أوضاعهم الاجتماعية، وعاشوا أقل من الخدم والعييد.  
وقد ظلَّ هؤلاء كذلك حتى جاء بوذا فأنقذهم، وجعل لهم قيمة آدمية،  
ووضعًا إنسانيًا؛ ولذلك كان طبيعيًا أن نعتبر أن موقف بوذا من طائفة «المنبوذين»  
- أهل البلاد الأصليين - هو العامل الثالث.

الثالث: من العوامل التي ساعدت على انتشار البوذية، وإقبال الناس عليها  
- أو كما يحب البوذيون أن يعبروا عن الانضمام إلى البوذية فيقولون عن الجماعة  
الذين اعتنقوا البوذية - أنهم اتبعوا «النظام» أو انضموا إلى «عجلة الشريعة»،  
ويقولون عن الذين يساعدون بوذا في الدعوة إلى البوذية وإقناع الناس بها؛ يقولون  
عن هؤلاء: إنهم «يُحرِّكون عَجَلَةَ الشريعة» أو يحركونها إلى الأمام.

إن جماعة المنبوذين وإن كانوا راضين بأوضاعهم المتردية اجتماعيًا، إلا  
أنهم كانوا يحملون بين أضلعهم حقدًا وضرغًا وكرهيةً ومقتًا للطوائف الأخرى  
التي تنتمي إلى الغزاة من الطورانين أولًا، ثم الآريين بعد ذلك؛ فهم لم يكتفوا  
أن يغزوا البلاد ويستولوا على خيراتها، ثم يتبأوا المكانة الاجتماعية فيها؛ بل  
زادوا على ذلك أن احتكروا الدين وقصروه على أنفسهم، ثم زادوا في تحقير  
أهل البلاد الأصليين حيث منعوهم من اعتناق الهندوسية، وجعلوهم أنجاسًا  
ينجسون الطوائف الأخرى إن اقتربوا منهم أقل من أربعة أمتار، وهذا يعني: أنهم  
- وهم بَشَرٌ - أضحوا أنجس من الكلاب والحشرات؛ فإن الطوائف الأخرى  
تُرَبِّي الكلاب والحشرات، بل منهم من يُعنى بتربية الحيات؛ وبخاصة الكوبرا،

ولا يزعمون أنها تنجّسهم.

لذلك كلّ- وغيره كثير- كان المنبوذون يمجّتون الطوائف الأخرى، فلما جاء بوذا، وأعلن رفضه الطبقات الهندوسية، وأن الناس جميعًا متساوون، ولا توجد بينهم فوارق؛ هنالك انثال المنبوذون على البوذية واتبعوا النظام-البوذية- بل كان منهم من كان يحرك عجلة الشريعة ويدعو إلى البوذية مع بوذا والمساعدين له.

لقد كان ذكاءً من بوذا أن يرفض الطبقات في مذهبه؛ لأنه بذلك اكتسب إقبال أعداد وفيرة على اعتناق مذهبه، ذكرنا منهم الطائفتين الثالثة والرابعة، حيث كان منهم من يشعر بالغبْن وعدم الرضا بالنسبة للطبقتين الأولى والثانية، وكان هذا شعور الطبقة الرابعة تحديدًا-نعني: طبقة الخدم والعبيد- ثم كانت طائفة المنبوذين أكثر إقبالاً على البوذية؛ وذلك كله بسبب رفض بوذا الطبقات.

وبوذا لم يطعن في نظام الطبقات، ولا وجّه إليه شيئاً من النقد؛ ولكنه اعتبر مذهبه فوق هذه الطبقات، وأن دعوة البوذية التي جاء بها هي مرحلة أعلى من مرحلة الطبقات؛ وذلك واضح من مقولته التي يشبّه بها الطبقات بالأنهار، ويشبّه نظامه البوذيّ بالبحر المحيط الذي تُصبُّ فيه هذه الأنهار بعد أن تقطع آلاف الأميال من بدايتها حتى تصل إلى مصبّها.

قال بوذا: «كما تنتهي رحلة الأنهار عندما تصل إلى البحر الكبير فتصبُّ جميعها فيه؛ كذلك تنتهي الطبقات عندما تصل إلى النظام فتصبُّ فيه، وتصبح جميعها شيئاً واحداً».

الرابع - من العوامل التي ساعدت على انتشار البوذية، وعلى إقبال الكثيرين من الهنود الهندوس على الدخول فيها: ما جُبلَ عليه الهندوس والهنود بصورة عامة من التسامح الذي يصل إلى حدِّ السَّلْبِيَّةِ، حتى في أمورٍ لا يصلح فيها التسامح ولا الخلط.

وقد رأينا شيئاً من ذلك حينما تكلمنا عن المناظرة التي جرت بين اثنين من البراهمن - رجال الدِّين في البراهمية - وبين بوذا، حيث انتهت المناظرة بأن استأذن رجال الدِّين الهندوس - البراهمن - بوذا أن يسمح لهم باتِّباعه واتِّباع النظام ودخول البوذية.

وسوف يكون السؤال المطروح هنا: كيف اعتنقوا البوذية - وهو مذهبٌ إلحاديٌّ ينفي وجود الإله - بينما هم من رجال الدِّين البراهمة الذين يقوم عملهم على خدمة المعابد البراهمية، وتعليم الناس الديانة البراهمية، فكيف يكونون بهذه الصفة ثم يتبعون بوذا في مذهبه القائم على نفي الألوهية، ونفي النفس، والذاتية، والإلحاد الكامل الذي لا يُقَرُّ ولا يؤمن إلا بالمادة وما يتصل بها من المحسوس؟!!

وهنا تتضح لنا طبيعة الشعب الهندي الذي يستطيع معها الهنديُّ أن يجمع بين المتناقضات؛ بين أن يكون براهمن - رجل دين براهمي - يؤمن براهما، ويدين به، ومع ذلك يتبع بوذا في مذهبه الذي ينكر براهما وينكر جميع الآلهة، وفي نفس الوقت تقرأ عن بوذا أنه كان يؤمن براهما والبرهمية.

أما كيف ذلك؛ فالأمر بالنسبة إليهم يسير، وفهْمُ ما هم عليه يسير؛ شريطة أن يفهم المرء طبيعتهم.

أما عن بوذا؛ وكيف يؤمن ببراهما مع إنكاره وجود الآلهة، بل وسخريته ممن يؤمنون بها؛ فذلك سهلٌ فهمه إذا عرفنا أن بوذا -وكما ذكرنا آنفاً- كان يؤمن ببراهما باعتباره شخصاً أو رجلاً من الصالحين، تجري عليه القوانين التي يؤمن بها بوذا؛ من كونه تجري عليه قوانين الأسباب والمسببات، ويخضع لقانون العلل والمعلولات، وما دام يشاركنا هذه الحياة؛ فلا مفر من أن تجري عليه قوانينها من الصحة والمرض، والكبر والشيخوخة، ثم في النهاية الفناء، ثم التناسخ.. وهكذا؛ وقد يتميز ببراهما باعتباره شخصاً مهماً يؤمن به أناس كثيرون، لكنه لن يخرج على نُظُم الحياة، ولن يفلت من قوانينها، أما كونه إلهاً أزلياً أبدياً لا تجري عليه قوانين الوجود؛ فذلك محال في مذهب بوذا، وفي فهم بوذا، وفي اعتقاده.

وأما عن أتباع بوذا -وبخاصة البرهمانيان رجال الدين- فأمرهم مفهومٌ، حيث الإيمان ببراهما عندهم شيء مختلف عما هو عليه عند بوذا، لكن لا بأس على الهندي أو الهندوسي أن يتبع بوذا؛ لأنه وجد عنده ما يوافقه ويشبع هواه في جانب، وأن يخالفه في أمر أو أمور أخرى إذا لم تكن توافقه في جانب آخر!!

ومن ذلك: أن البوذي كان يحمل تمثالاً لبوذا، ولأن بوذا لم يكن قد بنى لنفسه معابد؛ فقد كان البوذي يضع تمثال بوذا بأحد المعابد البراهمية التي تشتمل على تمثال براهما، أو سيفا وفشنو، وكان البوذي يتعبد للآلهة كلها -ومنها بوذا- في وقت واحد، وكان القائم على شأن المعبد -وهو من رجال الدين البرهمن- يقبل هذا ولا يعارضه، وهذا من الأمور العجيبة التي قد لا تتوفر لدى الكثير من الشعوب، ولكنها عند الشعب الهندي أمرٌ عاديٌّ.



# الفصل الرابع

## المصادر المقدسة للبوذية



لكلِّ دينٍ من الأديان - وضعياً كان أو كتابياً، حقاً كان أو باطلاً- نقول: لكل دين - أيًا كانت صفته من هذه الصفات التي ذكرناها - مصادره التي تحمل قضاياها وأفكاره، وكتبه التي تعتبر أساس الدين عقيدة وشريعة، لا يخرج عنها الدين في قليل ولا كثير؛ بل هي تعبير أمين وصادق لكل ما يعنيه هذا الدين في جملته وتفصيله.

وبعض المذاهب تشبّه بالأديان في هذا، فيضع لها القائمون عليها قواعد أساسية تجمع قواعدها وأسسها؛ ومن ثمّ تتفرع عنها جميع أحكامها، وقد يطلقون على هذه الأسس مصطلح: «النظام الأساسي»، وهنا نقول: إن المذهب أو المذاهب تشبّه بالدين؛ لأن هذا النظام من مبدئه إلى منتهاه خاصٌّ بالدين.

نخلص من هذا إلى: أنّ الدين - كل دين - له قواعد أو عقائد أساسية هي الأصل في هذا الدين، ينبع عنها ويتبعها كلُّ ما في الدين من تفصيلٍ؛ وهي التي نُسِّمها: الشريعة.

وفي بعض المذاهب أو الأديان قد يختلط الأمر، فلا تكاد تجد فيصلاً حقيقياً بين الجانب العقدي أو النظري في الدين، وبين الجوانب التشريعية أو العملية.

هذه الأسس وتلك القواعد، أو الدِّين كُله بعقائده وشرائعه يُسَجَّل أو يحتويه كتاب أو كتب، هذا الكتاب أو هذه الكتب تسمى «المصادر المقدسة لهذا الدين» وأحياناً لبعض المذاهب، وإذا ما أردنا أن نقرب الموضوع الذي نتكلم فيه، فلنضرب لذلك بعض الأمثلة:

فالمصادر المقدَّسة لدى الهندوسية -وهي دِينٌ وضعيٌّ- هي كُتب «الفيدا» أو «الويدا»، والمصادر المقدَّسة لدى اليهود هي: «توراتهم»، ثم «تلمودهم»، أما في شريعتهم فنجد هناك إلى جانب التوراة اليهودية، والتلمود؛ هناك «البروتوكولات»، وتأثير كل واحد من هذه الثلاثة في مسيرة اليهود وسلوكياتهم تابع لموقعه من حديثنا عنها؛ فالتوراة أقدَّسها عندهم نظرياً، لكن من حيث الواقع هي في ذيل المؤثرات في حياة اليهود، ثم يأتي دور «التلمود»، واليهود يعتقدون أنه شريعة موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وأن موسى لم يترك شريعة واحدة؛ بل ترك اثنتين: شريعة مكتوبة -وهي التوراة اليهودية- وأخرى شفوية غير مكتوبة -وهي التلمود. يعتقدون أن التلمود- من حيث القدسية- أقل من التوراة، لكنه أكثر تأثيراً في سلوكهم من التوراة. أما البروتوكولات فهي أساس السلوك عندهم، إلا أنها خاصة بالقرارات المهمَّة، والسلوكيات السياسية، والجوانب الاقتصادية؛ ولذلك فهي -في الأغلب- خاصة برجالات السياسة والحكم.

أمَّا النَّصَارَى: فالمصادر المقدسة عندهم تقوم على مصدرين أساسيين: الأول: توراة اليهود التي تكلمنا عنها، وهي المصدر المقدس عندهم الأول،

أما الثاني: فالرسائل النصرانية التي تبدأ بالأناجيل المزعومة، ثم الرسائل بعدها، والتي تصل إلى سبع وعشرين رسالة، وقد دربوا على أن يطلقوا على توراة يهود اسم «العهد القديم»، وعلى رسائلهم هم اسم «العهد الجديد»، وهم يطلقون على العهدين اسم «الكتاب المقدس».

إذا عرفنا هذا؛ نقف وقفة يسيرة لتساءل: ما المصادر المقدسة لدى البوذيين، أو ما المصادر المقدسة في الديانة البوذية؟

وقبل أن نتكلم عن تلك المصادر؛ علينا أن نوضح أن البوذية ليست ديناً بالمعنى الصحيح، وأن بوذا لم يدعُ إلى دينٍ - لا وضعي ولا إلهي -، ولم يزعم لنفسه هذه المكانة -مكانة الأنبياء أو المرسلين- بل لم يدعُ أنه جاء بدين، وقد مرَّ بنا أنه أنكر وجود الإله، وأنكر جميع الغيبيات، حتى أنكر البدهيات من الأمور التي لا تقوم عقائده إلا بها، فأنكر وجود النفس، وأنكر الذات، وأنكر الهويَّة، أي: أنكر الآخر حين أنكر الضمير، أو اسم الإشارة الذي يدل عليه، وكلنا نذكر أن بوذا بدأ ينكر معرفة الله قائلاً: إن الذين ذهبوا إلى هناك -يعني: الذين ماتوا- لم يرجع واحد منهم ليخبرنا: هل هناك إله، أم لا!!

ثم تطوَّر الأمر بالنسبة إلى بوذا في قضية الألوهية، حتى إنه وهو الهادئ الوديع الذي كان صعباً جداً أن يُستتار، كان إذا ذكر أحد من تلامذته أو الذين يلتقي بهم كلمة «الإله»؛ كان يصاب بالغيظ والضيق، ويثور ثورة شديدة، وكثيراً ما كان يسبُّ هذا الذي يتكلَّم عن الإله، أو يتهكَّم به، ويسخر منه سخرية لاذعة؛ لالشيء

إلا لأنه يعتقد في وجود الإله، أو حتى يسأل عنه مجرد سؤال، وهذا كله لا لشيء سوى أن بوذا لا يؤمن بأي إله، ولا يعتقد في وجود إله أيًا كانت صفته أو المذهب الذي يدعو إليه.

لذلك أطلق علماء المقارنة بين الأديان على البوذية «المذهب الإلحادي»، كما أنهم وصفوا بوذا بالرجل الملحد.

لكن أيًا كانت البوذية، وأيًّا كان إلحاد بوذا؛ فإن مذهبه الإلحادي تحوّل إلى دين عند جمهرة الطوائف المتبعة له، وقد تحوّل هو إلى إله يُعبَدُ، وأصبح له معابدٌ هو قابِعٌ بداخلها على هيئة تمثال تُقدّمُ إليه القرابين، وأصبح رجال دينه يُعدّون بالآلاف في كثير من البقاع، وهو الذي جاء بمذهبه الإلحاديّ هروبًا من رجال الدين البراهمن، ومن الطبقة المميزة التي يشغلونها.

### ماهية الكتب المقدسة عن البوذية:

نقول: أيًا كانت البوذية وأيًّا كان بوذا؛ فالبوذية لها كتب مقدسة، ولها كتابات مقدسة تحتوي على عقائدها وأحكام معاملاتها، فما هي تلك الكتب، وما معنى كونها مقدسة؟!

لقد ذكرنا قبلاً أن البوذية لا تدّعي أو يدّعي القائمون عليها أو الدّاعون إليها أنها دينٌ، وأنّ كتبها المقدّسة -أي: التي يقدّسونها- مُنزّلة من عند الله، أو أنها وحيٌّ من السماء؛ ولكنهم جميعًا ينسبونها إلى بوذا، وبذلك تصطبغ هذه الكتب بما يعتقد البوذيون في بوذا والبوذية التي جاء بها.

فمن يعتقد أن بوذا مجرد مصلح اجتماعي جاء ليصلح من حياة الناس، ويرفع عنهم ما يعانونه من شقاء وآلام؛ فالكتب المقدسة عند مَنْ هذا معتقده هي كلام بشريُّ ليست مقدسة إلا بقدر ما يقُدُّس الناس بوذا قائل هذا الكلام المسطور في هذه الكتب، وهذه الكتب تكتسب صبغة صاحب الكلام الذي فيها.

أمَّا من ينظر إلى بوذا على أنه إله، وأنَّ منزلته بين أتباعه هي منزلة الإله المعبود؛ فإن هذه الصبغة -صبغة الألوهية- تلحق الكلام الذي جاء به بوذا، والذي تضمَّنته تلك الكتب، وتكون هذه الكتب مقدَّسة بقداسة صاحب الكلام المسطور فيها.

وسواء كانت الكتب التي هي من كلام بوذا كتبًا قال بها إلهٌ أو بشرٌ؛ فقد أضحت كتبًا مقدَّسة، ولها عند البوذيين قداسة ومكانة لا تقلُّ عن القداسة التي يخلعها أيُّ من ذوي الأديان على مصادره، ويكون كلامنا صحيحًا تمامًا حين نُعَنِّونَ لموضوعنا هذا بالعنوان الذي وضعناه.

لنا فقط تحفُّظ على بعض مَنْ كتبوا في هذا الموضوع، حيث شبَّهوا هذه الكتب لدى البوذيين بكتب الحديث النبويِّ عند المسلمين، وهذا تشبيهٌ باطلٌ من وجوه كثيرة، من أهم هذه الوجوه: أن المسلمين لديهم القرآن، وهو الكتاب المقدَّس لدى المسلمين، ثم يأتي بعد ذلك الحديث النبوي ليست له مثل قداسة القرآن، ولا قريب منها، بينما البوذيون ليس لديهم سوى هذه المكتوبات المقدسة.

كذلك لدينا جماعة يرفضون السُّنة جملة وتفصيلاً، ويزعمون أن القرآن

يكفي؛ وهؤلاء هم المَسْمُونُ زُورًا «القرآنيون»، وليس لدى البُوذِيِّين من يرفض أقوال بوذا، حتى يقال: إنها مثل الحديث النبوي عند المسلمين، ثم إن الحديث النبوي لدى المسلمين هو المصدر الثاني بعد القرآن، وليس لدى البوذيين مصدر أول حتى يكون لديهم مصدرٌ ثانٍ، ثم إن الحديث النبوي عند المسلمين درجات ومنازل؛ منه: الموضوع، والضعيف، والحسن لغيره أو لذاته، والصحيح كذلك، بينما البوذيون ليس لديهم هذه الموضوعات أصلاً، ولا أنشأوا هذه الدرجات في أحاديث بوذا.

نخلص من كل ذلك إلى: أن هذا التَّشْبِيه باطلٌ وفسادٌ، وتكلُّفٌ لا مبرر له.

عرفنا - فيما مرَّ - أن بوذا كان كثير الكلام، وكان مذهبه الإلحاديُّ قائماً على ما يتكلم به، وكانت الموضوعات التي يتكلم بها وفيها موضوعات كثيرة ومتعددة متشعبة، ولم يكن هناك من له الحق في أن يتكلم أو يشرع أو يعدل، وقصارى ما كان عندهم: أن يقترحوا عليه أو يسألوه، من ثمَّ كان هو ينطلق في الكلام، وكان أصحابه يحفظون عنه كلامه لا يخرمون منه شيئاً.

من هذا يتَّضح: أنَّ المراد بالمصادر المقدَّسة لدى البوذيين إنما هو كلام وخطب ومواعظ وتوجيهات بوذا، وباختصار شديد: يراد بالمصادر المقدسة لدى البوذيين: كل ما خرج من بوذا، يضاف إلى ذلك شيء يسير لم يؤثر عن بوذا، ولكن يؤثر عن المؤرخين للبوذية، أو المتكلمين عنها، نقصد بذلك: سيرة بوذا من ولادته حتى وفاته.

## مراحل الكتب المقدسة لدى البوذية:

### المرحلة الأولى: في حياة بوذا:

وقد اهتم أصحاب بوذا وتلامذته بكل ما قال بوذا، فحفظوا عنه أحاديثه، وخطبه، ومواعظه، وتوجيهاته، إلى حدّ أنه لم يفهم من ذلك شيء، وكانوا يهتمون لذلك لدرجة أن تلامذته كانوا إذا غاب أحدهم لشأن من شؤونه؛ كان يسأل من حضر عن كلّ ما قال المبارك -بوذا- أو فعل.. كان ذلك في حياة المبارك بوذا.

### المرحلة الثانية: الخلاف حول آثار بوذا بعد وفاته :

لكن بعد وفاته أصبحت سيرته تاريخاً يحكيه السابقون لللاحقين، واستمر الأمر على ذلك سنين عدداً، ثم أطلّ الخلاف برأسه بين التلامذة والأتباع، وكان لا بد أن يطلّ الخلاف بينهم، فهذه هي طبيعة الأمور، وأسباب ذلك الخلاف كثيرة؛ بعض هذه الأسباب حبّ الأتباع لبوذا، فكثيرة هي تلك المشاعر الجياشة تجاه المبارك -بوذا- والتي تخترع أموراً يسندونها إلى بوذا لم تحدث، لكنهم يحبون أن تشاع عنه، تزيد الناس حباً فيه، وتعظيماً له، وهناك بعض أمور حدثت منه كان البعض لا يحب حدوثها، فلا مانع لديه أن يحجبها ويكتمها. المهم أن الاختلافات التي حدثت بعد وفاته، والتضارب في الأقوال والأفعال التي نُسبت إليه، واختلاف الناس حول ذلك -كلّ هذه أو جُلّها إنما كان بسبب حبّ الناس له، ورغبتهم في رفع شأنه، وتعظيم أمره.

كثر اختلاف الناس من أتباع بوذا، وممن استمع له، كذلك اختلفوا في بعض

الوقائع التي حدثت؛ ما بين منكرٍ لها ومُصرِّ على وقوعها، كما اختلفوا في تأويل بعض الأحداث.

### المرحلة الثالثة: مجمع راجاجرها:

ولمَّا كثر الخلاف، واشتدت حِدَّتُه؛ دعا الناسُ إلى مجمع يضم الكثيرين من أتباعه؛ رغبة في رَأْب الصدع قبل أن يستفحل ويستعصي على الحَلِّ.

وفي سنة ٤٨٣ ق. م عُقِدَ المجمع المشار إليه في بلدة «راجاجرها»، وفي هذا المجمع لجأ المجتمعون إلى ثلاثة من أخلص أتباع بوذا، ووجهوا إلى كل واحد من الثلاثة سؤالاً في موضوع من الموضوعات المختلف حولها، وكان ما يلي:

أولاً: ذهبوا إلى «كاسي أبا Kasy aba» أعلم مريدي بوذا، وطلبوا منه أن يروي لهم آراء المبارك فيما وراء الطبيعة، فقرأها عليهم كما حفظها عن بوذا، فاحتفظوا بها كما رواها.

ثانياً: ذهبوا إلى «أوبالي Upali» أسنَّ المريدين الأحياء، وسألوه عن شريعة النظام، فقرأ عليهم شريعة النظام كما حفظها عن المبارك -بوذا- فاحتفظوا بها كما رواها.

ثالثاً: بقي الثالث من هذه المجموعة، وهو الصديق المخلص الملازم لبوذا، نقصد: «آناندا»، فذهبوا إليه، وسألوه أن يقرأ عليهم الشريعة التي كان المبارك -بوذا- يحرك بها النظام، فقرأ عليهم آناندا شريعة النظام، فتلقَّوها عنه وحفظوها.

وحينما جمعوا هذه الأمور الثلاثة التي هي:

١- ما وراء الطبيعة.

٢- الشريعة التي كان يُسَيَّر ويحرَّك بها عجلة النظام.

٣- ما كان المبارك يذكره من حكايات وأمثال ومواعظ.

فقد اتفقوا عليها، وما زالت الخلافات التي كانت بينهم.

المرحلة الرابعة: عصر الملك أسوكا:

وقد ظلت هذه الجوانب الثلاثة محفوظة لديهم، يتناقلونها فيما بينهم جيلاً بعد جيل، ومكث الناس على حفظ هذه الأمور الثلاثة، معتمدين على حفظها في الصدور حتى عصر الملك «أسوكا Assuca»، حيث جاء هذا الملك الذي كان له شأن عظيم في نشر البوذية والحفاظ عليها، بل كان له شأن في الهند وما حولها؛ جاء هذا الملك في سنة «٢٤٢ ق.م» وجمع هذه الأمور الثلاثة، ووضع كل أمرٍ منها على هيئة مجموعة في «سَلَّة»، فأصبح لديه ثلاث سلال: سَلَّة جمع فيها أقوال بوذا في العقائد، ثم في السلة الثانية جمع أقوال بوذا في الشريعة والأعمال، ثم في السلة الثالثة جمع أقواله في الحكايات والأمثال والمواعظ، ثم بموافقة من الزعماء وشيوخ البوذية وكبارها وضعوا هذه السلال في حبال قوية، وشدوها عليها وعلَّقوها في السقف بعيداً عن الأيدي حتى لا يعبث بها أحد، وقد سميت كل سلة بما تحويه من موضوعات، فهناك سلة العقائد، ثم سلة الشريعة، ثم سلة المواعظ والحكايات.

وظلَّت هذه السلال معلقة بسقف المعبد الكبير بعيداً عن أيدي الناس، وبين

الحين والآخر يجتمع المسؤولون ورجال البوذية، ويُنزلون هذه السلال للتنظيف وأيضًا للاطمئنان عليها، وهذه السلال الثلاث تتصل بها بعض المعلومات؛ أهمها:

١- هذه السلال هي الإجابة على السؤال الذي عقدت هذه الصفحات للإجابة عليه؛ وهو: ما المصادر المقدسة للبوذية؟ والجواب الذي خرجنا به من هذه الصفحات: أن البوذية لها مصادرها المقدسة، وهذه المصادر هي هذه السلال الثلاث.

٢- هذه السلال يُطلق عليها كذلك في لغتهم مصطلح: «البيتكات Pitacas».

٣- هذه السلال كتبت بلغة لا يعرفها الآن إلا رجال الدّين البوذيون؛ لأنها لغة قديمة ولم يُعدّ أحد يتكلم بها، وهي اللغة البالية، وتسمى: «بالي Paly».

٤- مصطلحاتهم في السلال الثلاث:

أ- سلة العقائد: Aphi Dhamma Pitacas

ب- سلة الشريعة: Vinaya Pitacas

ج- سلة الحكايات: Sutta Pitacas

٥- هذه السلال الثلاث يقال لها: القانون البالي، كما يقال: القانون البوذي.

### نقد المصادر المقدسة لدى البوذية:

هذه السلال يحكون عنها أنها لم يحدث حولها خلاف منذ وُضعت في مكانها بعد أن اجتهدوا في جمعها، لكن حقيقة الأمر: أنهم كانوا وقت جمعها متأثرين بعاملين لا يمكن السيطرة عليهما؛ هذان العاملان هما:

الأول: الخلاف الذي حدث بين الأتباع عقب وفاة بوذا، حيث اختلفوا فيما بينهم حول أحاديث بوذا، فزاد بعضهم، ونسي بعضهم كثيراً من كلامه واختلفوا حول تأويل إشاراتهِ ومواعظهِ، وتحت عامل الخوف هذا أخذوا ما رواه لهم «كاسي أبا»، ثم «أوبالي» ثم «آناندا» مأخذ التسليم، وسلّموا بكل ما قالوا، وروّوا عنهم دون تمحيص.

الثاني: وبقيناً كان هناك كثيرون غير هؤلاء الثلاثة لم يسألهم أحد، أضف إلى ذلك أن هذا الكلام قد مرّ عليه قبل أن يدوّن أكثر من مائتي عام يتناقله الرواة، وتلوكه الألسن، بين مُقصرٍ ومرتدٍ، وبقيناً أيضاً كانت هناك أشياء أضيفت إلى ما قاله هؤلاء الثلاثة، وأشياء تناسها الرواة أو نسوها؛ من هنا حدثت زيادات ونواقص، وأضيفت أشياء، ومُحيتْ أشياء، ومائتا عام وأربعون ليست بالمدة اليسيرة؛ بل مات فيها أناس، ووُلِدَ آخرون، وأجيال من حُفَاط هذه السيرة -سيرة بوذا وآثاره- ذهبت، وأجيال جاءت.. كل هذا جعل هذه السيرة التي تنقل شِفَاهًا تزداد، أو تتناقص.

من هنا قلنا: إن هذين العاملين أثرا في ما يُروى عن بوذا، وفيما أُثِر عنه، وقد رأينا كيف انتقل بوذا نفسه من رجل ملحد لا يؤمن إلا بالمادة المحسوسة، وينكر الغيبات جميعها حتى الإله والنفس، كيف انتقل من هذا الإلحاد إلى أن صار هو نفسه إلهاً يعبد، فكيف بكلام قاله ثم بعد أعوام تزيد على المائتين يروى هذا الكلام اجتهاداً ودون ضابط؟! ولكن هذا الذي بين أيديهم هو ما تحصّل لديهم، وهم مقتنعون به.

ومن عجيب الأمر: أن هذا الذي كان يتكلم به بوذا، وصار مصدرًا مقدسًا لمذهبه الإلحاديّ؛ هو نفسه الذي صلح لأن يكون مصدرًا مقدسًا للبوذية التي صار فيها بوذا إلهًا يُعبَدُ- أي البوذية الحديثة-، إن هذا لشيءٌ عجيب!! كيف تصلح مصادر المذهب الكافر الإلحاديّ أن تكون هي عينها مصادر الدّين شديد التعصّب لدى أصحابه المتمسكين به، الحرّيصين عليه، الذين يعيشون به وله؟!

### كثرة المصادر المقدسة لدى طوائف البوذيين:

لذلك لا نعجب إذا عرفنا أنّ المصادر المقدّسة للبوذية تعدّدت وتكاثرت، في كلّ مرحلة من مراحلها يضاف إليها، بل وفي كل بيّنة تنتشر فيها وتختلف عن البيئات الأخرى يجد البوذيون مصادرَ مقدّسةً تغدّي هذه الاتجاهات، وتقوّي الاختلافات الموجودة بين أتباعها الموجودين في أقاليم كثيرة متناثرة هنا وهناك، ففي كل إقليم نجد هناك بوذية قد تتفق مع إقليم آخر، وقد تختلف، والاختلافات -كما ذكرنا- كثيرة، وكثيرة هي تلك الكتب المقدسة التي أضحت خاصة بكل طائفة من هذه الطوائف الموزعة على كثير من البقاع، وقد يتفق جماعة بوذية مع جماعة أخرى، لكنها -يقيناً- تختلف معها في بعض هذه المصادر.

ورغم وجود الكثير من هذه المصادر الفرعية التي تختص بها طائفة أو طوائف، إلا أنه يبقى دائماً الاتفاق على مجموعة «السّلال» الثلاث، وعلى أنها هي المصادر المقدسة المتفق عليها، وليس عليها خلاف في الأغلب، أو عند الكثير من الطوائف، وإن كان الرجوع إليها قليلاً، وكلما تقدّم الزمان زاد انصراف الناس -البوذيين- عنها، كذلك زاد ابتعاد المؤرخين عن التعويل عليها، أو الاهتمام بها.

وذلك أمرٌ طبيعيٌّ نتج عن عوامل كثيرة؛ أهمها:

١- أن المذهب الإلحاديَّ تحوّل إلى دينٍ، وأن سدّارثا - بوذا - الذي أنكر وجود الإله، قد حوّلّه الذين يزعمون أنهم أتباعه إلى إله يُعبد، وصنعوا له التماثيل، ومثّلوه بصنمٍ كبيرٍ من الذهب الخالص، أو المُموّه بالذهب، وإن تعجب فعجّب أن يتحوّل هذا الذي كان درويشًا - أي: فقيرًا - في لباسه وجميع شؤون حياته، الذي كان يحمل طبقًا أو صحفةً من خشب ويمشي يتسوّل طعامه، كلما وجد إنسانًا رفع «الطبق» أو إناء الطعام في وجهه طالبًا صدقة، إن شيئًا من طعام أو بقايا طعام، وربما مرّ عليه اليوم كله لم يأكل أي طعام، طاويًا بطنه على الجوع؛ فعجّب أن يتحوّل هذا إلى صنم من الذهب الخالص بحجمه الطبعيِّ.

وهذا الذي حدث يحتاج إلى كتب مقدّسة سوى هذه السلال، هذه الكتب تنظم قواعد العبادة، وطقوس القرابين التي تقدم للإله - بوذا - فهذا عامل مهم في إيجاد كتب مقدّسة سوى هذه السلال الثلاث، لكن ذلك لا يقلل من شأن هذه السلال المقدّسة؛ لأن هذه السلال كُتبت وعُلّقت من قبل «أسوكا» ذلك الرجل الذي اعتقد ألوهية بوذا، ثم عمل جاهدًا على تصدير البوذية إلى البلاد المجاورة، متخذًا من بوذا إلهًا، وجاعلاً من نفسه رجلَ دينٍ لبوذا الإله، وكان أسوكا أوّل رجلٍ دينٍ لبوذا الإله.

٢- إنه من طبائع الأمور الاختلاف الواقع بين أتباع البوذية، كمثل ما وقع بين أتباع الدين الواحد، أو المذهب الواحد، بعد أن يذهب المؤسس أو المؤسسون،

ثم بمضي الزمن يقع الخلاف بين الأتباع؛ وذلك نتيجة الاختلاف على النصوص المقدسة، فيكثر الاختلاف على الآثار وكذلك أحاديث المؤسسين؛ ومن ثمَّ تكثر التأويلات، وتتعدَّد الآراء؛ من ثمَّ يصبح الأتباع فرقاً وطوائف.

٣- على أرض الواقع حدث خلاف بين أتباع البوذية الذين يزعمون أنهم أتباع بوذا، وهم مناقضون له، فقد كان ينكر الإله ويجحده فجعلوه هو نفسه إلهًا، كان يكره رجال الدين البراهمن، فأصبح له رجال دين يُعدُّون بالآلاف، وكان أسوكا أول رجل دين من أصحاب الأردية الصفراء- ثم لم يأت القرن الأول لميلاد المسيح حتى كانت البوذية بين فرقتين كبيرتين: فرقة «المهايانا» أي: المركبة الكبرى، وفرقة «الهيانيا» أي: المركبة الصغرى.

٤- طبعيُّ أن يكون لكل طائفة من الطائفتين المذكورتين كتب مقدسة عندهم تشرح لهم عقيدتهم، وتشرح لهم الطقوس الواجبة لدينهم، وكيفية القيام بها. من هنا تعددت الكتب المقدسة لدى البوذيين، واختلفت في الكثير من محتوياتها، وما تحمل من طقوس.

لكن يظل أمر السلال الثلاث متحفظاً بمكانته، حتى إن الكثيرين من أتباع البوذية الجديدة يُجلُّون هذه السلال ويقدِّسونها، ويحتفظون لها بمكانتها السامية.





## البَابُ الثَّالِثُ

### تطور البوذية بين القديم والحديث

الفصل الأول: انتشار البوذية وأماكنها.

الفصل الثاني: الفرق والطوائف في البوذية.

الفصل الثالث: مسيرة البوذية حتى العصر الحديث.





# الفصل الأول

## انتشار البوذية وأماكنها

بدأت البوذية على يد «سِدارْثا» الذي أُطلقَ عليه بعد ذلك لقب «بوذا»؛ وهي كلمة تعني: المستنير، وإذا بحثنا عن معنى الكلمة لدى عامة المريرين الذين اتبعوا بوذا؛ وجدناها تعطي انطباعاً يُترجم إلى عدد من الكلمات، فكلمة بوذا تعطي انطباعاً بأنه: الصالح - التقي - العارف - المُطَّلِعُ على ما لا يَطَّلِعُ عليه غيره.. كل هذا وغيره مما هو في معناه تعبّر عنه كلمة «بوذا».

و«بوذا» هو عند البوذيين خاتمة المطاف لعدد كبير بدأت مسيرتهم منذ أمد طويل، وكلُّ منهم يُسمّى «بوذا»، ولذلك كان صحيحاً تماماً لو أننا عبّرنا عن بوذا بأنه واحد من «البوداوات»؛ أي: من هذا العدد الكبير الذين بدأوا مسيرتهم منذ أمد بعيد. وكل أمد أو وقت يمر على البشرية فتُنسى تعاليم بوذا السابق، يأتيها بوذا جديد، وهؤلاء البوداوات إذاً أشبه بمجموعة من المصلحين الذين يأتي الواحد منهم كل حين ليعظّ الناس ويهديهم حتى يصبحوا صالحين أتقياء، ومعنى الصلاح والتقوى هنا يختلف كلياً عما هو عند الهنود، أو الطوائف الأخرى التي ستتكلّم عنها - بحول الله تعالى - في البلاد التي دخلتها البوذية، كما يختلف عنا نحن المسلمين.

يضاف إلى هذا الذي قلناه - تعريفاً أو مزيداً من التعريف ببوذا - أمرٌ مهمٌّ؛

ذلك أن بوذا واحد من هؤلاء النفر الذين جاؤوا لإنقاذ البشرية من آلامها، لكن بوذا الذي نتكلم عنه هو خاتم هؤلاء النفر - كما يعتقد الكثيرون -، فالبوذاوات عددهم أربعة وعشرون، وبوذا الذي معنا والذي نتكلم عنه هو الرابع والعشرون، فليس بعده بوذا؛ لأنه خاتم البوذاوات<sup>(١)</sup>.

وقد قلنا: إن كلمة «بوذا» تعني: المستنير، والمستنير يعني: الصالح التقى العارف الآخذ بأيدي البشر لإنقاذهم من شرور الحياة وآلامها، وقلنا كذلك: إن الصلاح والتقوى اللذين يوصف بهما بوذا، واللذين هما ترجمة المستنير؛ يختلف معناه عند الهنود عنه عند باقي الناس، فمعناها ينصب أساساً على تخليص الإنسان من شقاء الحياة وآلامها وشرورها، ثم - وهو الأهم - يُخلص الإنسان من التناسخ أو تكرار المولد، بحيث إذا مات الإنسان ينطلق إلى «النرّافانا»، وينجو من تكرار المولد؛ وهذا هو أعظم الآمال لدى البوذي.

### انتشار البوذية بالهند:

بدأت البوذية بالهند، وكانت بداياتها الأولى في بعض أقاليم الهند التي تدين بالهندوسية، لكن الناس في هذه المنطقة التي بدأت بها البوذية اقتنعوا بدعوة بوذا وساروا خلفه، وكان بوذا من الذكاء إلى الحدّ الذي جعله يُلغى في دعوته الجديدة نظام الطبقات، وبذلك اكتسب أعداداً من الهنود لا حصر لها، فالذين

(١) تلك هي آراء الكثير من المؤرخين، وهناك من النصوص ما يؤيد آراءهم، وفي مقابل ذلك هناك آراء تسند إلى بوذا قوله: إن هناك بوذا آخر سوف يأتي بعده، وسيكون أشهر منه، واسمه «ميترا».. وسنبيّن ذلك - بحول الله تعالى - في مكانه من البحث.

ينقسمون على نظام الطبقات كثيرون، ويكفى أن نعرف أن بوذا بإلغائه الطبقات اكتسب أولاً الهنود الأصليين الذين يطلق عليهم اسم «المنبوذون»، والذين يعتبرهم البراهمن -رجال الدين البراهمة- أنجس من الكلاب، وينزلون بهم إلى أدنى من الخدم والعبيد، بل هم في النظام الطبقي الهندي -كما ذكرنا- أنجس من الكلاب، بحيث إذا مر الهندوسي قريباً من أحد هؤلاء المنبوذين أربعة أمتار فأقل؛ فإنه ينجس ويحتاج إلى تطهير.

هؤلاء هم أهل البلاد الأصليون، وهم الذين أخرجهم البراهمة من الطبقات وسمّوهم «المنبوذين»، هؤلاء جميعاً دخلوا النظام -أي: البوذية- وقد اكتسبهم بوذا ورحّب بهم.

يضاف إلى هؤلاء طبقتان: طبقة العبيد والخدم -الشودرا-، وطبقة الزّراع والتّجار -الويشيا-، هاتان الطبقتان الأقل حظاً من الطبقات كلها، عندما أبطل بوذا الطبقات وألغاهما؛ أقبلت كل من الطبقتين على بوذا وقبلتاه، ودخلتا في نظامه. يضاف كذلك إلى هاتين الطبقتين: طبقة الكاشتريا، وهي الطبقة الحاكمة وطبقة الجند والحرب؛ لأن العداء الشديد كان بين طبقة الكاشتريا وطبقة البراهمن -رجال الدين- وكانت كل واحدة منهما تُكنُّ للأخرى الحقد والضغينة؛ نظراً لقربهما والتنافس بينهما.

ونحن إذا أحصينا هذه الطبقات سنجدها ثلاثة من أربعة، فإذا أضفنا إليهم المنبوذين، وهم الشعب الهندي الأصل كله؛ لعرفنا بصفة تقريبية الأعداد الكثيرة التي اتبعت بوذا، وكان ذلك على حساب الديانة الهندوسية.

لكن تقف عقبة كؤودٌ أمام هذه الجماهير التي انثالت على أتباع بوذا، ولعلنا نستطيع أن نرجع ما كان يعوق البوذية ويعرقل مسيرتها -رغم هذا الذي قلناه- إلى أمرين:

الأول: أن بوذا أنكر وجود الإله، وأنكر أن يكون هناك إله -أيًا كان ذلك الإله- وقد بيننا قبلاً أن بوذا كان في بداية أمره ينكر ذلك، ويقابل سؤال من يسأل عن الإله بهدوء، وكان يغلف إنكاره بأسباب مبهمة، لكنه عندما كثر أتباعه وانتشر مذهبه الإلحادي؛ صرّح بوضوح شديد بأنه لا يوجد إله.

وفوق ذلك أخذ يتهكم ويسخر من الذين يسألونه عن الإله، وقد بيننا في مناظرته مع البراهميين أنه أنكر وجود الإله بحجة أنهما لم يرياها، بل ولا أحد رآه، واتهمهما بأنهما يعبدان إلهًا لم يرياها، أو يعبدان «عدمًا»، بل واتهم المتدينين جميعًا أنهم من الغباء بحيث يقدمون القرابين، ويؤدون العبادات لإله لم يره أحد منهم.

تلك كانت حجته في إنكار وجود الإله، ومن الواضح: أنه ينكر ذات الإله؛ لأن البراهمة يقيمون أصنامًا وتمائيل لآلهتهم؛ زاعمين أن الإله براهما -وكذلك سيفا وفشنو- يحتلون هذه الأصنام والتماثيل، لكن بوذا أنكر وجود الإله براهما، وكل ما يتصل به من كونه خلق العالم، وخلق الأنفس، وخلق سيفا، وفشنو. أنكر كل ذلك زاعمًا أن هذه التماثيل التي صنعها لبراهما والإلهين الآخرين، كل هذا لا يوجد فيه شيء؛ لأنه لا يوجد إله..

وهذا الذي فعله بوذا يدلُّ بوضوح على أنه ماديٌّ ملحد كافر بالإله، وأنه لا

يؤمن إلا بما هو ماديُّ بحت فهو ماديٌّ حتى النخاع، فإذا ما عرفنا أن الإنسان متدين بطبعه، مؤمن بالإله بفطرته، وأنه لا يستقيم في حياته إلا بالتدين، والإيمان بإله يتعبد له، ويستند في وجوده وشؤونه كافةً إليه؛ عرفنا أنها غزيرة تشبه غزيرة الجوع والعطش، بل لعلها أشد، ولا يستريح إنسان في وجوده إلا بتوفر ما يشبع غريزة التدين هذه.

وكان خطأ كبيرًا من بوذا أن يلغي الإله من مذهبه الإلحاديِّ، وينشئ مذهبًا يقوم على الكفر والإلحاد؛ لأن ذلك وقف عقبة كؤودًا تمنع من انتشار المذهب، لا أقول عند الكثيرين؛ بل عند الناس جميعًا.

الثاني: أن بوذا أنكر وجود النفس أو الذات أو الهُو، ومعنى ذلك: أنه ذهب في الإنكار إلى مستوى لم نره حتى عند الكفرة الملاحدة الذين لا يدينون بأي دين، وهذا مستوى من الإلحاد والمادية المُسِفَّة لم يصل إليه أحد، لا قبل بوذا ولا بعده في البيئات التي هو فيها.

ومن العجيب: أن بوذا يقيم مذهبه الملحد على أسس لا تستقيم إلا بالإيمان بوجود النفس والذات والآخر أو «الهُو»، فهو -على سبيل المثال لا الحصر- يؤمن بالتناسخ، والتناسخ يسمونه أحيانًا «تكرار المولد» أو «تجوال الروح»، فكيف سيتم التناسخ بدون النفس، أو كيف سيتم تجوال الروح بدون «روح»؟! إن هذا يدل على أن الرجل كان أشبه بإنسان يهذي، ويقيم قصرًا من ورق، أو يقيم مذهبه الإلحادي على أوهام وخيالات.

إنَّ التناسخ الذي يؤمن به بوذا لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود النفس؛ لأنه

يعني - في معناه البسيط - أن الجسم يهرم ويشيخ، وربما تتكاثر عليه الأمراض، ثم يموت؛ هنا تنتقل النفس إلى جسم جنين في بطن أمه، وتدخل فيه، ثم تولد معه، وتحيا معه مصاحبة إيّاه في رحلة حياته، حتى يهرم ويشيخ وتتعاوره الأمراض ثم يموت، فتركه النفس لتدخل جسداً جديداً آخر، وهكذا. وهذه هي عملية التناسخ التي ليس ثمة سواها.

والسؤال: إذا لم تكن هناك نفس، أو ما يُعبر عن فرديتها وإنيتها بكلمة «ذات» أو بكلمة «أنا» و«هُوَ».. إذا لم يكن هناك نفس، ولا ذات ولا إنيّة ولا هويّة؛ فكيف تتم عملية التناسخ؟! وإن تعجّب فعجبٌ أن يشدّد بوذا على التناسخ، وينكر - في نفس الوقت - النفس والذات والإنيّة والهوية، فكيف يتم ذلك؟!!

وفي كلمة واحدة: لا يمكن أن يتم ذلك ولا شيء منه، وواضح من محاوراته ومناظراته مع الآخرين أنه ماديٌّ بحثٌ، لا يؤمن بما غاب عنه، كما أنه من الواضح أنه يتلاعب بالألفاظ، ويحفظ بالمعاني كيفية يشاء، حتى لو خالفت البدهي من الأمور.

كل هذا في جانب، وفي الجانب الآخر ينبغي ألا يغيب عن ذهننا واقع الشعب الهندي، وطبيعته التي هو مطبوع عليها، والتي نعرف منها أن الهنود شعب مطبوع على التدين، ومن فطرته: أنه يؤمن بالآله أو الآلهة ببساطة شديدة.

بل إنه لم يكتفِ بالآلهة المتعدّدة التي يدين بها، ويتقرّب إليها في جميع الأوقات، فاخترع ما يُسمّى بـ«المقدّسات»، والمقدّسات عند ذلك الشعب لا

يمكن تحليلها إلا عن طريق غلبة العاطفة الدينية، أو قُل: الغريزة الدينية، أو شدة الميل إلى التدين، بحيث لم يكتفِ الشعب الهندي بالآلهة، فأتى بالمقدسات ليشبع بها الميل الغريزي الشديد إلى التدين؛ من هنا كانت المقدسات كثيرة ومتنوعة، وقد قسمناها إلى نوعين: مُقدَّسات عامة؛ مثل تقديس «البقرة» وتقديس نهر «الجانج» الذي يطلق عليه أحياناً نهر «الكانج»، ومقدَّسات خاصة بكل فرد من الهنود، ترجع إلى ظرفه الخاص، فقد يقُدِّس أحد الهنود شجرة تُظلل بيته من الحرِّ والقرِّ، أو يقُدِّس بئر ماءٍ يشرب منه هو وحيواناته، وقد يقُدِّس نوعاً من الثعابين أو الحيات أو غير ذلك. وقد تكلمنا عن ذلك بتوسُّع في مكانه من البحث، فلا حاجة إلى إعادته.

لقد بدأت البوذية بالهند، وبدأت على يد بوذا، وحين بدأت البوذية انثال عليها الناس بأطرافهم، حتى إنها انتشرت انتشاراً واسعاً بين جميع الطبقات، بل أقبل عليها قبل الطبقات جماعة المنبوذين الذين نذتهم الهندوسية -أو البراهمية- واعتبرتهم أنجاساً لا يليق بالهندوسية وطبقاتها أن يلتحق بها هؤلاء؛ من هنا، وبسبب ترحيب البوذية بهم؛ كانوا في مقدمة الذين أقبلوا على البوذية وانضموا إليها.

يضاف إلى هؤلاء: الطوائف الأخرى من الطبقات الثلاث الأخرى: الكاشتريا، والويشيا، والشودرا؛ نظراً لظروف كل منهم، ولأن طبقة «البراهمن» -رجال الدين- في الهندوسية أساءوا إلى جميع الطبقات الأخرى بتكبرهم واستبدادهم وتشدُّدهم؛ من هنا هربت أعداد كبيرة من هذه الطبقات إلى البوذية كراهية ومقتاً لرجال الدين البراهمن.

لكن من الحق الذي لا ريب فيه: أن الطبقات الهندوسية التي فرت إلى البوذية كراهية لأفعال رجال دينها البراهمن - كما ذكرنا - هؤلاء فروا إلى البوذية واعتنقوها، بينما هم يعتنقون الهندوسية، ويؤمنون بها، ويدينون لبراهما بالألوهية، وقد يسر لهم هذا كون البوذية مذهباً خلقياً إلحادياً لا صلة له بالإله، ولا رابطة بينه وبين الدين؛ من هنا انثال هؤلاء على البوذية، وانفلتوا من الهندوسية - أو البراهمية - ظاهراً، بينما هم في حقيقة أمرهم كانوا يدينون بالبراهمية أو الهندوسية، كل ما هنالك أنهم تخلصوا نوعاً ما من سلطان البراهمن - رجال دين البراهمية. والدليل على ذلك: أن هؤلاء الهندوس - أو طبقات البراهمية - الذين دخلوا إلى البوذية واعتنقوها لم يقطعوا صلاتهم بالبراهمية أو الهندوسية، بل ظلت تلك الصلة على قوتها، وكانوا جميعاً يذهبون إلى معابد الهندوسية ويحترمون طقوس آلهتها، ويقدمون لها أنواع التبرجيل والإكبار، بل إنهم - فوق ذلك - وبعد أن هلك بوذا صنعوا له التماثيل ووضعوها في المعابد الهندوسية إلى جانب تماثيل برهما وسيفا وفشنو.

ولم يعترض على ذلك رجال الدين الهندوس الذين كانوا يقومون على خدمة تلك المعابد؛ بل رحبوا بتمثال بوذا وسط آلهتهم ومعابدهم، معتبرين أن هذا الذي يحدث إنما هو ردة، أو عودة من أتباع الهندوسية الذين كانوا قد تركوها إلى البوذية، ثم ها هم يعودون إلى الهندوسية من جديد، كل ما هنالك أن التماثيل التي وُضعت في تلك المعابد قد زادت واحداً، وهذا لا بأس به، وبخاصة إذا كان المقابل هو عودة الهندوسيين - الذين كانوا قد ذهبوا إلى بوذا - إلى الديانة الهندوسية من جديد.

هذا الذي حدث هو نفسه الذي أضعف البوذية بالهند - كما سيأتي بحوله تعالى - .

### ضعف البوذية بالهند وأسبابه:

عرفنا - قبل انتهاء الفقرة الأخيرة - أن البوذية ضعفت بالهند، وهاجرت إلى بقاع أخرى، رغم أنها نشأت بالهند، وانتشرت أول شأنها بالهند، وكان لها شأن كبير بهذا البلد، لكن كان هناك أسباب كثيرة تسببت في ضعف البوذية بالهند وانتقالها إلى أماكن أخرى؛ وأهم هذه الأسباب:

أولاً: أن البوذية ليست ديناً؛ وإنما هي - كما أنشأها بوذا - مذهبٌ خُلِقِي يُعْنَى بتخليص الإنسان من آلام الحياة وشقائها، وكلُّ ما فيه يدور حول هذا، بينما الشعب الهندي شعب غارق حتى أذنيه في الدين أو الأديان.

ثانياً: أن البوذية لم تتكلم عن الإله، ولم يجعل بوذا في بوذيته مكاناً للإله؛ بل إنه - فوق ذلك - كان يتهم ويسخر من الذين يتكلمون عن الإله، وكان يتهم الذين يتكلمون عن الإله بأنهم يؤمنون بشيء لم يروه أو يحسوه بأي من حواسهم، فكأنهم يؤمنون بالعدم - كما حدث في مناظرة مع البراهمة - وقد مرت بنا، فهو إذاً أنكر وجود الإله، بينما الشعب الهندي شعب شديد التدين، وفطرة التدين لديه قوية جداً إلى حد أنه لم يكتف بالآلهة الكثيرة لتشبع عاطفة التدين عنده، فضم إليها ما أسماه بالمقدسات - وقد تكلمنا عن هذا آنفاً - من هنا ضعفت البوذية في الهند وانكشفت ثم هاجرت إلى أصقاع أخرى، لكن هذه البقاع التي لجأت إليها البوذية فعلت واحداً من أمرين:

١ - خلطت بين البوذية وبين الأديان الأخرى، فجعلت بوذا إلهًا من هذه الآلهة الكثيرة، وذلك حدث في الهند تحديدًا، وقد بيّننا قبلاً أن رجال الدين في المعابد الهندوسية تحديدًا رحبوا بهؤلاء الذين كانوا هندوسًا ثم اعتنقوا البوذية ثم جاءوا ووضعوا تمثال بوذا وسط الآلهة الهندوس في معابدهم، فرحبوا بهم على أنهم رجعوا إلى الهندوسية أو هم في الطريق.

٢ - جعلوا بوذا إلهًا كاملاً له جميع خصائص الألوهية، لم يخلطوه بغيره، ولم يجعلوه إلهًا مع آلهة أخرى؛ بل جعلوه إلهًا بمفرده وبنّوا له المعابد، وجعلوا له رجال دين بالمئات، ومئات كثيرة تلك هي أصحاب الملابس الصفراء الفاقعة التي يتلفع ويلتف بها حليقو الرؤوس في كثير من البقاع التي هاجرت إليها البوذية.

ثالثًا: لا ينبغي أن نقلل من شأن تلك الطقوس التي تصاحب التدين ببعض الآلهة؛ ونعني بتلك الطقوس: المعابد، ثم رجال الدين، ثم تقديم القرابين، ثم بقية الطقوس من صلاة وصيام وكيفية ذلك، ثم بقية الشرائع والأحكام التي افتراها واخترعها رجال الدين القابعون داخل معابد آلهتهم.

فهذه الطقوس لا يشغلنا إن كانت صحيحة أو باطلة، حقًا كانت أو ضالة، وهي - من وجهة ديننا وحقيقة هذا الدين الحق - باطلة تمامًا، لكنها بالنسبة للشعب الهندي تملأ فراغًا مهمًا جدًّا في حياته، إلى حدّ أن حياته لا يمكن أن تقوم، ولا تستقر بدون هذه الطقوس.

## البوذية الجديدة ومعالمها:

لَمَّا هلك بوذا دون أن يكون له إله، ولا معبد، ولا طقوس؛ حدث ما ذكرناه ونَبَّهنا إليه من أمورٍ؛ أهمُّها:

١- أن البوذية التي جاء بها بوذا - باعتبارها مذهباً إلهادياً - لم يبقَ لها وجود بالهند، ولا نقول: ضعفت، أو قَلَّ أتباعها؛ بل لم يعد لها وجود بالهند، والذي وجد بديلاً عنها، واتخذ اسمها شيء آخر، وأهم ما في هذا الشيء أنها صارت ديناً، وصار بوذا إلهاً.

٢- أن البوذية التي بقيت بالهند تناقضت مع ما جاء به بوذا، حيث جعلت من بوذا إلهاً، ووضعت له - في البداية - تمثالاً وسط الآلهة في معابد الهندوس، وأضحى المعبد الهندوسي معبداً لآلهة الهندوس، وفي نفس الوقت هو معبد لأتباع بوذا.

٣- تحوّل بوذا إلى إله، وتحوّل مذهب الإلهاديين إلى دين، وبدهي أن الدين يحتاج إلى إله يُعبد، ثم إلى طقوس يزاولها أتباعه، ثم إلى رجال دين لهم منزلة عظيمة يضمنها لهم الإله الذي يمثلونه، فهُم في قمة السُّلَم الاجتماعي سواء كان المجتمع ذا طبقات أو لم يكن.

٤- تحوّل بوذا إلى إله كان الفعل الفاصل الذي قضى على البوذية الأصلية التي جاء بها بوذا، وظل قرابة الخمسين عاماً وهو يدعو إليها، وينشرها، ويحرك «عجلة النظام» أو «عجلة الشريعة» بها.

وهذا معلوم، بل بدهي لا جدال فيه؛ ذلك أن بوذية بوذا كانت مذهباً إلحادياً، وكانت ملحدة حتى التُّخاع، وأن إلحاد بوذا لم يقتصر فقط على إنكار الإله؛ بل إنه أنكر جميع ما لا يدركه المرء بإحدى مداركه الحسيّة؛ أي: بحواسه الخمس، بمعنى: أن ما لم يُدرَك باللمس، أو بالبصر، أو بالسمع، أو بالشم، أو الذوق فهذا لا وجود له. وقد اتّضح ذلك بأمر كثيرة جدًّا؛ منها:

١- أنه في بداية أمره كان يتكلم بإنكار الإله على استحياء، وكان يعتذر عن ذلك بأنه لا أحد من الذين مضوا -أي: ماتوا قبلنا- رجع إلينا بعد موته ليخبرنا هل هناك إله أو ليس هنالك.

٢- انتقل بعد ذلك إلى الإنكار الكامل الواضح، بل فوق ذلك كان يسخر من الذين يتكلمون عن الإله ويتهكّم بهم واصفًا إياهم بالمخرفين الذين يعيشون في أوهام، ويضرب لهم المثل وراء المثل متهكّمًا بهم قائلاً: إن الذين يتكلمون عن الإله الذي لم يروه مثل ذلك الذي ينفطر من البكاء على حبيبته التي لم يرها ولم يعرفها، أو مثل الذي يبني سلّمًا في ميدان واسع، دون أن يبني البيت الذي سيصعد بهذا السلم فوقه.

٣- اتضح هذا الذي قلناه من مناظرة بوذا للبراهميين ولغيرهم؛ إذ قامت مناظرته إياهم على أنه لا يوجد إله، وأنه لا يوجد براهما ولا سيفا ولا فشنو، وأنّ براهما ليس خالقًا للعالم؛ لأمر واحد؛ أنه لا وجود له، ثم كانت أسئلته عن براهما: هل رآه أحد، هل سمعه أحد، هل تكلم معه أحد؟! إذا لا وجود له، وهم إنما يعبدون عدماً لا وجود له.

٤- تأكيداً لهذا الاتجاه الماديّ البحث أن بوذا أنكر جميع الغيبيات التي لا تقع تحت الحِسِّ، وحتى الحقائق التي لا يجادل فيها إلا الملاحظة الخُلُص؛ من ذلك: أنه أنكر وجود شيء اسمه «النفس» أو «الذات» أو «الأنا» أو «الهويّة»؛ كل ذلك أنكره ولا حجة لديه إلا أنه لا يراها ولا يحسُّها بإحدى حواسه، فهو إذاً ينكر جميع المغيبات بلا استثناء، ولا يؤمن إلا بالمادة، وما ليس مادياً هو عنده غير موجود، وهذه قضية مفروغ منها تماماً.

٥- ترتب على هذا أن البوذية انقسمت إلى قسمين متميزين:

البوذية القديمة: وهي البوذية الملحدة التي جاء بها بوذا، وإن كان وجودها الآن نادراً.

البوذية الحديثة أو الجديدة: وهي التي خرجت على ما جاء به بوذا، فادعت ألوهية بوذا.

وإن تعجّب فعجّب أن يتحوّل ذلك الذي أنكر الألوهية بتبجّح وعناد، وأصرّ إصراراً شديداً على إنكار الإله، يتحوّل هو عند أتباعه - وما هم بأتباع له - إلى إله يُعبَد، له رجال دين وله طقوس، وله صلوات ودعوات، ويقوم عند أتباعه - الذين ليسوا بأتباع له - على عقائد وشرائع وأحكام.

من هنا هاجرت البوذية من الهند - رغم أنها نشأت بها - وتلقفتها من بعد الهند بلاد كثيرة، حتى إن قائلهم يقول: إن البوذية هي الدّين الأكثر أتباعاً في العالم كله!! وهذه - وإن كانت مقولة كاذبة - تدل بوضوح على أن البوذية لها أتباع كثر في أماكن كثيرة، سوف نبينها فيما بعد - بحول الله تعالى -.



## الفصل الثاني

### الفرق والطوائف في البوذية

من الأمور التي تميّزت بها البوذية: أن عوامل انتشارها كانت مواتية، وكان هناك من الأشخاص من سَخَرُوا أنفسهم لنشر البوذية في جميع البلدان المتاح للبوذية الانتشار بها.

وهناك عامل مهم في انتشار البوذية؛ ذلك العامل هو الفراغ من المناوىء لها، أو الدين والمذهب الذي يمكن أن يحلَّ محلَّها، ويملأ الفراغ الذي ملأته، حيث جاءت في زمان كانت ظروفها مواتية وكانت البيئات التي وُجِدَتْ بها خالية من الديانات المقنعة التي توافق الفطر البشرية؛ مما جعل هذه البيئات في ذلك الزمان تُقبِلُ على البوذية وتقتنع بها، وتشرب مبادئها التي وضعها لها البوذيون من بعد بوذا.

ورغم أن البوذية - بوضعها بوذا إلهًا - أسوأ ما تقبله الفطر السوية، لكن الفطر الوثنية التي كانت عليها هذه الفطر تجعل البوذية سيدة الوثنية في ذلك الوقت.

ونقول: «وضعها لها البوذيون من بعد بوذا»، ولم نقل: «وضعها بوذا» لأن الأمر - كما ذكرنا قبلاً - أن البوذيين غيروا من بوذية بوذا، وبدّلوا من مذهبه الإلحادي الذي يقوم على إنكار وجود الإله، ووجود النفس أو الذات، فبوذا ملحد بإطلاق، ومذهبه الذي جاء به مذهب ملحد، لكن أتباعه الذين جاءوا بعده

حوّلوا مذهبه الإلحاديّ إلى دينٍ، ولمّا كان كلُّ دينٍ لا بدّ له من إله؛ فقد جعل أتباع بوذا الإله في دينهم هو بوذا نفسه.

إن بوذية بوذا التي صدرها أسوكا وغيره إلى البلاد الأخرى كانت قد تحولت إلى دين كامل، وكان بوذا هو الإله في هذا الدين، وظل أسوكا يدفع بالبوذية في الهند وغيرها، وعني عناية خاصة بنشر البوذية في البلاد المجاورة، وبث الدعاة إلى تلك البلاد التي منها بورما، وسيلان، والتبت، لكن كانت البوذية - كما ذكرنا قبلاً - قد تحولت إلى دين، وكان لها ما للأديان عامّة من طقوسٍ ورجال دينٍ يعلمون الناس هذه الطقوس، ويشرفون على أدائها.

نخلص من ذلك إلى: أن بوذية بوذا التي جاء بها كان من أهمّ ما يميزها:

١ - أنها ليست ديناً وضعياً؛ ولكنها مذهب إلحاديّ بإطلاق، وكان الإلحاد يضرب فيه حتى النخاع، وأول علامات خروجه على الأديان: أنه ينكر الإله، وينكر وجوده بوضوح شديد.

٢ - أنه ينكر النفس، وينكر الذات، وينكر ما يعبر عن خصوصية النفس وإثبتها، فينكر «الأنّا»، وينكر «الهُوَ» أو «الهُويّة»، وإنكاره هذه الأمور البديهية لم يأت مغلفاً، أو مؤوَّلاً، أو من وراء حجاب، بحيث يمكن أن نلتمس العذر لمن يخطئ، فيثبت شيئاً من ذلك؛ لكن إنكاره هذه الأمور جاء واضحاً بيّناً، بحيث لا يحتمل تأويلًا ولا تفسيرًا.

٣ - من هنا ندرك مباشرة الحقيقة وراء هذه الوجهة التي تبناها بوذا، والتزمها،

وكان فيها حاسماً وباتاً، تلك الحقيقة التي تقرر أن بوذا رجل مادي حسي لا يؤمن إلا بالمادة التي يُحسُّها ويلمسُّها أو يدركها إدراكاً مادياً خالصاً، وقد ظهر لنا ذلك بوضوح من مناظرته للبراهمة الذين ناظرهم وجادلهم منكراً وجود براهما، ومنكراً -بدهياً- أن يكون هو الخالق للبشر، ثم الوجود كله، وكانت حجته في ذلك الإنكار أن أحداً لم يرَ الإله، ولم يحسَّه بإحدى الحواس؛ فكيف يعبد المرء إلهاً لم يره في حياته مرة واحدة، ولا سمعه ولا لمسه ولا أحسَّ به مرة واحدة؟! إن بوذا يُسمِّي هذا عدماً، وعبادته عدماً، وقد قال للبراهمة الذين يعبدون إلههم «براهما» ويعتقدون أنه خلق العالم، قال لهم: «إنكم تعبدون عدماً»، إن بوذا وأمثاله من الماديين لا يمكن أن يؤمنوا بإله؛ لأن الإله لا يرى ولا يُحسَّ، وهو ومن على شاكلته لا يؤمنون إلا بالمادة.

٤- الأمر الأخير الذي نذكر به: أن البوذية التي دعا إليها بوذا كانت مناقضة للفطرة البشرية؛ لأنَّ التَّدِينْ غريزة في الإنسان لا يمكن أن يستقرَّ في حياته دون أن يشبع دافع التَّدِينْ، كما لا يمكن أن يعيش إلا آكلاً شارباً.

ولأن بوذا أنكر وجود الإله، كما أنه أنكر وجود شيء اسمه النفس، كما أنه أنكر الأنا، وأنكر وجود الذات -وكما ذكرنا قبلاً مرات- أنكر كل ما ليس بمادة، وأنكر جميع الغيبيات، فإن ذلك كله جعل الذين تابعوه يغيرون مذهبه الإلحاديَّ إلى دين، ولقد فعلوا ذلك ولم يكن قد مضى على موته إلا مدة يسيرة.

ولقد بدأت رياح التغيير على بوذية بوذا وكثير من أصحابه لا يزال موجوداً،

حيث كانت بوادر التغيير قد بدأت بوضع بعض أتباعه تمثالاً لبوذا وسط معابد الهندوس، وصار بوذا واحداً من تماثيل الآلهة في تلك المعابد، ولم يرفض رجال الدين البرهمن أو الهندوس القائمين على خدمة تلك المعابد وجود تماثيل بوذا وسط آلهتهم الثلاثة، حيث اعتقدوا أن في ذلك إقراراً من البوذيين بآلهة الهندوس واعترافاً بها، والهندوسي مسالم بطبعه، فليس لديه مشكلة في أن تزيد آلهته إلهاً، أو يضاف إلى معبده إله.

ثم تلا ذلك: أن اخترعوا لبوذا طقوساً معينة، ثم تبع ذلك أن جعلوا لبوذا معبداً خاصاً به، ثم انتشرت تلك المعابد البوذية بالهند، وبخاصة الأماكن التي تنتشر فيها البوذية.

لكن كان هناك رجال الدين - البرهمن - الذين كان حرصهم على انتشار البرهمية أو الهندوسية قائماً، وخوفهم من انتشار البوذية كان شديداً؛ ولذلك كانت رقابتهم للبوذية ومسيرتها وتطوراتها، وبخاصة وقد تحولت البوذية إلى ما يشبه البرهمية أو الهندوسية وأصبحت ديناً كاملاً، وكان بوذا في هذا الدين هو الإله، وكان الذي سهّل هذا ويسره على البوذيين؛ إنما هم البراهمة أنفسهم - البراهمن - لأنهم هم الذين تركوا البوذيين من أول الأمر يصنعون لبوذا التماثيل ويضعونها في معابد الهندوس، ثم يسّروا لهم إقامة معابد خاصة بهم هم، حتى زاحموا الهندوس كتفاً بكتف، وصارت الهند قسمة بين هؤلاء وأولئك.

وفي هذا الصراع الذي استمر قرابة الألف عام - منذ جاء آسوكا واعتنق البوذية

دينًا، وعمل على نشرها في كل البلاد المتاحة له حتى قريب من عام ثمانمائة ميلادية-  
 ظلت البوذية تسير مع الهندوسية جنبًا إلى جنب في الهند، حتى استطاع الهندوس أن  
 يأخذوا المبادرة ويعملوا على إضعاف البوذية على مستوى الهند كلها.

ووصل الأمر بعد ذلك أن تنمر رجال الدين البرهمن، وشمروا وعملوا بكل  
 ما أوتوا من قوة على طرد البوذية من الهند، وتخليص الهند منها، وقصر الدين في  
 الهند علي الهندوسية وحدها.

ووصل الأمر برجال الدين الهندوس -البرهمن- أن يجاهروا بهذا حتى  
 قال قائلهم: لن نسمح بأن يكون للبوذية وجود بالهند، ولن نسمح بأن يكون لها  
 تأثير على الهنود، ولم يقولوا ذلك إلا لأن الوضع القائم سمح لهم بذلك، حيث  
 اضمحل وجود البوذية بالهند وضعف تأثيرها على الأفراد والشعوب الهندية؛  
 من ثم هاجرت البوذية إلى البلاد الأخرى الذي كان الفضل في إدخال البوذية  
 إليها يعود -بشكلٍ شبه كلي- إلى الملك «أسوكا» الذي عمل بكل جهده على  
 نشر البوذية في تلك البلاد.

والحق أن الفضل لهجرة البوذية من الهند بعد ضعفها وانحسار أتباعها، لم  
 يكن لرجال الدين الهندوس؛ ولكن كان فشل البوذية بالهند راجعًا إلى طبيعة  
 البوذية نفسها؛ حيث البوذية التي تركها بوذا لم يكن فيها إله ولا نفس، ولم تشمل  
 على غيبيات أو عقائد، وبعد هلاك بوذا انقلب مذهبه الكُفري الإلحاديُّ إلى دين،  
 وتحول هو نفسه إلى إله، ولأن هذا كان اختراعًا، وكان مجهودًا قام به البوذيون-

على خلاف بوذا نفسه - فقد كان بمثابة ترقيع لأصل فاسد غير صحيح، ولو كان الأمر بالهند مثل الأمر في سيلان أو التبت أو نيبال أو اليابان أو غيرها من البلاد التي هاجرت إليها البوذية لانتصرت البوذية، لكن الأمر كان بالهند على غير ذلك. فقد كانت الهندوسية ديانة كاملة ثابتة راسخة في قلوب وضمائر الهندوس، ولسنا نعني بأنها كاملة: أنها حقٌّ؛ لكن نعني بأنها كانت مكتملة الأركان بألهتها الثلاثة، إلى جانب مُقدَّساتها، وبذلك ضُمنَ للهندوسية حين نشب النزاع بينها وبين البوذية أن تنتصر في معركتها مع البوذية، وأن تضطر البوذية إلى الهجرة إلى بلاد أخرى، من ثمَّ هاجرت البوذية إلى أماكن كثيرة؛ فقد هاجرت إلى: بورما، وتايلاند، واليابان، والصين، ونيبال، وإندونيسيا، والتبت، وسيلان، وغير ذلك، وبلغ أتباعها مئات الملايين.

لكن البوذية بهذه البلاد لم تكن واحدة لدى الجميع؛ فقد أصبح أتباعها أصحاب اتجاهات، وأصبحوا فرقاً وطوائف، وهذا ما سيُتبيّن لنا - بحول الله تعالى - على الصفحات الآتية.



## الانقسامات الأولى



أشرنا فيما سبق إلى أن البوذية بعد بوذا حالت بها الأحوال، وتغيرت عما تركها بوذا تغيرًا جذريًا، لكننا لكي نضبط هذا التغير نَصَحَب التَّغْيِير من أوله ونسير معه؛ حتى نستطيع أن نضبطه ونحيط به، وليس الأمر سهلًا؛ فإن البوذية دخلت بلادًا كثيرة، ولم يكن لها من الأصول الراسخة المتفق عليها ما يجعلها واحدة لدى الجميع، ولا حتى قريبةً من ذلك؛ حيث كانت في أصلها شيئًا، ثم ذهب ذلك الأصل، وترك الأمر لكل بلد أو شخص ذي تفكير أو تأثير أن يصنع منها ما يشاء حسب تفكيره هو واتجاهاته الخاصة، وحين نقول -في تقسيماتنا-: البوذية القديمة، والبوذية الجديدة؛ ينبغي أن يكون معلومًا أننا نتكلم عن البوذية بعد أن تحولت إلى دين، وأصبح لها ما لأيِّ دينٍ من الأديان طقوس ورجال دينٍ يراعون هذه الطقوس، وأما بوذية بوذا الملحده فقد انتهت تمامًا، ولم يُعَد لها مكان في الأقسام التي نتكلّم عنها.

وذلك أمرٌ بدهيٌّ؛ فإن الذي عمل على نشر البوذية -قبل هذه التقسيمات- كان الإمبراطور «أسوكا»، وقد نَشَرَ البوذية خارج الهند بعد أن آمن بها دينًا وضعيًا، وبعد أن اعتقد أن بوذا هو الإله في هذا الدين.

لكن البوذية التي هي دين كان فيها المذهب القديم الذي يركز عنايته كاملة على الأعمال والأخلاق، دون دخول في التفاصيل الفلسفية أو الأمور النظرية، وكان

فيه كذلك المذهب الجديد الذي خلط فيه أصحابه البوذية بالفلسفات الحديثة، والجوانب العقديّة والنظرية، فهذان الاتجاهان هما أول انقسام ظهر في البوذية؛ ولذلك أطلق عليهما المؤرخون للبوذية أو الأديان الوضعية مصطلحين؛ هما:

الأول: «الهينايانا Hinayana» ويعني: المركبة الصغرى، ويعبرون بهذا المصطلح عن الفريق الأقل أتباعاً، والأضعف تأثيراً من الفريقين.

الثاني: «الماهايانا Mahayana» ويعني هذا المصطلح: المركبة الكبرى، ويعبرون بهذا عن الفريق الأكبر، والأكثر أتباعاً، والأقوى تأثيراً، والمهم هنا؛ أن الفريقين اختلفا في تأويل المأثور لديهم من كلام بوذا، وكان من نتيجة هذا الاختلاف: أن اتَّخذ كلُّ منهما لنفسه طريقاً يختلف عن الطريق الذي اختاره الآخر، وذلك الاختلاف بدأ بالفرعيات، فأصحاب المذهب القديم - كما أشرنا - ركّزوا مذهبهم على الأعمال والأخلاق مُدَّعين أن بوذا كان يركز كل كلامه ونصائحه وتوجيهاته على هذا الجانب، وكان ينصرف نهائياً عن جانب النظريات التي تستهلك المجهود، وتثير الخلاف والأحقاد بينما لا طائل لها في العمليات.

بينما ذهب أصحاب المذهب الجديد إلى الإغراق في النظريات والمعتقدات والأمر النظرية الفرعية التي لا تقتصر على الأعمال والأخلاق، وما هو صواب وما هو غير صواب، وكانت محصلة الخلاف بينهم أموراً لو أننا نظرنا إليها لوجدناها أتفه من أن يختلف عليها، وأكثر سداجة من أن يُعقد مؤتمر للبحث فيها، ومع ذلك فقد عُقدَ مؤتمر للفصل في القضايا الخلافية والتي قام عليها تفرقة الأتباع إلى فريقين كبيرين، وكان الخلاف حول الأمور العشرة الآتية:

- ١- هل مسموح للبوذي أن يتناول في اليوم الواحد أكثر من وجبة واحدة؟
  - ٢- هل يُسَمَّح للبوذي أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالي أضعفين؟
  - ٣- هل مسموح للبوذي أن يحفظ الملح في إناء، دون بقية المأكولات؟
  - ٤- هل يجوز عقد اجتماعات دورية متعددة داخل منطقة واحدة؟
  - ٥- هل يجوز عقد اجتماعات لتقرير أمر يخص الجماعة دون استكمال عدد الأعضاء؟
  - ٦- هل يجوز للمريد أو الطالب أن يحاكي مرشده، أو أستاذه في عاداته وسلوكه، وفي مختلف أفعاله، معتقداً أن هذه المحاكاة يمكن أن تختصر، أو تقلل من عدد الولادات، وتقربه من بلوغ النِّرفانا؟
  - ٧- هل من الخطأ أن يتناول لبناً أخذاً في التَّخْمُر، دون أن يُخَضَّ ويؤخذ منه السَّمْن؟
  - ٨- هل من الإثم أن يتناول المرء السوائل التي تخمَّرت، أو في طريقها للتخمير؟
  - ٩- هل يكون من الإثم أن يجلس المرء على قطعة من القماش المزركش، أو المذهب؟
  - ١٠- هل يجوز للمريد، أو البوذي الملتزم أن يمتلك ذهباً أو فضة؟
- هذه هي الأمور التي وقع الخلاف حولها بين أتباع المذهب القديم وأتباع المذهب الجديد، وقد عَقِدَ هذا المؤتمر في مدينة «فيسالي».
- ويتضح مما ذكرناه من قضايا الخلاف المشار إليها أنّها: أن القضايا المختلفة

عليها هي أنفه من أن يُعقَد من أجلها مجمع، بل هي من السداجة بحيث يظن المرء أن القوم الذين قاموا بذلك إنما يعبثون ولا يجدون، بينما الحق أنهم كانوا في غاية الجِد، وإن هذه الأشياء التي نراها تافهة ولا وزن لها؛ كانت عندهم ذات وزن كبير بحيث تؤثر في العقائد والاتجاهات، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على بساطة الأمور عندهم، وتفاهة شئونهم الحياتية إلى الحد الذي يعقدون فيه مؤتمراً لرأب الاختلاف القائم حول موعد الأكل عند زوال الشمس قيد أصبعين، وحفظ الملح في إناء... إلخ؛ هذه التوافه التي اُفترق الأتباع من أجلها إلى فريقين متناحرين.

ويبدو أن الخلاف عندهم وارد دائماً، ولو لأتفه الأسباب، وأن الاتفاق هو الجانب الأصعب في حياتهم، وأنهم لكثرة الخلافات عندهم دربوا وتعودوا على الإبقاء على أمر يجمعهم، وإلا كانت القطيعة هي السائدة في حياتهم، والتناز هو القاعدة في معاملاتهم.

من أجل ذلك نرى أن أول خلاف حادٍّ بينهم كان الذي فرَّقهم إلى: «الهيانانا» وإلى «المهايانا» أو إلى الجماعة الصغيرة، والجماعة الكبيرة، لكن هذا الخلاف لم يقطع ما بين الفريقين بشكل نهائيٍّ؛ ولكن بقي الكثير مما يتفقون عليه؛ ومن ذلك:

١- أنهم -رغم الخلاف- متفقون على ألوهية بوذا، وعلى القرابين والطقوس التي تُقدَّم إليه.

٢- وهم متفقون على الكثير مما خُلف بوذا من تعاليم، وتحديدًا هم متفقون على أن بوذا جاء بدين، وأنه هو الإله في ذلك الدين، وأنه لم ينكر وجود الإله ولا النفس.

٣- ومما هم متفقون عليه -غالبًا- لا يخالف في ذلك إلا قلة من المهائنا، ولكن يكثر هؤلاء المخالفون من الهينايانا، وهذا الأمر الذي يتفق عليه الكثرة منهم هو: وجود «بوذا» جديد بعد الذي معنا.

وقد سبق وذكرنا أن أتباع بوذا حين جاء كان من عقائدهم التي لا يختلفون حولها: أن سدارثا، أو جوتاما - بوذا- هو آخر البوداوات وأعظمهم، وهو خاتمهم، لكن بعد أن صار بوذا إلهاً وصار مذهبه ديناً؛ ظهرت هذه الدعوى التي تقول بأن بوذا جوتاما ليس هو آخر البوداوات.

ولكن سيأتي بعده بوذا أعظم منه سوف يظهر في المستقبل وفي الوقت المقدر، إنهم يزعمون أن بوذا جوتاما قد قال لصديقه «آناندا»: «البوداوات كثيرة، وقد ظهر منهم كثيرون، ولست أنا أول واحد منهم، ولن أكون الأخير؛ بل سيأتي من بعدي بوذا آخر، وسيظهر في أفق العالم في الوقت المقدر بوذا مقدس طاهر صادق، يشعُّ نوره في الأرجاء، ويفيض حكمة وهداية، ويملأ الدنيا بشراً وسعادة، وسينتشر أمره في جميع أنحاء العالم، وسيكون هادياً إلى الخير، ولا يكون له نظير فيما مضى، يهدي الناس إلى الحق، وسيطر على جميع الموجودات، ويذيع فيكم الحقائق الأزلية الأبدية التي أذعتها فيكم من قبل، ويثبت أركان قانونه؛ المبارك البداية، الميمون النهاية، النبيل الأهداف، العظيم الأغراض، ويبعث فيكم الحياة الطيبة التي تفيض صفاء وكمالاً، وسوف يزيد أتباعه حتى يربو على مئات الآلاف، يزيدون أضعاف أتباعي الذين لا يبلغون المئات».

قال تلميذه وصديقه أناندا: هل سيكون باستطاعتنا أن نعرفه؟ فأجاب بوذا: «إنكم ستعرفونه، وسيكون اسمه ميتريا Maitraya».

وأياً ما كان فقد كانت هذه هي الاختلافات الأولى التي قسمت البوذية الدينية إلى قسمين: «الهيانيا» أو الفريق الصغير، ثم: «المهايانا» وهم الفرقة الكبيرة ذات التأثير القوي، ولكن هذه كانت كما عُنُونًا لها؛ هي الانقسامات الأولى، وكلمة «الأولى» تعني: أن الأمر لم يقف عند هذه، بل انطلق في التفرق والاختلاف إلى اليوم، وما بعد اليوم، لكن هذه التفرقات والاختلافات التي لم تقف عند حدٍّ؛ لا يمكن استيعابها في مؤلَّف أو كتاب يؤرخ لها إلا تحت أمرين اثنين:

الأول: أن تستبعد التفرقات الصغرى، أو الفرعية التي يمكن الاستغناء عنها عند التأريخ للفرق البوذية؛ من حيث إنها لا وزن لها كبيراً في تأريخ البوذية، وحين تستبعد فإن ذلك لا يعني فقدان شيء له قيمة.

الثاني: أن تقسم هذه الاختلافات حسب المراحل التاريخية؛ مثل أن تقسّم هذه الاختلافات إلى ثلاث مراحل أو أكثر؛ حتى لا يشتت الانتباه كثرة التقسيمات وتعدد التفرعات.

لذلك وضعنا هذه التقسيمات تيسيراً وتوضيحاً على قدر الإمكان.



## الفِرَق البُودِيَّة



لقد مرّ بنا أن البوذية قد دخلت أقطارًا متعددة، واستقرت بين شعوب كثيرة، وفي وقت قياسي دخلت أقطارًا، واستقرت في دول وبين شعوب تزيد على الثلاثين في قارة آسيا، والجزر التي تتناثر حولها، وجميع هذه الشعوب لها ثقافات متعددة، وفلسفات مختلفة، ولهم أفكارهم وعاداتهم، ولهم كذلك - وبالضرورة - اتجاهاتهم الدينية التي نشأوا فوجدوا آباءهم عليها دينًا والتزامًا واعتقادًا، فاقتدوا بآبائهم وقالوا:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ولقد عملت هذه الخلفيات المتعددة، وهذه الفلسفات والثقافات المختلفة عملها في القادم الجديد، -نعني: البوذية- فاصطبغت البوذية في كل قطر أو بلد دخلته بصبغة خاصة، ليست هي نفس الصبغة التي عليها البوذية في البلد أو البلاد الأخرى، فاختلف المضمون والمحتوى، مع أن الجميع قد أطلق عليه «البوذية»، ولكن هذه البوذية تختلف عن هذه البوذية اختلافًا بيّنًا، ومع هذه الاختلافات، ومع التقارب والتجاور بين هذه البلاد، وهذه الشعوب حدث أن تعصّب أصحاب كل بوذية لبوذيتهم، معارضين ومناوئين المذاهب الأخرى في البوذية، حتى وصلت المذاهب المختلفة في البوذية إلى ثمانية مذاهب -فيما نعلم- على أن ثمة خلافاً فرعية أخرى لو تتبعناها وحرصنا على إثباتها لاتسع الخرق على الراقع، وتشتت الأمور أكثر.

وكان السبب في هذه الخلافات -رغم الاتفاق على أصل الديانة الوضعية-: أن كل فريق انتصر لبوذيته وتعصب لها، وأخذ كل فريق يؤوّل أقوال بوذا المأثورة لديهم تأويلات معينة، ويفسرها تفسيرات خاصة، بحيث ينتصر لمذهبه ورؤيته الخاصة، وهذه نجدها لدى جميع الشعوب التي دخلتها البوذية، وقد نتج عن ذلك طوائف كثيرة؛ أهمها:

### الفرقة الأولى:

هذه الفرقة تقول بما يشبه «وحدة الوجود» التي جاء بها الحلاج وأمثاله، لكن ليس بهذه الطريقة الفجة الصادمة، ولكنهم يقولون بأن الإله واحد، بمعنى: أنه لا يوجد إلهان أو ثلاثة، فهم إذاً موحدون، لكنهم يقولون بأن الإله الواحد لم يخلق العالم كله، ولكنه خلق عددًا من النفوس محدودًا، ووضع فيه خاصية الزيادة تبعًا لقوانين معينة خلقها في هذا العدد المحدود؛ من ثمّ فالعالم يزداد فيه أعداد الموجودات ذاتيًا، نتيجة القوى والقوانين التي وضعها في العدد المحدود الذي خلقه.

وهذه الطائفة تنحو منحى «وحدة الوجود» حيث يقولون بأن الإله واحد في ذاته، لكنه خلق من الخلق صورًا تدلُّ عليه، فهذه الصور هي ذات الإله مشكّلة بأشكال مختلفة.

وتذهب هذه الطائفة إلى أن الأرواح التي خلقها الإله كانت تعيش في العالم العلوي أولاً، وهناك اكتسبت جميع المعارف، كما عرفت الخير، وعرفت الشر،

وحين هبطت إلى العالم السفلي وحلّت في أجسام الحيوان أو الإنسان صارت تتذكر الصواب والخطأ، والضار والنافع، والحسن والقيبح، ولم تعد بحاجة إلى رسل أو أنبياء؛ لأنهم في غنى عن ذلك بمعارفهم السابقة التي هم عليها منذ كانوا في العالم العلوي.

وقد أنزل الإله هذه الأنفس وبتها في نوعي الإنسان والحيوان فقط دون الطيور والحشرات، وجعلها تناسخ فيما بينها، فتنتقل الأنفس بين الإنسان والحيوان دون بقية المخلوقات، وجعل التناسخ محكومًا بالكارما، فالكارما لها قانونها الذي ينظم عملية التناسخ، وهم يستدلون على التناسخ بأدلة كثيرة.

وهؤلاء لا فائدة ترجى من مناقشتهم في قضية التناسخ؛ لأنها قضية جنس وشعب، وليست قضية دين، وقد سبق وبيّنّا ذلك في موضعه من البحث، وقلنا أنفًا: إن التناسخ لا صلة له بالدين بالنسبة للهنود؛ لأنه قضية تجري منهم جميعًا مجرى الدم، والهندي لو كان يدين بالهندوسية أو البوذية، أو كان حتى ملحدًا فهو مؤمن بالتناسخ، وكل من دخل الهند وعاش فيها وقع تحت الإيمان بهذه العقيدة -عقيدة التناسخ- ولم ينبج من ذلك إلا المسلمون الهنود.

بل إن بعض المسلمين قد اعتنقوا عقيدة التناسخ، وباعوا دينهم الإسلام وخرجوا منه بسبب اعتناقهم التناسخ؛ منهم: محمد أبو بكر الرّازيُّ الطيب، ومنهم أحمد بن حابط، ومنهم أبو مسلم الخراساني -رغم أنه لم يكن بالهند- وهؤلاء التناسخيون لهم أدلة كثيرة على أن التناسخ حق، والذين كانوا مسلمين

منهم يستدلون من القرآن الكريم بالآية الكريمة:

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الزخرف: ٦-٨].

ويستدلون كذلك بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

وهذا مع تأويلاتهم الفاسدة التي يتكلفون فيها ليصلوا إلى ضلالهم، وقد سبق أن تكلمنا عن التناسخ وعن أدلتهم عليه بما يكفي عن الإعادة هنا.



### الفرقة الثانية:

وتذهب هذه الفرقة إلى أن الإله واحد في ذاته، وأنه منزّه عن المادة، أو الحلول في مادة؛ وهذه هي الدرجة الثالثة في التجرد، وهي أعلاها وأسمها، وهذه الدرجات هي:

١- أن يكون الموجود مادة، وهذه الدرجة هي أكثر الدرجات الثلاثة إسفافاً؛ حيث إن الموجود إما مادة وإما مجرد، والمجرد أسمى، والمادة أخط وأسف؛ وإنما كان ذلك لأن المادة تتكون من العناصر الأربعة، وهي خاضعة للموجود والعدم، وأما المجرد فليس فيه شيء من ذلك.

٢- أن يكون الموجود مجرداً، لكن له اتصال بالمادة؛ كالنفس أو الروح فهي

مجردة لكنها تحلُّ في المادة وتُدبَّرها، وهذه الحالة في الوسط، فهي سامية وكاملة لأنها مجردة، لكن ينقص من سُمُوها وكمالها اتِّصالها بالمادة.

٣- أن يكون الموجود مجردًا تمامًا، فلا هو مادة، ولا هو متصل بالمادة؛ وهذه هي المنزلة الأسمى في الموجودات.

وهي منزلة الإله عند الفرقة الثانية، حيث ينصُّون أن الإله منزَّه عن المادة، ومنزَّه كذلك عن الحلول في المادة.

هذه الفرقة تقول بالتناسخ طبعًا؛ لأننا قلنا: إن التناسخ طبع في الإنسان الهندي، لكن هذه الطائفة ربما شعرت ببعض المآخذ على التناسخ، فضيقت بقدر ما تستطيع من مجاله في مذهبها، وكان تضييقها علامة على ضيقها من التناسخ وإن لم يستطيعوا منه فكاكًا، من هنا قالوا: إن التناسخ ليس على إطلاقه، وليس للكارما الحرية الكاملة في أن تذهب بالنفوس إلى حيث تشاء؛ من هنا كانت عقيدتهم في التناسخ أن نفس كل إنسان تنتقل إلى مثيله، فنفس الملك تنتقل إلى ملكٍ مثله، ونفس الصانع تنتقل إلى صانع، والفلاح إلى فلاح وهكذا، ولا ندري ما مظهر الجزاء في هذا التناسخ؛ إذ ليس فيه كبير مجازاة للإنسان على ما سبق منه في حياته السابقة.

وتعتقد هذه الفرقة فيما يشبه إرسال الرسل والأنبياء؛ إذ يعتقدون أن الإله يختص بعض البشر بنوع من الكمالات والمميزات، فيصبح هؤلاء أمثلة للكمالات البشرية، ويلتفت إليهم الناس ويتأثرون بهم، وهم يظهرون الرضا

والحب لبعض الناس الذين يتجردون عن الشهوات، ويلتزمون الأخلاق الطيبة، ويخصونهم بالرضا عنهم وحبهم وبيان منزلتهم عند الناس، وهؤلاء الذين يختصهم الإله بالكمالات البشرية يحضون الناس على البعد عن الخبائث وسوء الأخلاق، ويخصونهم على الأعمال الطيبة.

من هنا كان الزمان لا يخلو عن واحد أو أكثر من هؤلاء النماذج الطيبة الصالحة من البشر، التي ينصبُّ فيها الإله الواحد من هؤلاء ليرعى الناس، ويخصُّهم على الأعمال الطيبة، ومن حكمة الإله أن لا يخلو الزمان عن واحد أو أكثر من هذه المثل الطيبة.

ولعمري إن لم تكن هذه هي مهمّة الرسل؛ فإنها قريبة منها قريباً شديداً.



### الفرقة الثالثة:

تتفق هذه الفرقة مع الفرقة السابقة في الأمور الآتية التي هي - في نفس الوقت - الأسس التي تقوم عليها هذه الفرقة وسابقتها؛ وهذه الأمور هي:

١- أن الإله واحد، وأنه منزّه عن المادة وما دمنّا نرّهناه عن المادة؛ فهو منزّه عن الهيولى والصورة، ومنزّه كذلك عن العناصر الأربعة التي تتكون منها الهيولى بالفعل.

٢- أن الإله لا يحلُّ في غيره، فمبدأ الحلول غير وارد؛ فالإله إله، والمخلوقات مخلوقات.

٣- أنه خلق الأرواح أو الأنفس حسب مشيئته، يزيد فيها ما يشاء، ومشيئته في هذا مطلقة، وفي هذه الجزئية نلاحظ أن بعض الفرق ذهب إلى أن الإله خلق عددًا من النفوس، وأغلق الباب، مكتفيًا بأنه وضع في النفس خاصية النماء كمًا، فهي تزداد من نفسها، لكن طائفة أخرى قالت: إن الإله هو الذي يخلق كل صغيرة وكبيرة، وباب الخلق مفتوح أمامه.

٤- أن التناسخ حق وواقع، وأن الإنسان يتناسخ إلى مثله أو إلى الحيوان، وكذلك الحيوان، فالتناسخ واقع بين النوعين: الإنسان والحيوان.

٥- أن الإله يوجد صورةً حسنة يشبه نفسه بها؛ حتى يعتقد أتباعه أنه جميل مثل هذه الصورة؛ لكنه لا يحل في هذه الصورة، ولا في غيرها، فقط هو بهذه الصورة الحسنة يُقَرَّبُ حُسْنَهُ لعقول البشر أنه مثل هذا الحسن، أما هو فليس يحل في شيء؛ لأننا ذكرنا أنه ليس مادة، ولا يحل في مادة، والحلول هو من أنواع الاتصال بالمادة، وهناك من ينفي تمامًا خلقه للصورة الحسنة.

٦- أن الإله لا يرسل أنبياء ولا رسلاً إلى الخلق من البشر؛ وذلك لأمرين:

أ- أن النفوس التي خلقها الإله كانت تعيش في العالم العلوي، ثم أهبطها الإله إلى العالم الأرضي، فهي عليمه بما هو حق وباطل، وبما هو خير وشر، فليست بحاجة إلى من يعلمها.

ب- أن الإله خلق في كل زمان أناسًا صالحين يعدُّهم إعدادًا خاصًا يعرفون الخير ويأمرون به، ويعرفون الشر وينهون عنه، ويتعدون عن

الشهوات الحيوانية، ويتجردون لعبادة الإله، بل إنهم يحلُّون محلَّ الإله في بيان مكانة كل إنسان من رضا الإله عنه، فيرضون عن المطيعين، ويغضبون على المُسيئين، وهم في جملة أعمالهم كأنهم رسل أرسلهم الإله ليقوموا بنفس المهمة التي يقوم بها الرسل لدينا نحن المسلمين، لكن على عقيدة البوذيين الذين آمنوا بأن بوذا إله.

٧- هذه الفِرَق، وبجانها فِرَق أقل أهمية، وأضعف شأنًا - بل جميع الفرق والطوائف الدينية بالهند - لا يعتقدون في الرسل والأنبياء، ولا يبيحون في عقائدهم أن الإله قد يرسل رسلاً إلى البشر؛ وذلك للأمرين المتقدمين:

أ- أن الإله وضع في النفوس قدرة على معرفة الخير والشر، والتمييز بينهما، فالنفوس تميز الخير والشر، وتفرِّق بين الضلال والهدى.

ب- وأنه في كل زمان يوجد ناس يعرفون الخير ويدلُّون الناس عليه، ويعرفون الشر ويحدِّرون الناس من الوقوع فيه، ولا يوجد زمان يخلو من هؤلاء - كما ذكرنا قبلاً - فلماذا الرسل، وما فائدتهم؟!



## الفصل الثالث

### مسيرة البوذية حتى العصر الحديث

انتهينا من الحديث عن فرق البوذية التي لها وزن في آرائها، وتكلمنا عن عقائد هذه الفرق منذ ذهب بوذا، وتغيرت بوذيته من مذهب إلحادي إلى دين، وتحول هو من داعٍ إلى ذلك المذهب إلى إله في البوذية الجديدة التي تحولت إلى دين، وكان لا مفر من أن يتحول هو إلى إله، ما دام قد تحول مذهبه إلى دين؛ لأن كل دين يقوم أساسه الأول على إله لهذا الدين، ولم يكن للبوذية من إله يصلح لها إلا بوذا نفسه، وهكذا كان.

لكننا لم ننته من موضوع البوذية بعد؛ لأن حديثنا عن الفرق البوذية كان منذ بداية تفرُّقها إلى الفرقتين الأوليين: الصغرى، والكبرى، اللتين عبَّرَ عنهما المؤرخون بالمركبتين: المركبة الصغرى، واسمها: «الهنايانا»، والمركبة الكبرى، واسمها: «الماهايانا»، ثم تلا ذلك تفرقات كبيرة، وقد نتج عن ذلك مجمعان شهيران؛ تسمَّى كلُّ مجمعٍ منهما باسم البلد الذي عُقدَ فيه، فقد عقد البوذيون المختلفون مجمعاً في بلدة: «راجاجريها»، ثم عقدوا مجمعاً ثانياً - وهو الأشهر - ببلدة «فيسالي»، وهاتان البلدتان تم اختيارهما للمؤتمرين أو المجمعين على أساس أنهما كانتا أحب الأماكن إلى بوذا، لكن المؤتمرين لم يأتيا بالنتيجة المرجوة؛ بل اتسع الخلاف، وكثرت التأويلات والخلافات حول كلام بوذا، من

ثمَّ كثرت الفرق، وبخاصة بعد أن انتشرت البوذية في قرابة الثلاثين بلدًا في آسيا والجزر حولها.

ونحن هنا سوف نبين مسيرة البوذية -بحول الله تعالى- في كثير من هذه البلدان التي دخلتها، منذ دخلت البوذية هذه البلاد حتى اليوم.

### أولاً: البوذية في سيلان:

كانت مملكة سيلان أسبق الممالك في استقبال البوذية حين هاجرت من الهند، وحين ضاقت الهند بها، وكانت أول البلاد ورودًا على ذهن الإمبراطور «أسوكا» حين فكر في نشر البوذية خارج البلاد الأخرى.

وكان أسوكا ٢٦٤ - ٢٢٧ ق.م قد فكر في سيلان قبل أن يفكر في البلاد الأخرى؛ ولذلك خصَّ سيلان بشيء لم يعمّمه على البلاد الأخرى، حيث أرسل إلى سيلان - مع الوفد البوذي الذي أرسله إليها - فسيلة من شجرة المعرفة التي تلقى بوذا تحتها الحقائق الأربع النبيلة - ولا نقول: تلقى الوحي، كما يقول البعض - فإنَّ الوحي لا يقول به إلا من يؤمن بالإله، وبوذا في حقيقة أمره لم يكن مؤمنًا بإله؛ بل كان ينكر الإله والنفس والذات وجميع الغيبات.

نقول: إن الإمبراطور أسوكا أرسل إلى سيلان فسيلة من شجرة التين الكبيرة التي تلقى تحتها بوذا الحقائق، والتي اعتبرها إيدانًا له ببداية دعوة الناس إلى البوذية، شجرة التين هذه، والتي تُسمَّى «البو»، أرسل أسوكا إلى سيلان فسيلة منها هدية إلى أهلها مع وفد الدعوة إلى البوذية، وتقبَّل أهل سيلان الفسيلة كما

تقبَّلوا الدعوة بيد الشكر والثناء على المُهدي، واستقبلوا الوفد الذي أرسله آسوكا استقبالاً جيداً، وأقبلوا على البوذية فاعتنقوها، وكان من إقبالهم أن وصل البوذيون في سيلان أكثر من ثلاثة أرباع السكان الذين وصل عددهم في مطلع القرن العشرين قريباً من أربعة ملايين.

أما عن الشجرة التي أهداها آسوكا فقد وصلت إليهم حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ٢٥٤ ق.م، فقد عُني بها البوذيون عنايتهم بالبوذية نفسها، وتعهَّدوها بالرعاية والعناية، وأقاموا على جوانبها أعمدة تحميها من أن تؤذيها أشجار أخرى، ومهدوا الأرض من حولها حتى أخرجت باستمرار ودون انقطاع جذوراً وفروعاً جديدة، وما زالت حتى الآن قائمة مكانها، حتى لُتعدُّ من أعاجيب الزمان، وهي أقدم شجرة على وجه الأرض.

ويروي بعض المؤرخين أن «ماهاندا» ابن آسوكا بعد وفاة أبيه أرسل بعثات كثيرة إلى سيلان، وأظهر اهتماماً كبيراً بإدخال البوذية ونشرها في سيلان؛ ولذلك يذهب هؤلاء المؤرخون إلى أن الذي بدأ البوذية في سيلان هو الإمبراطور آسوكا، ولكن الذي عمل على نشرها هناك إنما هو ماهاندا ابن آسوكا.

وقد أصبحت سيلان دولة بوذية تنتشر فيها المعابد البوذية الكبيرة في جميع أنحاء البلاد، وهناك -إلى جانب ذلك- مكان مشهور بالنسبة لأهل البلاد، بل والبلاد المجاورة، هذا المكان هو مقاطعة «كانديان Kandyan»، حيث بُنيَتْ به معابد ضخمة، وهياكل فخمة، وقفت عليها أوقاف واسعة من الأراضي للإنفاق عليها.

## ثانياً: البوذية في الهند:

نشأت البوذية - أصلاً وابتداءً - بالهند، وانتشرت بالهند في حياة سدارثا - بوذا منشئها - ولأنه لم يكن مؤمناً بوجود الإله؛ لم يبن في حياته معبداً ولا شيئاً من ذلك، لكن بعد موته صنع أتباعه تماثيل له، ووضعوها بالمعابد البوذية، وقد اعتبر رجال الدين البرهمن - أو الهندوس - هذا العمل من جانب أتباع بوذا انتصاراً للهندوسية، وَرِدَّةً صريحة من البوذيين إلى دينهم الأصلي السابق، ثم جاءت فترة من الزمان كان الدينان - الهندوسية، والبوذية - كَفَرَسِي رهان يمشيان جنباً إلى جنب، ثم بدأت في مطلع التاريخ الميلادي تميل الكفة ناحية الهندوسية، وضعفت البوذية ضعفاً شديداً بالهند، وتحفّز رجال الدين البراهمن ضد البوذية، حتى قال قائلهم: لن نسمح بوجود البوذية بالهند، ولا أن يكون لها أي ذكر ببلاد الهندوسية.

وبالفعل تضاعف عدد البوذيين بالهند حتى وصل إلى قريب من نصف مليون على أطراف الهند من ناحية نيپال والتبت، وإقليم البنجاب بالهند، وفي بورما كذلك، كما سيأتي في الفقرة القادمة.



## ثالثاً: البوذية في بورما:

ومثل الهند هناك البوذية التي دخلت بورما، وتجتمع البوذية بالهند وبورما في أن كلاً منهما يتبعون مذهب الهينايانا، أو المركبة الصغرى، وهذا المذهب

هو الأقرب إلى البوذية الأولى التي دعا إليها بوذا في البداية، ونحن حينما نقول: أقرب إلى دعوة المؤسس بوذا؛ لا نقصد حقيقة دعوة بوذا -التي أهم ما فيها: أنه ينكر الألوهية- نحن لا نقصد هذا لأنَّ دعوة بوذا قد تحولت إلى دين، وتحول هو إلى إله معبود، وقد بُنيت له المعابد، وأقيمت له التماثيل، وأصبح له رجال دين يزاولون الطقوس، فهذه أمور صارت مُقرَّرة ومسلماً بها، سواء عند المركبة الصغرى -الهيانيا- أو المركبة الكبرى -الماهايانا- فليس هناك كلام عند هؤلاء أو أولئك يتصل بالإلحاد أو إنكار الألوهية الذي كان يدعو إليه بوذا.

لذلك حينما نكتب نحن أو غيرنا بأن الهيانيا أو المركبة الصغرى هي أقرب إلى دعوة بوذا من الماهيانا أو المركبة الكبرى؛ نعني: الجانب العملي والجانب النظري الفلسفي، فالمركبة الصغرى -أو الهيانيا- تُعنى بالجانب العملي، وتُعنى بالأخلاق، وتُعنى بتربية النفس بعيداً عن الجوانب النظرية أو الفلسفية التي تُعنى بها المركبة الكبرى أو الماهيانا، ومثل ذلك حينما نقول: إنَّ الهيانيا أقرب إلى المذهب القديم من الماهيانا التي هي أقرب إلى المذهب الجديد؛ فإننا نعني هذا المعنى الذي ذكرناه.

وليس المراد أبداً: أن المذهب القديم هو المذهب الإلحادي الذي دعا إليه بوذا، فالمذهبان أو المركبتان الصغرى والكبرى كلتاهما قائمتان على تأليه بوذا، لكن الفارق بين الاثنتين: أنَّ إحداهما -وهي الصغرى- تميل إلى الأخلاق العملية، وتبتعد عن الجوانب النظرية، والثانية عكس الأولى.

ومثالاً على ذلك: البوذية في بورما هي أقرب إلى البوذية الأولى، أو إلى المذهب القديم، أو إلى المركبة الصغرى، أو إلى الهينايانا، وكل هذه تعني: أن بوذا إله، وهذا أمر منتهى منه، ولا كلام فيه، ولكن معنى: المذهب القديم؛ أنه يُعنى بالجوانب العملية والخلقية، أكثر من المذهب الجديد الذي يُعنى بالجوانب النظرية والفلسفية أكثر من الجوانب العملية.

وهذا المذهب القديم انتشر في بورما، ومن قبل ذلك انتشر في نيبال، وما جاور هذين البلدين من البلاد التي دخلتها البوذية، ومثالاً على ذلك فإن البوذيين في بورما لا يعنون بالجوانب النظرية؛ ولكنهم يعملون الأعمال الطيبة، فهم -على سبيل المثال- يُوجِبُونَ على كل بُورميٍّ أو فرد في بورما أن يقدم الأعمال الطيبة التي تؤهله لأن تحلَّ فيه رُوحُ الإله، وأن يعيش على ذلك ما بقيت له الحياة، وإذا حدث له تناسخ فهو على هذه الحال، والأعمال الطيبة عنده تشتمل على التصدق على الفقراء، وفي مقدمتهم هؤلاء الدراويش أو الرهبان الذين يمشون وفي أيديهم «الكشلول» أو إناء من خشب يتسول فيه الطعام؛ كما كان بوذا يفعل طوال حياته، والتعاون في بناء المعابد، وتقديم الطعام للرهبان -كما ذكرنا- وإقامة المرافق العامة كالجسور والطرق، وهم حينما يفعلون ذلك لا يقصدون بها التظاهر أو إرضاء الآخرين؛ وإنما يقصد أن يرضى الإله لتحلَّ فيه رُوحُه، أو ليكون ذلك عملاً طيباً ينتفع به في مستقبل حياته.



### رابعاً: البوذية في التبت:

دخلت البوذية إلى التبت وهي في حالٍ من البساطة والسذاجة، وكانت التبت قبل ذلك تدين بأديان متعددة، لكن ينتشر فيها عبادة الأسلاف والأوثان، وكان لألهتهم التي يعبدونها معابد ورجال دين، يترع في هذه المعابد العديد من الأصنام، وكانت قد انتقل إليهم نوعٌ من الديانة المتأثرة بالهندوكية أو البرهمية بالهند، لكن بدون أسس، ولذلك لم تنتشر؛ بل كانت نوعاً من الديانات التي تتعايش مع الديانات الأخرى، لا يجمع بينها سوى تقديس الأصنام، وبناء البيوت أو المعابد لتلك الأصنام.

هذه المقدمة التي قدّمنا بها مهمة؛ لأنها تدل على أن التبت كانت قد ألفت بناء المعابد، ووضع التماثيل والأصنام بداخلها، يضاف إلى ذلك - كما ذكرنا عن الهند آنفاً- أن إضافة صنم أو تمثال إلى التماثيل الموجودة في المعبد كان أمراً عادياً، ولم يكن يمثل مشكلة تستثير أصحاب المعابد؛ سواء من رجال الدين، أو المتدينين المترددين على المعبد.

في هذه الظروف التي شرحناها دخلت البوذية إلى التبت، وكان دخولها مثلاً لكل البلاد التي دخلتها البوذية في تلك المناطق والبلدان، فقد دخلت البوذية على أيدي أفراد معدودين عرفوا هذا الدين -البوذية- في أسفارهم إلى الهند أو سيلان أو غيرها من البلاد التي ينتشر فيها هذا الدين، وظلت البوذية على وضعها هذا دينا لبعض الأفراد، يضاف إلى ذلك من تأثر من أهل هذه البلاد بهؤلاء الأفراد المعدودين.

وقد ظل الأمر على ذلك قرونًا طويلة حتى جاء الملك «سرونج تسان جاميو» وقد كان ذا نشاط واسع في التبت، وهو الذي أنشأ مدينة «لهاسا» عاصمة التبت. وقد اعتنق هذا الملك البوذية دينًا، ثم أصدر قرارًا بإدخال البوذية إلى التبت دينًا رسميًا للدولة، وكان ذلك عام اثنين وعشرين وست مائة ميلادية، وكان الملك في ذلك الوقت ابن ثلاث وعشرين سنة، وقد بدأ بإرسال الوفود إلى الهند ليجمعوا كتب البوذية -حُطِبَ بوذا- ما كان منها صادقًا حقيقيًا، وما كان منحولًا ومضافًا إليها، ثم أُحضِرَتْ هذه الكتب، وكانت في جملتها كمًّا هائلًا، عكف عليها المتخصصون لترجمتها إلى لغة التبت.

بل يذكر أنهم لكي يترجموا هذه الكتب الكثيرة من اللغة الهندية إلى لغة التبت اضطروا إلى اختراع أبجدية في لغة التبت تشبه الأبجدية الهندية، المهم أنهم ترجموا هذه الكتب إلى لغة التبت، واعتنق أهل التبت البوذية، وأصبحت ديانة رسمية لأهل التبت يزاولونها جميعًا، مع ملاحظة أن البوذية في التبت تختلف عنها في البلاد الأخرى، بل كل بلد زاول الديانة البوذية، فإنه زاولها مختلفًا في ذلك عن كافة البلاد الأخرى، لا يجمع بين البوذيين في أي بلد يدين بالبوذية سوى أن بوذا هو الإله، أما ما عدا ذلك فلكل بلد تقليد خاص به في مزاوله الديانة البوذية لا يشاركه فيها بلد آخر.

أما البوذية في التبت فكان من الأمور الخاصة بها: أن الملك «سرونج تسان جاميو» قد اعتنق البوذية، وكذلك زوجته اعتنقتا البوذية، فتحمس الشعب للملك

وزوجتيه ورفعهم جميعاً إلى رتبة التقديس، بل وضعهم ضمن معبوداته الكثيرة، التي كان بوذا أعظمها بطبيعة الحال.

وقد ظل الأمر على ذلك حتى تُوفِّيَ الملك وزوجتاه، فتدهورت حال البوذية، وأصبح حال رجالها في تدهور، وأصبح أتباعها عرضة للاضطهاد والتضييق عليهم، وظل ذلك عشرات السنين، حتى جاء الملك «كير تسوتج تسان» فأعاد للبوذية مجدها، وللبوذيين مكانتهم واعتزازهم بدينهم، ثم جاء خليفته وابنه الملك «لانج»، فسلك مع البوذيين مسلك الملك الأسبق وعَدَّهم وضيَّق عليهم، وهكذا ظل أمر البوذية بين انحسار وانفساح تبعاً لأهواء الملوك الذين يجلسون على عرش التبت، حتى جاء عام إحدى وسبعين وتسع مائة من الميلاد، وجلس على العرش «بيلام جور» فنشطت البوذية من عقالها باعتراف الملك إيَّاهَا، فأعزَّز الملك أهلها، وأطلق نفوذ رجال الدين البوذي؛ ومن ثَمَّ قَوِيَ نفوذهم، وانطلق زعيمهم «اللاما Lama» يعلو شأنه هو ومساعدوه من رجال الكهنوت، واتضح أن ذلك العهد هو العهد الذهبي للبوذية.

ولم يكن الأمر كذلك فقط؛ بل كان ينتظر البوذية والبوذيين ما هو أكثر من ذلك، حيث ظهر «جنكيز خان» في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي ١٢٠٦م - ١٢٢٧م، وأسس الإمبراطورية المغولية، فتطوَّر الأمر لصالح البوذية أكثر، حيث اعتنق حفيد جنكيز خان - واسمه «قبلاي خان» ١٢٥٧ - ١٢٩٤م - اعتنق البوذية على يد زعيم البوذيين «اللاما».

وقد انحاز الإمبراطور قبلان خان إلى رجال الدين البوذي بشكل كامل، حتى إنه عيّن كبير البوذيين الكهنة «اللاما» رئيسًا للدين البوذي الرئيسي بمدينة «ساكيا» جنوبي التبت، ثم منح «اللاما» لقب الحاكم الديني للبلاد، ومنحه كذلك سلطة الإشراف على جميع حكام الأقاليم وجميع رجال الدين، وبذلك أصبح اللاما مطلق اليد في أمور كثيرة، وبخاصة فيما يتصل بالدين.

وفي مقابل ذلك؛ فقد نصّب «اللاما» «قبلاي خان» إمبراطورًا للبلاد، فأصبح قبلاي خان إمبراطورًا لإمبراطورية المغول، بمتقضى ذلك تكون التبت قد أصبحت جزءًا من إمبراطورية المغول؛ أي: جزءًا من الصّين، وبذلك تم - أيضًا - جعلُ اللاما الزعيم الكهنوتيّ - أو الدينيّ - حاكمًا دينيًا لإمبراطورية المغول، أو الصين جميعها، بينما قبلاي خان هو الإمبراطور، ويبدو - والله سبحانه هو الأعلم - أن هذا قد تم باتفاق بين الإمبراطور قبلان خان وبين اللاما؛ أن يعيّن الإمبراطور اللاما حاكمًا عامًا، وأن يعيّن اللاما ويبارك الإمبراطور قبلاي خان إمبراطورًا على الصين جميعها، ومنها بلاد التبت؛ والذي يدعو إلى هذا الشك أو الظن: أن الأمرين قد تمّا متتابعين مباشرة؛ هذا أولاً، ثم ذاك ثانيًا.

وقد استمر هذا النظام يضمن للبوذية هيمنة كاملة، وللاما حكمًا مستقرًا، حتى إن اللاما ورجال دينه الكهان البوذيين كانوا أول من خرج على التعاليم البوذية في أحد الجوانب المهمّة؛ وهي قضية زواج رجال الدين، فإنه من المستقر في البوذية أن رجال الدين لا يتزوجون، لكن اللاما خرج على هذه القاعدة المستقرة، وتزوج، بل تزوج بأكثر من واحدة، وسار على خطاه رجال الدين

الآخرون، فتزوجوا، ثم إنهم كذلك غيروا أُرديتَهُم وملابسهم الخشنة إلى ملابس وألوانٍ جيدةٍ، وقد استمر الحال هكذا قريباً من ستين عاماً، حتى جاء رجل دين جديد اشتغل بقضايا البوذية والبوذيين، فوجّه النقد شديداً للاما ورجال كهنوته.

وُلِدَ هذا الرجل - واسمه «تسونج كابا» - سنة ١٣٥٧ م، أي: حول منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وقد نشأ نشأة دينية، وعمل في مطلع شبابه بالدعوة البوذية، ونشط في ذلك بجرأة غير معهودة حتى لفت الأنظار إليه، وما إن بلغ مبلغ الرجولة حتى التفَّ حوله الآلاف من البوذيين الذين نعموا على رجال اللاما، وعلى اللاما نفسه، نعموا منهم صلفهم وتكبرهم، وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه، فقديمًا منذ قريب من ألفي عام مضت قام رجل اسمه «سدَّارثا» - والذي تحوَّل فيما بعد إلى بوذا - يدعو إلى نِحْلَتِهِ التي تحولت بعد موته إلى دين، وقبل أن يسلك مسلك الرهبنة زوّجه والده الأمير على قبيلة ساكيا، ولولا أن أباه زوجه ما تزوج؛ لأنه منذ سلك طريق الرهبنة ما عرف للنساء طريقًا - حسب علمنا - وقد ترك زوجه وابنها «راهولا» ولم يرَهُما لعشرات السنين، ولولا أن صديقه وابن عمه «آناندا» قد توسل إليه أن يرى زوجه بعد أربعين عامًا - تقريبًا - ما فكر أن يراها، وكانت له نصائح مشهورة لمريديه يحذّرهم فيها من المرأة، حتى إنَّ أحدهم سأله:

كيف نعامل النساء أيها السيد المبجّل؟

قال بوذا: لا تنظر إليهن، وتجاهلهنَّ.

قال الرجل السائل: وإذا اضطررنا إلى النظر إليهن لسبب قاهر؟

قال بوذا: لا تكلمهنَّ.

قال الرجل: وإذا كلمناهن؟

قال بوذا: ضابطُ الأمرِ كلُّه: أن تكون على حذرٍ تامٍّ منهنَّ».

وكان بوذا قد رفض أن تنضمَّ النساء إلى جماعته، وأن تكون النساء ضمن أتباعه، ولكن ابن عمه «آناندا» قد استغلَّ قربه من بوذا، وحبَّ بوذا إياه، وظل يلح على بوذا أن يضم النساء إلى جماعته، وأن يسمح لهن بأن يكنَّ من أتباعه، حتى قبل بوذا ذلك، وضم النساء إلى جماعته، ولكنه ظل - رغم ذلك - يحذر منهن، ثم قال لابن عمه «آناندا»: لقد كنت أتمنى أن يدوم النظام طويلاً، ولكن بعد أن انضمت المرأة إلى النظام، فلا أظنه يدوم طويلاً!!

هذا كان موقف بوذا من المرأة، سجَّلناه بمناسبة حديثنا عن الحركة التي قام بها «تسونج كابا»؛ لأن حركته اعتمدت على معارضة رجال الدين البوذيين في موقفهم من المرأة، الذي كان محفوظاً لدى جميع البوذيين منذ كان بوذا، حيث حذرهم بوذا من المرأة.

وعارض أخلص أصدقائه وابن عمه «آناندا» في انضمام المرأة إلى النظام، وبعد أن وافق على قبولها في النظام تشاءم من ذلك، وأخبر بأن المرأة سوف تفسد النظام وتمنعه من الاستمرار.

وَيُرَوَى عن بوذا - بعد أن قبِلَ انضمام المرأة إلى النظام - أنه قال: «للنظام بعد مَوْتِي أن يغير من طبيعته ما يراه مضرًا بمسيرته ومقاصده».

ويرى العالم الشهير «رادهاكرشن» أنه أراد بهذه الجملة وهذه النصيحة: أنه يجوز لأتباعه طردُ النساء من النظام، وتحريم انضمامهن إليه، إذا رأوا في انضمامهن إلى النظام خطرًا عليه.

كل ذلك الحديث عن المرأة والنظام كان بسبب الثورة التي قادها أو قام بها «تسونج كابا»، وكانت الثورة قد شجَّعَه على القيام بها انضمام الآلاف من الشباب إليه، والتفاف الجماهير حوله، وهذا شجَّعه على القيام بثورته مطالبًا رجال الدين أو الكهان، وعلى رأسهم «اللاما» زعيمهم بأمور ثلاثة:

الأول: أن يعودوا إلى التقاليد الأصلية لرجال الدين، ورأسها عدم الزواج، أو تحريم الزواج عليهم؛ لأن تقاليد رجال الدين في البوذية عدم الزواج؛ لأنه محرم عليهم.

الثاني: أن يتعدوا عن الملابس الرقيقة الناعمة، والألوان الرقيقة المحببة، بل يلبسوا ملابسهم التقليدية التي تقوم على الخشن من القماش، ثم الألوان الصفراء أو الحمراء التي كان يفضلها بوذا.

الثالث: ترك الأساطير والخرافات التي تُحكى حول صلة اللاما ببوذا، ومكانة اللاما وقدَّاسته، وقد تأثرت مكانة اللاما بهذه الثورة التي قام بها «تسونج كابا»، حتى إن إمبراطور الصين قد اضطرَّ إلى تعيين الاثنين اللذين كانا قائمين بالثورة ضد اللاما ورجال دينه حاكمين سياسيين للبت.

لكن ذلك - وإن كان قد أضعف مكانة اللاما ومن معه من رجال الدين - لم

يثن اللّاما ومن معه عن غيِّهما، ولم يؤثّر كبير تأثير عليهما؛ فقد ظلت مكانتهما كما هي، ولم يرَعَوِ اللّاما ومن معه عن غيِّهما أو يرجعا إلى ما نادى به المصلحون.. هذا من جانب.

ومن جانب آخر: ظل كثيرون من أهل التبت ينظرون إلى اللاما نظرة تقديس وتعظيم ويسجدون إلى الأرض عند ظهوره، بل إن مكانة اللاما -رغم ما أصابها من الثورات التي قامت ضده- قد شملت جميع البوذيين في المملكة المغولية التي تعم أرض الصين على سعتها.



### خامساً: البوذية في الصّين:

بدأ الصّينيون يسمعون عن البوذية منذ القرن الأول الميلادي، وربما تأكد ذلك في منتصف هذا القرن، حين ذهبت بعثة من بضعة عشر رجلاً من الصّين إلى الهند للبحث في أمر البوذية، ثم عادت هذه البعثة بعد عامين تقريباً، ومعها بعض الكتب البوذية، ورجل دين بوذي، وقد رحل إلى الصين بعض رجال الدين البوذيين من الهند، وقد رحب المسؤولون في الصين برجال الدين البوذيين هؤلاء، وبنوا لهم معبداً كبيراً بمدينة «لويانج» عاصمة الصين في ذلك الزمان، وقد توالى البعثات والوفود بين الصين والهند حتى منتصف القرن الرابع الميلادي، حيث انتشرت البوذية في الصين، وأخذ الصّينيون يهاجرون إلى الهند ليشاهدوا الأماكن البوذية المقدسة مثل شجرة المعرفة التي تلقى بوذا تحتها القواعد الأربع النبيلة، كذلك لزيارة المقامات والمعاهد التي كانت مصادر الإلهام لزعيمهم بوذا.

وقد ظلت البوذية في الصين تراوح مكانها إلا قليلاً، لكن لم يأت القرن الحادي عشر الميلادي إلا وهي حرة طليقة منتشرة في الصين كلها، من أقصاها إلى أقصاها.

لكننا نذكرُ بما قلناه سابقاً: أن البوذية انتشرت في أقطار كثيرة، لكن كانت البوذية في كل قُطر أو بلد غيرها في البلد الآخر؛ وذلك راجع إلى عاملين أساسيين: الأول: أن البوذية ليست مُحدَّدةً تحديداً دقيقاً في عقائدها وأعمالها، وإنما تحتوي على كثير من الثغرات التي ملأها كل بلد من أهله الذين اعتنقوها بما يلائم ويناسب ظروفهم وشؤونهم الحياتية ويقيناً كل بلد له ظروفه الخاصة به، والتي تختلف قليلاً أو كثيراً عن ظروف البلاد الأخرى؛ من هنا كانت بوذية كل بلد تختلف في كثير أو في قليل عن بوذية البلاد الأخرى.

الثاني: أن البوذية التي دخلت بلاداً أخرى، دخلت هذه البلاد فوجدت أهل كل بلد يدينون بأديان مختلفة عن أديان البلد الآخر، أو البلدان الأخرى، وكان لا بد أن تتأثر هذه البوذية التي دخلت أي بلد بالأديان التي كانت قبل ذلك تحتل وجدان الشعب في ذلك البلد، وكان هذا التأثير يزيد قليلاً أو كثيراً حسب ظروف البلد، والظروف التي واكبت دخول البوذية إليه، وإذا كانت البوذية قد تغيرت إلى أكثر من اتجاه، وانقسمت أكثر من قسم في بلدها الذي نشأت فيه؛ أبعيد أن يحدث ذلك في البلاد التي هاجرت إليها؟!!

ولذلك نجد مصداق ما قلناه في البوذية التي دخلت الصين، حيث كانت

الصين تدين بأديان كثيرة، يزيد المشهور منها على ثلاثين، وكان الأشهر في هذه الثلاثين: الديانة التاوية، ولقد عانت البوذية في بداية عهدها في الصين من الديانات السابقة، وبخاصة من الديانة التاوية، ولكن البوذية انطلقت - كما ذكرنا - حتى شملت الصين جميعها.

ولقد بينّا قبل ذلك أن البوذية قد انقسمت إلى أقسام كثيرة؛ أشهرها هذان القسمان: الماهيانا، والهييانا، وكانت الماهيانا أكثر أتباعًا واشتهارًا من الهييانا التي كانت أقل أتباعًا واشتهارًا، وإذا نحن أردنا أن نقيم بين الاثنتين مقارنة؛ قلنا:

- ١- الماهيانا أكثر أتباعًا، وأشهر من الهييانا التي هي أقل في الأتباع والاشتهار.
- ٢- الماهيانا أبعد عن بوذية بوذا من الهييانا التي هي أقرب إلى بوذية بوذا، مع التسليم بأن الاثنتين قد ابتعدتا عن دعوة بوذا التي قامت على إنكار الإله، ولكن الاثنتين جعلتا بوذا هو الإله.
- ٣- كانت الماهيانا أكثر أتباعًا؛ لأنها التصقت بالفلسفات، والجوانب النظرية؛ مما أتاح لأصحاب البلاد التي دخلتها الحرية في الأخذ منها والإضافة إليها، ومن ثمّ الإقبال عليها، كذلك امتزجت مع الأديان الأخرى، بينما الهييانا كانت أقرب إلى بوذية بوذا؛ لأنها وضعت كل اهتمامها بالجوانب العملية الخلقية، ولم تهتم بالجوانب النظرية أو الفلسفية.

٤- لذلك كله كانت الماهيانا - المركبة الكبرى - أكثر أتباعًا، وكانت هي التي

وَجَدْتُ قَبُولًا وَإِقْبَالَاً مِنَ الشُّعُوبِ فِي نِيپَال، وَالتَّبِت، وَالصِّين وَاليَابَان، وَمَنْغُولِيَا،  
بَلْ وَفِي سِيلَان - وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ وَاضِحٍ فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا.

٥- كَانَ أَتْبَاعُ مَذْهَبِ الْمَهَايَانَا أَوْسَعَ خِيَالًا، وَأَكْثَرَ انْفِتَاحًا، وَأَشْهَرَ عِنْدَ  
شُعُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ انْتِشَارًا؛ لِأَنَّهَا تَتِيحُ لَهُمْ مَجَالًا لِلتَّوْفِيقِ النَّظْرِيِّ بَيْنَ الْأَدْيَانِ  
السَّابِقَةِ لَدَيْهِمْ وَبَيْنَ الْقَادِمِ الْجَدِيدِ، وَهَذَا أَمْرٌ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ؛ فَقَدْ أَتَّاحَ  
ذَلِكَ لِلصِّينِيِّينَ أَنْ يُعْمِلُوا خِيَالَهُمُ الْوَاسِعَ، حَتَّى إِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ قَدْ اعْتَقَدُوا أَنَّ بُوذَا  
قَدْ هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ لِيَنْقُذَ الْبَشَرِيَّةَ مِنْ آلَمِهَا وَشُرُورِ أَشْرَارِهَا.

هَذِهِ مَقَارَنَةٌ بَسِيطَةٌ بَيْنَ فِرْقَةِ الْمَهَايَانَا - الْمَرْكَبَةِ الْكَبْرَى - وَبَيْنَ الْهَيْنَايَانَا -  
الْمَرْكَبَةِ الصَّغْرَى - وَرَغْمَ أَنَّ الْهَيْنَايَانَا هِيَ الْأَقْرَبُ إِلَى دَعْوَةِ بُوذَا؛ فَإِنَّ الْمَذْهَبَ  
الْآخَرَ هُوَ الَّذِي انْتَشَرَ فِي الصِّينِ وَالْبِلَادِ الْمَجَاوِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَصْدَرَ الْعَجَبِ  
الْوَحِيدِ؛ بَلْ كَانَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ؛ إِذْ إِنَّ مَذْهَبَ الْمَهَايَانَا كَثِيرَ التَّعَمُّقِ فِي الْقَضَايَا  
الْفَلَسَفِيَّةِ النَّظْرِيَّةِ، إِلَى الْحَدِّ الَّذِي جَعَلَ عَامَّةَ الشُّعْبِ لَا يَفْقَهُونَ مِنْهُ إِلَّا تَقْدِيمَ  
الْقَرَابِينِ، وَالْقِيَامَ بِالطَّقُوسِ أَمَامَ تَمَثَالِ بُوذَا، وَهَذَا حَظُّهُمْ مِنَ الدِّيَانَةِ الْبُوذِيَّةِ الَّتِي  
لَمْ يَعْذُ يَفْهَمُهَا إِلَّا قَلَّةٌ مِنَ الْمُثَقِّفِينَ إِضَافَةً إِلَى رِجَالِ الدِّينِ.



### سَادِسًا: الْبُوذِيَّةُ فِي الْيَابَانِ:

مِنَ الثَّابِتِ أَنَّ الْبُوذِيَّةَ دَخَلَتْ الصِّينَ قَبْلَ الْيَابَانِ، ثُمَّ عَنِ طَرِيقِ كُورِيَا دَخَلَتْ  
الْبُوذِيَّةَ إِلَى الْيَابَانِ، وَلَمْ يَرْحَبِ الْيَابَانِيُّونَ بِالْبُوذِيَّةِ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْيَابَانِيِّينَ لَمْ  
يَتَعَوَّدُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ الْمَزَيَّنَّةِ أَوْ الْمَذْهَبَةَ.

لكن جاء تَعوُّد اليابانيين على البوذية وقبولها على مراحل:

١- ففي الربع الأول من القرن السادس الميلادي دخلت البوذية إلى اليابان عن طريق كوريا، ولكنها لم تلقَ حسن قبول لدى اليابانيين؛ وذلك أمرٌ طبعيٌّ بالنسبة لأيِّ قادم جديد، وبخاصة أن اليابانيين كانوا يعتنقون ديانة «الشتو» منذ زمن طويل وقد دربوا عليها.

٢- في مرحلة تالية جاء الأمير «شوتوكو» وليُّ العهد في عهد الإمبراطور «سويكو ٥٦٣ - ٦٢١ م»، وأمر بإقامة المعابد البوذية في أنحاء البلاد، وتعهَّد هذا الأمير - شوتوكو - برعاية رجال الدِّين البوذيين وتثقيفهم، وقضاء حاجاتهم، وهذه خطوة مهمة جدًّا؛ لأنَّ منزلة رجال الدِّين ورعاية هذه المنزلة؛ لها الأثر الكبير في نفوس الشعب ونشر ما يدعو إليه هؤلاء الكهنة.

٣- كان معظم رجال الدين البوذي حتى ذلك الحين من الكوريين والصينيين، ثم بدأ رجال الدين اليابانيون يأخذون المبادرة إلى الدعوة إلى البوذية، وبذلك بدأ عهد جديد للبوذية في اليابان، لكن اقترن بذلك كثرة المذاهب البوذية في اليابان إلى حدِّ يدعو للعجب.

٤- في بداية القرن التاسع الميلادي ظهر الداعية البوذي الياباني «دينجيو Dengyo»، فأسس فرقة أسماها: «التيندي» أي: السكينة الربانية، تبعه ظهور رجل الدين «كوبو»، فأسس فرقة أسماها: «الشيجون» أي: كلمة الحق؛ وتبع هاتين الفرقتين فرَّق أخرى لكهَّان آخرين من اليابان، وكثرت هذه الفرَّق حتى وصل عددها سبعمائة وثلاثين فرقةً.

٥- بسبب هذه الأعداد الكثيرة من الفرق كَثُرَ النزاع والخلاف فيما بينها، مع أنها جميعاً تدَّعي أنها بوذية، ومع أنها جميعها تعبد إلهًا واحدًا هو بوذا، لكنها كانت تختلف فيما بينها، وكانت كل فرقة تختار من الآراء والأعمال ما تحب وما يحلو لها.

٦- كان أشهر هذه الفرق الكثيرة فرقة «الشيجون» التي أسسها «كوبو» الذي أشرنا إليه آنفًا، والذي اشتهر بين الدعاة اليابانيين حتى أطلقوا عليه وصف «القديس»، وكان مذهبه الخاص به والذي عارض مذهب «الهيانيا» الذي يدعو إلى أن ينقذ كل إنسان نفسه، واتباع مذهب «الماهايانا» الذي كان -على نقيض الهيانيا- يدعو إلى أن يهتم كل إنسان بالآخرين، وألا يقصر همّه على إنقاذ نفسه، بل عليه أن يهتم جاهدًا على أن ينقذ الآخرين ويهديهم إلى الطريق الصحيح، وهذا هو الفارق الأهم بين الهيانيا وبين الماهيانا.

٧- إذا نحن تخطينا القرون سريعًا لنصل إلى فرقة بوذية مهمّة أسسها: «شوران ١١٧٣ - ١٢٦٢م»، وقد أقامت هذه الفرقة كثيرًا من المعابد الكبيرة، بعضها في العاصمة اليابانية، وكان اسم هذه الفرقة: «جودوشنشو» أي: فرقة جودو الحقيقة؛ وهذه الفرقة لم تطلب من أتباعها الإخلاص في العمل ولا التعبد؛ فقط طلبت من أتباعها الثقة المطلقة في المنقذ والإيمان القوي به.

٨- هناك فرق كثيرة للبوذية في اليابان، لكن بجانب هذه الفرق كان الإيمان بالإمبراطور وأنه ابن الشمس، وأنه أعلى من جميع البشر؛ لذلك كان اليابانيون يقدّسونه بجانب المعبودات الأخرى.

وقد ظلت هذه العقيدة عندهم، حتى كانت الهزيمة الساحقة لليابانيين

على أيدي الأمريكيين سنة ١٩٤٥م، بعد أن ضرب الأمريكيون «هيروشيما» و«نجازاكي» بقنبلتين ذريّتين، وكانتا هاتان القنبلتان نهاية الحرب، واستسلمت اليابان لأريكا.

يهمنا من هذا كله: أن الإمبراطور الياباني في ذلك الوقت «هيرو هيتو» في هذه الظروف أطلّ على شعبه من خلال وسائل الإعلام ليعلن على الشعب الياباني أنه ليس إلهاً، ولا هو ابن إله، ولا هو ابن الشمس، وأنه إنسان عادي مثل كل الناس. هنا حدث لدى جمهرة اليابانيين ما يسمّى الفراغ العقدي، أو الفراغ الديني، وقد اهتبلها رجال الجماعات التنصيرية -التبشيرية- فرصة، وأخذوا يزاولون عملهم من خلال آلاف الجمعيات التنصيرية في اليابان، وتحديدًا في الأماكن المتطرفة؛ مما أدخل الكثيرين إلى الديانة النصرانية.

٩- من جانب آخر فقدّ الكثيرون من اليابانيين إيمانهم، وانطلقوا موزّعين بين البوذية، والنصرانية، والعلمانية وما زالت الليالي حبلى تلدّ الجديد.



## الخاتمة

الحمد لله أولاً، والحمد لله آخرًا، ثم الحمد لله على كل حال.

أما بعد:

فهذا الذي بين يديك -قارئ الكريم- هو ما تيسر من جهد في الكتابة حول موضوع هو من أخطر الموضوعات التي تتناولها الدراسات الدينية، بل لعله أخطرها، ذلكم هو موضوع الأديان الوضعية، وبيان مسيرتها، وأخذ العبرة منها؛ لعل تلك العبرة تقودنا إلى الإخلاص في دين الله الحق، والاستقامة على طريق الله عبر دينه الإسلام.

وإننا لنسأل الله تعالى أن يُزكِّي ما في البحث من صوابٍ، وأن يتجاوز عمَّا فيه من تقصيرٍ، وأن يجعله في ميزان الكاتب والقارئ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

محمد بن محمد بن زورعة



# الفهرس



مقدمة.....	٥
مقدمات وممهّدات.....	١١
ولادة بوذا المبارك.....	٢١
الباب الأول: في معرفة بوذا ونشأته، ومعرفة مبادئه، وأصوله، ونشره مذهبه، وأيامه الأخيرة.....	٢٥
الفصل الأول: نشأة بوذا والعوامل المؤثرة.....	٢٧
أهم الأحداث التي أثرت في حياة بوذا منذ كان طفلاً.....	٢٩
الفصل الثاني: الحياة الروحية عند بوذا.....	٣٧
أولاً: نداء الفطرة.....	٣٧
ثانياً: بين بوذا والشيطان.....	٤٥
الفصل الثالث: سدارثا في قلب التجربة.....	٥١
سدارثا يهجر حياة الأمراء.....	٥١
سدارثا وحياة الرهبان.....	٥٢
عودة سدارثا إلى حياة الاعتدال.....	٥٤
الفصل الرابع: بوذا يتلقى الإشراف.....	٥٩
العلاقة بين بوذا والهندوسية.....	٦٠
إشراف بوذا.....	٦٨
الفصل الخامس: بوذا ينشر مبادئه.....	٨١
بوذا يتخذ قرار الدعوة.....	٨١
بوذا والشيطان.....	٨٢
بوذا والشجرة المقدسة.....	٨٤
بوذا وبداية الدعوة.....	٨٥
موعظة الشريعة.....	٨٧
رحلة الدعوة إلى البوذية.....	٩١

- ١٠٣..... الفصل السادس: عقبات وعراقيل في طريق الدعوة
- ١٠٤..... العقبة الأولى: عداوة البرهمن للبوذية
- ١٢٠..... العقبة الثانية: عداوة بعض الحكام لبوذا
- ١٢٢..... العقبة الثالثة: عداوة الهندوس للبوذية
- ١٢٦..... العقبة الرابعة: عداوة الدراويش للبوذية
- ١٣١..... الفصل السابع: الأيام الأخيرة في حياة بوذا
- ١٣١..... أسباب نجاح دعوة بوذا
- ١٣٧..... بوذا وآلام المرض
- ١٣٨..... بوذا يودع زوجته
- ١٤٠..... بوذا يأتيه الأجل
- ١٤٢..... موعظة الوداع
- ١٤٤..... تشييع بوذا وحرق جثمانه
- ١٤٧..... الباب الثاني: أصول البوذية
- ١٤٩..... الفصل الأول: الإله
- ١٤٩..... هل البوذية دين؟
- ١٥٤..... موقف بوذا من الألوهية
- ١٥٧..... الأسباب الحقيقية وراء إنكار بوذا للإله
- ١٦٠..... عقيدة البوذيين بعد بوذا في الألوهية
- ١٦٣..... مناقشة وتعقيب
- ١٦٩..... الفصل الثاني: أصول البوذية
- ١٦٩..... ١- الإشرقة - أو الحقائق الأربع
- ١٧٣..... بوذا يفضل الخير للناس
- ١٨١..... ٢- الشعب الثماني
- ١٨٦..... ٣- القيود العشرة المعوّقة
- ١٩٢..... ٤- الوصايا العشر المحرّمات
- ١٩٦..... ٥- النرفانا
- ٢٠٣..... ٦- ناموس الطبيعة
- ٢٠٧..... ٧- التناسخ
- ٢١٥..... الفصل الثالث: البوذية القديمة والبوذية الحديثة

٢١٦	مناقشة العقائد البوذية.....
٢٣٧	العوامل التي أدت إلى انتشار البوذية.....
٢٤٥	الفصل الرابع: المصادر المقدسة للبوذية.....
٢٤٨	ماهية الكتب المقدسة عند البوذية.....
٢٥١	مراحل الكتب المقدسة لدى البوذية.....
٢٥٤	نقد المصادر المقدسة لدى البوذية.....
٢٥٦	كثرة المصادر المقدسة لدى طوائف البوذية.....
٢٥٩	الباب الثالث: تطور البوذية بين القديم والحديث.....
٢٦١	الفصل الأول: انتشار البوذية وأماكنها.....
٢٦٢	انتشار البوذية بالهند.....
٢٦٩	ضعف البوذية في الهند وأسبابه.....
٢٧١	البوذية الجديدة ومعالمها.....
٢٧٥	الفصل الثاني: الفرق والطوائف في البوذية.....
٢٨١	الانقسامات الأولى.....
٢٨٧	الفرق البوذية.....
٢٨٨	- الفرقة الأولى.....
٢٩٠	- الفرقة الثانية.....
٢٩٢	- الفرقة الثالثة.....
٢٩٥	الفصل الثالث: مسيرة البوذية حتى العصر الحديث.....
٢٩٦	أولاً: البوذية في سيلان.....
٢٩٨	ثانياً: البوذية في الهند.....
٢٩٨	ثالثاً: البوذية في بورما.....
٣٠١	رابعاً: البوذية في التبت.....
٣٠٨	خامساً: البوذية في الصين.....
٣١١	سادساً: البوذية في اليابان.....
٣١٥	الخاتمة.....
٣١٧	الفهرس.....

